

آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي

نصوص أدبيّة من القرن الهجري السابع
جمعها بعض تلاميذه في حياته

تقديم وتحقيق:
عبد الحميد عبد الله الهرامة

دار قتيبة

آثار
أبي زيد الفازازي الأندلسي

نصوص أدبية من القرن الهجري السابع
جمعها بعض تلاميذه في حياته

تقديم وتحقيق:
عبد الحميد عبد الله الهرامة

دار قتيبة
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ-١٩٩١م

دار قتيبة
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - ص.ب: ١٤/٦٣٦٤
دمشق - ص.ب ١٣٤١٤

الإهداء

إلى أستاذي الجليل المرحوم

عبد الله الهوني

أهدي هذا الكتاب

عرفاناً بجهوده المخلصة في تربية

العقول والأرواح والذمم

وغرسه لمعاني الوفاء والود والثقة

عبد الحميد الهرامة

تقديم

ظل اسم أبي زيد الفازازي مقترناً منذ أمد بعيد بعشرينياته في مدح الرسول ـ ﷺ ـ وقد بلغ بذلك شهرة خاصة في غرب أفريقية، حيث يقبل الناس على عشرينياته في احتفالات المولد النبوي حتى أيامنا هذه إقبالاً جماعياً، يفوق إقبال الناس في شمال أفريقيا على أمداح البغدادي أو البصيري. . وقد دعا هذا الإقبال بعض المستشرقين إلى اعتبار صاحبها رسول الإسلام في السودان الغربي (بروكلمان 132/5 ـ ترجمة) بل قال بعضهم إنه كان مبشراً بالإسلام في كانم (المصدر نفسه).

لكن وجهاً آخر تبدَّى لأبي زيد الفازازي بعد العثور مصادفة على أعماله المنثورة والمنظومة، فقد قادت حاجة علمية محقق هذا الكتاب إلى طلب مجموع فيه مخطوطات مختلفة من مكتبة ليدن بهولندا، فإذا به يحتوي على نصّ نفيس من نتاج الفازازي، ذلكم هو السفر الذي بين أيديكم.

وتعود أهميته إلى أنه يقدم نصوصاً نثرية وشعرية لم يسبق نشرها لشيخ الكتّاب في عصره عبد الرحمن بن يخلفتن الفازازي، وهو شخصية جمعت بين السياسة والثقافة الدينية واللغوية والزهد والإبداع الأدبي، وفي آثاره الباقية ما يضيء هذه الجوانب ويبرهن عليها.

وهناك سبب آخر يعطي هذه النصوص أهمية مضاعفة، هو أنها تقدم بعض أدبيات أحد جانبي الصراع الفكري في القرنين السادس والسابع بين الفقهاء والمتصوفة والمحدثين من جانب وبين الفلاسفة والملحدين وأهل البدع، من جانب آخر، ذلك الصراع الذي كان فيه الفازازي طرفاً في مقاومة الفلاسفة والبدع والإلحاد.

حتى لقد قال ابن خميس إنه كان (يبغض أهل العلوم القديمة) وقال الفازازي نفسه:

ودع الفلاسفة الذميم جميعهم ومقالهم تأتي الأحقّ الواجبا
فانظر بعقلك هل ترى متفلسفا فيمن ترى إلاَّ دعيًّا كاذبا

وهو بذلك يعطي أضواء عن الظروف التي اعتقل فيها ابن رشد، والمقالات التي كانت تواجه التيار الفلسفي في ذلك الحين.

إن الكتابات السابقة عن الفازازي كانت تفتقر إلى مراجعة هذا السفر، وهو ما جعلها تجافي الحقائق التاريخية أحياناً حول شخصيته وحياته، وما جعل أحكامها عن إبداعه الأدبي في حاجة إلى إعادة نظر ومزيد من التركيز، وإني لأرجو أن يكون في تقديم هذا السفر إلى القراء خدمة مفيدة لتراثنا العربي الإسلامي بعامة، وللمكتبة العربية المغربية والأندلسية على وجه الخصوص.

ويسرني أخيراً أن أشكر أولئك الذين يسروا لي مهمة العمل في هذا الكتاب بعونهم الكريم وأخصّ منهم الأستاذ علي شونة الذي كان له فضل في التغلب على بعض المشكلات العروضية.

والله ولي التوفيق.

الفازازي وحياته

هو أبو زيد عبد الرحمن بن أبي سعيد يخلفتن بن أحمد بن تنفليت الفازازي، نسبة إلى جبل فازاز بقبلي مكناسة الزيتون، وإليه ينتمي أصله[1] وتنسب أسرته إلى يجبش أو يخفش وهم من زناتة[2].

ولد ونشأ الأديب بعد الخمسين والخمسمائة، في قرطبة على قول ابن الأبار[3]، وقال ابن الزبير منشؤه في مراكش[4]، غير أن المعلومات القليلة التي قدمها هذا الأخير عن الشاعر لا تدل على معرفة تامة بحياته وأخباره، إذ فيها من الأخطاء في نسبه وتاريخ وفاته، والاختصار المخل بأخباره ما يجعلها ضعيفة أمام ما أورده ابن الأبار من معلومات دقيقة عن الرجل[5]، وهو الذي

---

(1) هكذا جاء نسبه في معظم المصادر، وزاد في أعلام مالقة، وفي غرباء الصلة المطبوع بآخر الذيل والتكملة 542/8 أن اسم والده محمد بن يخلفتن، غير أن ذلك مخالف لما وجد من نسب أخيه بالمصدر نفسه 362/8 من أنه محمد بن يخلفتن. ومخالف لا جماع بقية المصادر الأندلسية والمشرقية.

(2) مفاخر البربر والذيل والتكملة 260/8 حاشية رقم 313.

(3) التكملة 585/2 وبغية الوعاة 91/2 والمقتضب ص 133.

(4) الذيل والتكملة 542/8.

(5) منها ما انفرد به من الإشارة إلى قرابته بابن بقي القرطبي (التكملة ـ 585/2).

عـصره وقصـد زيارتـه مرتين في أشبيليـة سنة 626، أي قبـل ولادة ابن الزبيـر نفسه[1].

ولذا فقد اعتمد أصحاب التراجم والمؤرخون القدامى والمحدثـون على روايـة ابن الأبـار ولم يلتفتـوا إلى روايـة ابن الـزبيـر، وذلـك دليـل آخـر على ضعفها[2].

على أن في نشـأته روايـة أخرى لا تنـاقض رواية ابن الأبـار وإن كـانت تجعلها أكثر تحديداً، لأنهـا تفيد أن الفـازازي تعلم في تلمسان قبـل سنة 576 على يد أبي عبد الله التجيبي المتوفي سنة 610 هـ[3]، فقد جاء في نفح الطيب أن التجيبي المذكور أول من سمـع عنه الفـازازي في حياة الحـافظ السلفي إذ قدم عليهم تلمسان[4].

ويبدو القيد بحدوث السماع (في حياة السلفي)، وكأنه استطراد لا لـزوم لـه في سياق التـرجمة، والـواقع أنـه في غـايـة الأهميـة، لأنـه يعني أن أخـذ الفازازي من التجيبي تمّ قبل سنة 576، وهو تاريخ وفـاة السلفي، ويقود ذلـك إلى تعيين البيئـة التي نشأ وتعلم فيهـا الفازازي في آونـة صباه وبعض مـراحل تعليمه، كما يقود إلى تصحيح خبر في ترجمـة التجيبي بالـذيل والتكملة جـاء فيـه «ونزل مقفلة من رحلتـه هذه. . . . (يعني رحلتـه المشـرقيـة) بسبتـة سنـة 574 هـ، فـأسمع بهـا وبفأس، ومـراكش وغيـرهـا من البلدان، ثم انتقـل إلى تلمسين فاستوطنها»[5].

والذي يستفاد من التصحيح السابق أنه روى في تلمسان إثـر عودتـه من المشرق وقبل ذهابه إلى المدن المذكورة أعلاه.

ولهذا التصحيح المستفاد ما يؤكده من رواية أخرى في غير النفح وبلفظ

---

(1) ولد ابن الزبير سنة 627 أي في السنة التي توفي فيها أبو زيد الفازازي.

(2) ممن نقل عن ابن الأبار التنبكتي في نيل الابتهاج 239.

(3) النفح 468/4 وبرنامج الرعيني 172.

(4) النفح 468/4، هذا. والمعلوم أن السلفي عاش ما بين 478 و 576 هـ. وفاعل القـدوم هو التجيبي لأن الحافظ السلفي لم يغادر الاسكندرية غرباً (انظر الوافي بالوفيات) 352/7.

(5) الذيل والتكملة 356/8 - 357.

التجيبي نفسه، فقد جاء في معجمه عند ذكر جابر القرشي قوله: (من أصحابي الآخذين عني بتلمسان عند قدومي من البلاد المشرقية، كتب عني كثيراً)[1].

وإذا كان سماع الفازازي من التجيبي بتلمسان قبل سنة 476 هـ أمراً قوّى الاحتمال فإن ارتباط الفازازي بهذه المدينة في زمن الصبا بل وزمن الطفولة المتأخرة أمراً يكاد يبلغ أرقى درجات التأكيد، فهو قد ولد بعد الخمسين والخمسمائة[2] ولا يفصل هذا الرقم عن سنة 476 التي سبقت الإشارة إليها سوى عشرين سنة تساوي في العادة بداية سن الرشد.

ثم هل وجود نسبة التلمساني في ترجمة أخيه كبيره محمد، وسماع هذا الأخ من قاضي تلمسان عبد الرحمن بن أبي الفنون، ومن التجيبي نفسه[3] إلا دليل على علاقة مبكرة لهذه العائلة بتلك المدينة وعلمائها في زمن كان فيه أبناؤها في عمر التلمذة والتلقي.

ولا نخرج من البراهين الواردة في المصادر المختلفة دون الإشارة إلى ما جاء في بغية الوعاة من أن الفازازي كان نزيل تلمسان[4]، ولا يخفى للمتبع لحياة الرجل أن المراد بالنزول هنا قبل الفترتين الأندلسية المتأخرة والمراكشية الأولى والثانية ولا يكون ذلك إذن إلاّ في فترة صباه وتعليمه وهي فترة مبكرة من حياته.

ولدينا من أدب الفازازي أدلة أخرى قاطعة فيها إشارات واضحة الدلالة على علاقته بتلمسان زمن الصبا وآونة الطلب، منها قوله:

أهوى تلمسان وسكانها ... لو كان لي في الكون اختيار
أرض خلعت العذر في تركتها ... أضعاف ما فيها خلعت العذار

ولا ندري كم أقام بتلمسان، ولكن هذه العلاقة الودية بينه وبينها لا تتكون في يوم وليلة، فلماذا يصفها بالقصر والاختصار في قوله:

---

(1) التكملة 249/1 الطبعة المصرية.

(2) بغية الوعاة 91/2 والنفح 469/4.

(3) التكملة لابن الأبار 751/2.

(4) بغية الوعاة 91/2.

يــا لــذاك الــعيش لــولا أنــه   كــان فــي مــدتــه مختــصــراً؟

ويقول في رسالة أخرى إلى بعض أصدقائه التلمسانيين:

لا أنسى أيــامــاً قصــاراً فيــه لي   أضحى تــذكــرهــا عليّ طــويــلا

إن الإشارة إلى القصر هنا تدل على أنهـا من أيام السـرور القصيرة، ولا تدل على اختصار المدة كما هي في البيت السابق.

وليس إطلاق الأيام في البيت الثاني مراداً به فترة وجيزة جداً، فهنـاك ما يدل على إقامته في تلك البلاد فترة استحقت لطولها أن تدعى (وطن الصبـا)، وأن يحنّ إليها ذلك الحنين الذي بدا في شعره:

عــوجـا على وطن الصبـابـة والصبـا   بــتــحــيــة تــســع الــمــكــان وأهــلـه
بــين الـبصـيلة والــمجــاز مــنــاظــر   أودعــتــهــا مــذ بــنــت أنــســي كــلّه

فهـل يعني ذلك خللاً في روايـة ابن الأبار التي يـذكر فيهـا أن الفازازي ولد ونشأ في قرطبة؟

الحقيقة أن ابن الأبار أكد سكن الفازازي لتلمسان بعد قرطبة مباشرة[1]، ولكنه لم يحدد عمره في هذه الفترة. ويمكن أن نستشف من كلّ ما مضى أنها فتـرة الطلابـة التي ينتهي فيهـا التلميـذ من حفظ القـرآن الكـريم، ويتجـه إلى دراسة العلوم المختلفة، فـالتجيبي الذي درّس لـه في تلمسـان تصـدّر لتدريس الصحيحين، والترمذي وسيرة ابن هشام، ومعجم الصحابة للبغوي وغيرها من الكتب الكبـرى والمتوسـطة[2]. ومن الثـابت أن الفـازازي أخـذ عنـه الأربعين حديثاً التجيبية من جمعه، ورواها عنه الـرعيني وأثبتها في مـروياتـه[3] وتدرس مثل هذه الكتب عـادة بعد مـرحلة الطفـولة، وهـو ما يجعـل عمر الأديب عنـد تلمذته للتجيبي يبلغ سن الحلم ويناهز الرشد. وبذلك يمكن الجمع بين رواية ابن الأبـار حول النشـأة القرطبيـة وهذه الـروايـة التي بين أيـدينـا حـول الفتـرة التلمسانية.

---

(1) التكملة: طبعة مجريط ـ رقم 1641.
(2) برنامج الرعيني 172.
(3) المصدر السابق 102.

انتقل الفازازي من تلمسان بعد ذلك إلى فاس، ومنها راسل أصدقاءه التلمسانيين في أسلوب رصين وفكر واعٍ، ينم عن طور متقدم في السن والعقل، وقدر من البلاغة والأدب لا يصدر عن فتى صغير، فمن ذلك قوله:

(كتبت دامت كرمة سيدي الفقيه، والأخ الذي أفديه بالنفائس وأفيه، . . . من حضرة فاس ـ حرسها الله ـ والحال جميلة صالحة، وألطاف المولى سبحانه غادية رائحة)[1] وكتب شعراً:

كيف حال امرىء تشظُّ تلمسـ ـان عليه وقد أقام بفاس
لم يكن ما لقيته مذ تناءيت من الوجود جاريا بقياس[5]

ولعله أخذ في هذه المدينة عن شيخه علي بن عتيق المتوفي بها سنة 598 [3] وغيره.

ثم انتقل من فاس دون أن نجد الكثير عن أخباره فيها، حيث ما لبث أن دخل الأندلس وتجول في ربوعها، يطلب العلم حيناً ويكتب للولاة أحياناً، ويؤلف المجموعات الشعرية والنثرية ذات الطابع الديني، ويتولى الرواية فيما ألفه أو رواه عن شيوخه، ومن الثابت في تلك الفترة أنه أقام في أشبيلية وقرطبة ومالقة وغرناطة وربما غيرها أيضاً.

ففي مالقا لقي الحافظين الشهيرين أبا زيد السّهيلي المتوفي سنة 581 هـ وأبا عبد الله ابن الفخار المتوفي سنة 590 هـ فأخذ عنهما كما أخذ الكثير من لداته الأندلسيين والمغاربة، فقد عرف عن الرجلين بروزهما في الحديث والفقه. . قال ابن خميس (ورد علينا رحمه الله وكان بها كاتباً لأمير المؤمنين أبي العلاء أيام ولايته، وكان من الكتاب البلغاء والشعراء الأدباء، كتب عن سادات حياته، وكان بارع الخط، من جلة الطلبة النبهاء)[4]، وقال ابن الأبار: (وروى عن. . أبي القاسم السهيلي وأبي عبد الله الفخار. . وأبي عبد الله التجيبي . . . . . وغيرهم)[5].

---

(1) مجموع ليدن ـ ص 186.

(2) المصدر نفسه 189.

(3) الذيل والتكملة 257/5.

(4) أعلام مالقة لابن خميس 133/67.

(5) التكملة 585/5.

ونجد في قائمة شيوخ الفازازي بالإضافة إلى السهيلي والتجيبي وابن الفخار، أعلام من فقهاء ومحدثي القرن السابع من أمثال أبي الوليد اليزيد بن عبد الرحمن بن بقي القاضي، وابن خلف الحافظ، وأبي الحسن الصائغ، وأبي الصبر السبتي وأبي محمد بن عبيد الله وكان آخرهم فيما ينقل المقرىء في النفح أبا الحسن جابر بن أحمد القرشي التاريخي[1]، وهو تلمساني جاء إلى إشبيلية سنة 578، مما يرجح أن أخذ الفازازي عنه كان في الأندلس التي يبدو أنها شهدت آخر عهده بالتلمذة على يد هذا العالم التلمساني.

وبعد سنوات الطلب التي تكاد أن تستغرق النصف الثاني من القرن السادس الهجري نجد المترجم له في مراكش حاضرة الدولة الموحدية سنة 601 هـ، يملي خطباً وأشعاراً على الواعظ ابن الحجام[2].

وقد دامت فترة إملائه على ابن الحجام مدة من الزمن ليست بالقصيرة؛ ذلك أن جامع أعماله قد أورد فيها أشعاراً قيلت في إحدى عشرة جمعة، فلو كانت تكتب في مناسباتها وليست دفعة واحدة لاستغرقت حوالي ثلاثة أشهر فضلاً عن الخطب والمواعظ.

ومن الثابت أن أديبنا كان يكتب لابن الحجام هذا مجالس وعظ في يومي الاثنين والخميس من كلّ اسبوع [3] وهي تختلف عما بين أيدينا من مجالس الجمعة في أن هذه شعر خالص وأملياته لابن الحجام تجمع النثر والشعر، وهي مجالس وعظ في حين أن هذه مقدمات تفتتح بها مجالس الذكر ويقصد بها استدرار الدعاء من الحاضرين للإمام [4].

ويبدو أن هذه الافتتاحيات قرّبته إلى السلطان حتى صحبه إلى تونس، إذ جاء في ترجمة أبي المعالي الفارسي، أنه دخل تونس والناصر من بني

---

(1) نفح الطيب 268/4.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي الواعظ المعروف بابن الحجام (ت 640 هـ) كان كثير التأثير بوعظه (انظره في التشوف لابن الزيات ص 439 والذيل والتكملة، سفر الغرباء ص 141 من المخطوط والأعلام 173/4).

(3) الذيل والتكملة 266/8.

(4) المخطوط ص 85.

عبد المؤمن بأفريقية فحظي عنده، وهناك روى عنه أبو زيد الفازازي [1] والمعلوم أن الناصر كان في تونس ما بين سنتي 601، و 604 وهو تاريخ عودته إلى مراكش[2] على أن الفازازي كان في هذا العام بالأندلس، فقد جاء على الصفحة الأولى من عشرينياته أنه فرغ من تأليفها في قرطبة سنة 604 هـ[3].

أما علاقة هذا الأديب بالموحدين فقد دامت وقتاً ليس بالقصير حيث (كتب دهراً طويلاً للولاة) [4] ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن المنصور وأخوه أبو العلاء، وقد طالت صحبته لهما، فأما الأول فقد تولى أشبيلية مرتين ما بين 605 هـ و 614 هـ، وقد وصفه صاحب المعجب بالنجابة وإيثار الحق وذكر وفاته سنة 617 هـ [5]، وأما أبو العلاء لقد صحبه في مالقة أيام ولايته عليها[6] وصحبه في أشبيلية منذ سنة 614 هـ، ولقيه الرعيني هناك في هذه السنة فاشتركا معاً في الكتابة في أشبيلية وقرطبة [7] ومن قرطبة أرسل خطاباً عن المأمون إلى أخيه محمد الفازازي [8] ، ويظهر أن الفازازي غادر قرطبة إلى مالقا ومكث فيها صحبة مخدومه المذكور حتى سنة 620 هـ وأرسل قبل رجوعه منها إلى قرطبة جواباً عن أبي العلاء المأمون إلى أبي العباس التميمي المتصوف [9] .

ثم عاد الكاتب صحبة أبي العلاء إلى قرطبة طيلة سنة 621 هـ، وفي السنة التالية انتقل معه إلى أشبيلية [10] وفيها نظم رسالة شعرية عن المأمون إلى أبي النجم هلال بن مقدم الخلطي [11] يشكره فيها على وفائه، أولها:

---

(1) الذيل والتكملة 368/8.

(2) المعجب 317 - 318.

(3) انظر صفحة الغلاف من ديوان الوسائل المتقبلة.

(4) التكملة 585/2. ونيل الابتهاج ص 240.

(5) المعجب 308 - 310.

(6) أعلام مالقة 133/67.

(7) برنامج الرعيني 102.

(8) الذيل والتكملة 862/8.

(9) المصدر السابق 55/1.

(10) البيان المغرب 270/3.

(11) كان هلال هذا زعيم إحدى الجماعات المغربية وقد ساعد المأمون ضد يحيى بن الناصر (انظر البيان المغرب 280/3 - 289).

طعن وضرب منسوبان للعرب   بالسمهرية والهندية القضب

وهي من جياد شعره وشائعه، وقد كلف يحيى بن الناصر أبا عبد الله بن الصفار المعروف بالبرنامج أن يرد عليها، فجاوبه بقصيدة أولها:

نسبت شر عبيد الله للعرب   جهلا بفضل رسول الله والنسب[1]

على أن جفوة بدت بين الفازازي وأبي العلاء لعلها نجمت عن استعانة المأمون بالروم على قتال المسلمين وإعطائهم شروطاً مهينة منها الموافقة على منحهم عشرة حصون وبناء كنيسة لهم، ولعلها كانت بسبب تبرمه من الخدمة لدى السلطان وإحساس أبي العلاء بثقل التبرم في مثل قوله:

(والعبد بحكمة القدر محكوم وإلى مضمة القصر مضموم ولو أني ملكت يدي ونفسي، وصرفت باختياري عقلي وحسي، لما نقلت قدماً فيما يعقب ندماً، ولا قضيت وطراً مما يركب خطرا)[2].

فلم يكن تبرمه بالخدمة خافياً ولا طارئاً، إذ قد سجله المؤرخون في تراجمه لكثرة جريانه على لسانه، قال ابن الخطيب: (وكان متلبساً بالكتابة عن الولاة والأمراء ملتزماً بذلك كارهاً له، حريصاً على الانقطاع عنه)[3]. وقال تلميذه الرعيني أنه كان (متبرماً بتنشبه في الخدمة)[4].

وأياً كانت أسباب الجفوة بين الفازازي ومخدومه فقد جعلت أبا العلاء المأمون يأمره بالتزام بيته شهوراً طويلة من سنة 626 هـ حتى قال ابن الأبار (دخلت قرطبة واشبيلية في وقتين مختلفين وهو بهما إذ ذاك، فلم أقدر في أحدهما على الوصول إليه لإلزامه داره بجفوة نالته من السلطان وذلك في سنة 626 هـ[5] وفي نثره إشارة إلى لزومه البيت لعلها تومىء إلى هذه الفترة، يقول فيها: (وها أنا الآن حِلْسَ البيت، وحيّ في معنى الميت، عاقتني من لجج الطير عوائق، وحالت بيني وبين الحدائق وأين الحدائق؟ وأما الناس فالجنسية

(1) النصان في البيان المغرب 280/3 - 282.

(2) مجموع ليدن (15) وانظر أنفته من الخدمة في إحدى رسائله ص 134 من المخطوطة.

(3) الاحاطة 518/3.

(4) برنامج الرعيني 102.

(5) التكملة 585/2 (رقم الترجمة 1641) كوديرا.

معدومة ووراء هذه الإشارة أمور مكتومة)[1].

وفي آخر هذا العام سافر إلى مراكش بطلب من المأمون وكان ذلك دليلاً على نهاية العقوبة وزوال الجفوة، قال ابن الخطيب (استقدمه المأمون على حال وحشة كانت بينه وبينه، فورد ورود الرضا على مراكش في شعبان سنة 627 هـ.

وفاته

توفي الفازازي بمراكش في شهر ذي القعدة سنة 627 هـ أي بعد حوالي ثلاثة أشهر من قدومه إليها، ذكر ذلك أوثق الرواة وأقربهم لعصر الأديب[2] فلا عبرة برواية من قال إن وفاته كانت سنة 624 [3]، ولا بما ورد خطأ في طبعة دار صادر من نفح الطيب من أنه توفي سنة 637 [4].

آثاره

ترك هذا الأديب آثاراً أدبية أغلبها في الزهد والمدائح والمواعظ والشفاعات، وقد أحصيت ما بين يديّ من أعماله المنظومة فبلغت ثلاثة وسبعين ومائة عمل بين قصيدة ومقطوعة، عدد أبياتها يزيد عن ستة وخمسين وستمائة وألفي بيت، أما الرسائل فقد أحصيت منها ستاً وعشرين رسالة تبلغ في مجملها مائة وتسعة عشر سطراً.

ويمكن حصر المؤلفات الباقية فيما يلي:

1 ـ ديوان الوسائل المتقبلة في مدح النبي ﷺ وهي القصائد العشرينية التي ألفها الفازازي في حاضرة قرطبة سنة أربعة وستمائة، ورواها عنه الحافظ يوسف بن مسدي المهلبي في شهر شعبان سنة أربع وعشرين وستمائة، وحدث بها في المسجد الحرام في هذا العام، وحدث بها آخرون في الاسكندرية وغيرها.

---

(1) مجموع ليدن ن ص 139.

(2) ابن الابار في التكملة 585/2 وفي المقتضب 133 والرعيني في البرنامج 102 وابن الخطيب في الإحاطة 522/3 والتنبكتي في النيل 240.

(3) غرباء الصلة الملحق بالذيل والتكملة 542/8.

(4) نفح الطيب 468/4.

وقد خمسها الشيخ أبو بكر بن مهيب، وذاع هذا التخميس في جنوب الصحراء الكبرى وبخاصة في غرب أفريقيا، وشاهدت الناس يقرأونه في عيد المولد النبوي في المدن المالية بعامة وفي مدينة تنبكتو بخاصة، وأكثر ما يقرأونه من ذلك مخطوطات تحتوي العشرينات وتخميسها، كما شاهدت بعض مخطوطاته في مدينة غدامس الليبية.

وقد أدت زيادة طلب الديوان إلى تكرار نشره في طبعات غير محققة في مصر ونيجيريا وبيروت، ولهذه العشرينيات تخميس آخر لمجهول في الموصل[1] برقم 99 ,17، قال بروكمان: (ولأن هذا الكتاب كثير التداول في السودان لصقت بصاحبه أسطورة أنه رسول الإسلام هناك)[2]، وقد وجدت العشرينيات من يشرحها فكان من أشهر شروحها (النفحة العنبرية في حل ألفاظ العشرينية) للشيخ محمد بن مسنة البرنوي، واختصر هذا الشرح الشيخ محمد بن غبريم الداغري في (النوافح العطرية) ولأبي العباس التنبكتي والد أحمد بابا شرح عليها سماه (شرح تخصيصات المعشرات الفازازية)[3].

2 ـ القصائد العشريات: وهي قصائد متساوية مرتبة على حروف المعجم الأندلسي يشتمل كل منها على عشرة أبيات، يبدأ البيت منها بالحرفه الذي يقوم عليه رويها، وأولها:

أجدّت بك الأيام والنفس تهرأ   كأنك من خطب المنون مبرأ

وهذه المعشرات مخمسة كالعشرينيات، غير أن موضوع العشرينيات هو المدائح النبوية، أما المعشرات ففي الزهد والمواعظ ، وقد شرحت عباراتها المجازية وفُسِّرَت ألفاظها اللغوية من قبل الشيخ محمد الزهري الغمراوي، إذ الملاحظ أن بناءها الأسلوبي يتميز بجزالة الألفاظ وغرابتها، فقد رَصَّعَها المؤلف كما قال الشيخ الغمراوي (بغرائب اللغة العربية والأساليب العجيبة المجازية، فأضحت روض فضل لكنَّ بابه مقفل ومخزن درر، لكن عزَّ من

(1) مخطوطات الموصل لداود الحلبي، بغداد 1927 م.

(2) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان 132/5.

(3) شجرة النور الزكية 286.

لِمدخلِهِ يتوصل)[1].

3 ـ محتويات مجموع ليدن، وهو الذي نقدمه في هذا السِّفر وسيأتي الحديث عنه.

4 ـ قصائد الشوق والغرام: ورد ذكرها في تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان[2] وحدد مكان وجود نسخة منها في فهرست الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية ج 2 - 4 سنة 1926 - 1934 م. وقد أرسلت في طلب هذه النسخة ثم علمت أنها لم تعد في سكانها من المكتبة المذكورة.

5 ـ الخطب التي كتبها لابن الحجام الواعظ، وقد جمعها ابن الحجام في كتاب كبير سماه (حجة الحافظين ومحجة الواعظين) قال المراكشي و (معظم ما أودعه فيه من كلام أبي زيد الفازازي) ثم اختصره أبو زكرياء بن طفيل في كتاب سماه (أنوار مجالس الأذكار وأبكار عرائس الأفكار)[3].

وإلى جانب هذه الخطب كتب الفازازي لابن الحجام أشعاراً تفتتح بها المجالس[4] وما أسماه بمجالس وعظ حيث ينقل محمد بن عبد الملك من لفظ الفازازي قوله: (كنت بحضرة مراكش أصنع مجالس وعظ في أنواع يقوم بها على رؤوس الناس الواعظ أبو عبد الله (... يعني ابن الحجام..) في يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع.. وكان يأتي منزلي فأكتبها له وكان يرغب إليّ أن أرفع صوتي عند الكتابة لأسمعه فما رأيت أسرع حفظاً منه)[5].

والفرق بين هذه المجالس وسابقتها في موعد إلقائها الذي يكون في الأولى يوم الجمعة، وفي الأخرى يوما الاثنين والخميس، وربما كان الفرق في طبيعة المادة المكتوبة شعراً ونثراً، وفي موضوعها أيضاً.

6 ـ وقد وردت الإشارة في برنامج الرعيني إلى معشراته الحبية

---

(1) مقدمة القصائد العشريات ص 2.

(2) تاريخ الأدب العربي (النسخة المترجمة، 132/5).

(3) راجع ما تقدم في الذيل والتكملة 267/8 وبرنامج الرعيني 102.

(4) ورد منها في هذا المجموع إحدى عشرة قصيدة.

(5) الذيل والتكملة 266/8.

والزهدية[1]، وهما مختلفتان في الموضوع كما عبر عن ذلك المؤلف نفسه في ترجمة المجموعتين المثبتة في الإحاطة[2]، وأظن أن المعشرات الحبية هي التي تقدمت الإشارة إليها باسم قصائد الشوق والغرام[3]، أما المعشرات الزهدية فقد سبقت الإشارة إليها باسم القصائد العشريات.

7 ـ الطرر التي ردَّ بها على المكلاتي، لم يذكر الرعيني الذي أشار إلى هذا الرد طبيعته[4]، غير أن المكلاتي من المهرة في علم الكلام وأصول الفقه والفازازي مشارك فيهما، فيحتمل أن تكون المعارضة في أحدهما.

8 ـ مادة التحقيق وجادة الطريق.

ذكره الرعيني في أثناء سرده لما قرأه عن الفازازي[5].

9 ـ خطاباته عن الأمراء والولاة، وفي هذا السفر منها قدر محدود أفرد له جامعه القسم الثالث بكامله، ولكن مدة كتابته قد دامت فترة طويلة لا يمكن أن يمثل هذا القسم سوى نموذج منها.

وفي مخطوطات مكتبة الأسكوريال خطاب من تلك الخطابات باسم أبي العلاء إلى الشيخ أبي عمران بن أبي حفص[6].

وأورد المراكشي خطاباً عن أبي العلاء إلى الشيخ أبي العباس المري[7] كما أثبت ابن الخطيب في إحاطته خطاباً آخر عن أبي العلاء إلى أخيه أبي موسى صاحب مالقة، ونقل عن علي بن موسى قوله: (وقعت في رسائل الكاتب الجليل شيخ الكتاب أبي زيد الفازازي، على رسائل في حق أبي محمد اليربطول، ومنه إليه)[8] وهذا القول كفيل بإعطاء صورة ضخمة عن

(1) برنامج الرعيني 102.

(2) الاحاطة 519/3.

(3) انظر رقم 5 في هذا المسرد.

(4) برنامج الرعيني 102. والمكلاتي هو يوسف بن محمد بن المعز المكلاتي الأحدب الفاسي دخل الأندلس مرتين فعظم صيته فيها (الذيل والتكملة 432/8).

(5) المصدر السابق 102.

(6) فهرس مخطوطات الاسكريال ثاني 538 رقم 6 والملحق ص 177.

(7) الذيل والتكملة 55/1 - 57.

(8) الاحاطة 458/3.

مجموع هذه الرسائل.

10 ـ رسائله الاخوانية خصص جامع السّفر الذي بين أيدينا جانباً منه للرسائل الأخوانية،والمعتقد أنه جانب محدود كسابقة،لا يمثل سوى نموذج من تلك الرسائل،أو كما عبر الجامع في مقدمته بقوله: «وله رضي الله عنه من فوائد القصائد في ضروب الفوائد،وشذور المنثور في الإعجاز والصدور جملة وافرة غير الذي أثبتُ تشذ عن الحصر ويعترف لها بإحراز الإعجاز نبهاء العصر،وإنما دللت على نيّر صباحها بغلس واكتفيت ضرورة عن نفحات أزهارها بنفس)[1].

وفي بعض المصادر التي وصلتنا رسائل غير ما في المجموع منها رسالتان كتبهما إلى أبي القاسم صاحب العطاء الجزيل نقلتهما ضمن ما جمعته في الملاحق[2].

11 ـ المنظومات الشعرية المتناثرة في المصادر، وقد جمعت منها ما تمكنت من جمعه في ملاحق هذا السفر.

12 ـ ورد في رسالة منه إلى البلوى وصحبه ما يفيد أنه شارك في نظم الموشحات، يقول الفازازي: (فأما ما عرّض به السادة ـ أعلى الله أقدارهم ـ من بعث الموشحة التي قصدت بها الشكر لا الذكر فكيف وقد أكسبتني رؤية الفضلاء العقلاء)[3].

---

(1) مقدمة المؤلف ص 36.

(2) العطاء الجزيل مخطوطة بالخزانة الحسنية تحت رقم 6148 ص 8.

(3) العطاء الجزيل ص 10.

التعريف بالمخطوطة

تـركز تحقيق هـذه المخطوطـة على نسخة وحيـدة في العـالم حسب مـا توصل إليه اجتهادي المتواضع في تتبع مظان وجود آثار الفازازي المخطوطـة، وهي من محتويات مكتبة ليدن بهولندا ضمن مجمـوع يحمل رقم (479) ويقـع في (117) ورقـة، أما مجمـوع أوراق آثار الفـازازي في هذه المخـطوطة فيبلغ خمساً وخمسين ورقة مكتوبة على الجـانبين، وقد رمـز للجانب الأول من كـل منها بالحرف (أ) وللجانب الثاني بالحرف (ب).

ويصـل حجم الإطار الخـارجي للورقة المصـورة 19 ,29 وحجم الإطـار المكتوب من 14,5 , 20 أما المـادة الشعريـة فتضيق عن ذلك بحسب اختـلاف طول تفعيلاتها، وتتراوح المسطرة بين 22 و 23 سطراً.

والمخطوطة مجهولة الناسخ وتاريخ النسخ، غير أنهـا بخط أندلسي وفي حـالة جيـدة، قليلة التصحيفات، وذات عنـاوين مميزة بخط غليظ، وقـد بدت على أوراقها محاولتان لترقيمها من قبل بعض الدارسين أو المكتبيين الغربيين.

ولئن تمتعت المخطوطة في عمومها بـالحالـة الجيدة فـإن بها بيـاضاً في بعض السطور وبخاصة في صفحتها الأولى وطمساً يدل على نقص واضـح في الأوراق التالية: 33 أو 48 ب و 49 أ، ولا يوجد في خاتمها ما يشعر بـانتهائهـا،

بل انتقال مفاجىء إلى مخطوط آخر لا صلة له بما قبله في الشكل والموضوع، ولأهمية المخطوطة في التعريف بالفازازي وتراثه وعصره، ولوضوحها بالقدر الكافي في الغالب الكثير رأيت العمل عليها رغم الصعوبات التي تقابل الباحث المحقق عادة عند اعتماده على مخطوطة وحيدة.

ولقد سعيت لتعويض النقص المترتب على انعدام نسخة أخرى من المخطوطة بجمع كلّ ما تيسر من نتاج الأديب مخطوطاً أو مطبوعاً من مصادره الأندلسية والمغربية والمشرقية، وذلك بغرض مقابلة نص المخطوطة بما يمكن أن يساعد على إضاءتها من جهة، وبقصد إكمال جمع تراث الرجل من جهة أخرى.

عنوان المخطوطة ونسبتها إلى الفازازي

لم يضع جامع هذه المخطوطة عنواناً رئيساً لها واقتصر على القول في مقدمتها (فإني أودعت هذا الجزء جملة ما وقع إليَّ من كلام شيخنا... أبي زيد عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد الفازازي)[1] وقد سماه بروكلمان بالأعمال المنظومة والمنثورة[2].

ومما يؤكد نسبة كامل المخطوطة إلى المؤلف تكرار الإشارة إلى اسمه، والعثور فيها على نصوص منسوبة في غيرها إلى الفازازي، فضلاً عن اتحاد الخط والأسلوب والنسق في كلّ أجزائها.

وقد تبين من المقدمة أن واضعها أحد تلاميذ الفازازي واحتمل بروكلمان أن يكون أبا بكر ابن سيد الناس، ولكنه لم يأت على ذلك بدليل يسند احتماله، على أن للفازازي تلاميذ آخرين اشتهر بعضهم بالتقييد والتأليف والضبط، وكان منهم من يقرأ مرويات شيخه عليه مثلما فعل الرعيني[3] ولابن الحجام كتاب في الوعظ سماه (حجة الحافظين) معظم ما أودعه فيه من كلام الفازازي[4] وقد أملى عليه أديبنا (مجالس وعظ في أنواع يقوم بها على رؤوس

---

(1) المقدمة ص 34.

(2) تاريخ الأدب العربي 131/5.

(3) برنامج الرعيني 102.

(4) الذيل والتكملة 267/8.

الناس) وكان ابن الحجام يحفظها في حين إملائها[1].

وروي عن الفازازي فيمن روى يوسف بن مسدي المهلبي ديوان الوسائل المتقبلة، وحدّث به في المسجد الحرام سنة 624، وروى ابن التونسي عن أحد طلاب الفازازي في الإسكندرية[2]، وأخذ عن مترجمنا ابنه أبو عبد الله، وأبو عبد الله الطراز الغرناطي [3] وأبو يحيى سليمان بن حوط الله وغيرهم وهم كثر. فهل يمكن وسط هذا الجمع من تلاميذه أن نخص ابن سيد الناس دون دليل؟

والذي أرجحه أن كاتب هذا المجموع هو أبو عمرو سالم بن صالح الهمداني المالقي أحد تلاميذ الفازازي المشهورين بالضبط والتقييد [4] قال ابن عبد الملك: (وهو كان مثير أدباء مالقة في عصره إلى ما يصدر عنهم من نظم أو نثر في أحوال تطرأ وأغراض تنشأ، فيقيدها عنهم وينشر بها محاسنهم عُنيَ بذلك كثيراً)[5] وقال في موضع آخر: (وكان مولعاً بانتساخ الكتب الصغار والكراريس)[6] وقد علمنا من حياة الفازازي أنه أقام فترة في مالقة، ومن المخطوطة أنها كتبت بطلب من أبي علي الحسن بن محمد بن هاشم العبدري المالقي، والمعروف أن الفازازي صحب تلميذه أبا عمرو في مالقة، فلا بد أن يكون أولى من يحرص على جمع تراثه من الأدباء. لا بل ثبت يقيناً أنه دون رسالته إلى أبي العباس التميمي،: قال ابن عبد الملك (ونقلتها من خط المقيد الضابط أبي عمرو سالم راويها عن منشئها أيضاً وعليها خط الكاتب أبي زيد المذكور)[7].

والجدير بالذكر أن ناسخ المجموع قد كتبه في حياة الفازازي ناقلاً بعضه من خطه ومعتمداً على ضبطه، أما باقيه فقد نقله ممن نقله عنه، قال في

---

(1) المصدر نفسه ص 266.

(2) رحلة ابن شهيد 13/3 - 14.

(3) الذيل والتكملة 210/6.

(4) الذيل والتكملة 3/4 وبرنامج الرعيني 105. والمغرب 433/1.

(5) الذيل والتكملة 6/4.

(6) المصدر نفسه 5/4.

(7) الذيل والتكملة 57/1.

المقدمة: (وهذا الذي أثبت هنا من كلامه ورائق نظامه منه ما نقلت من خطه واعتمدت فيه على ضبطه وسائره ملتقط من عند من نقله مفتقر إلى أن يتصفحه ـ رضي الله عنه ـ ويتأمله).

منهج العمل

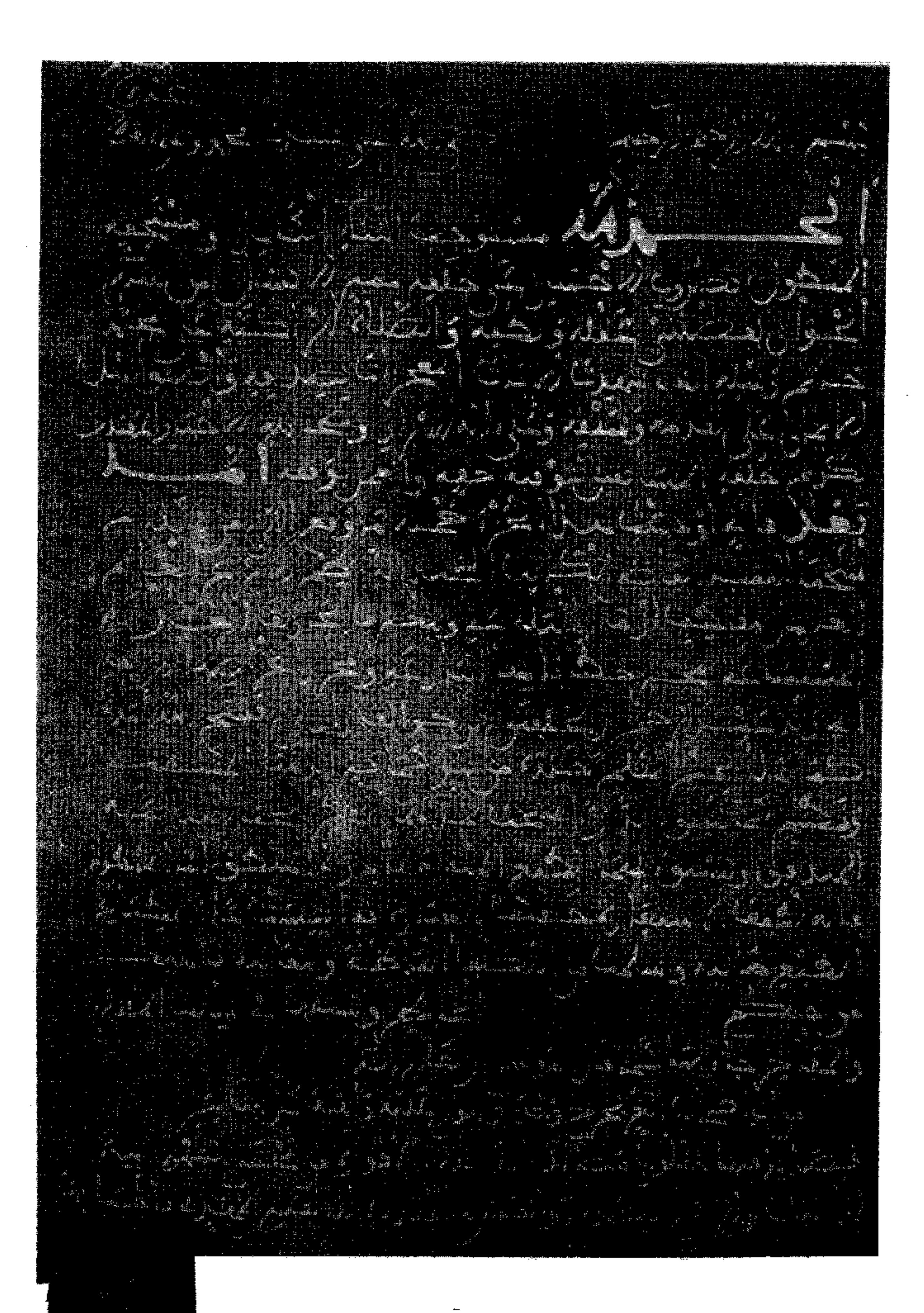
وقد اقتضى العمل في المخطوطة خطوات ضرورية لإخراجها في أقرب صورة للكمال، كان أولها النسخ والمراجعة والضبط، ثم مقابلة ما توفر من نصوص في المصادر الأخرى مع الأصل.

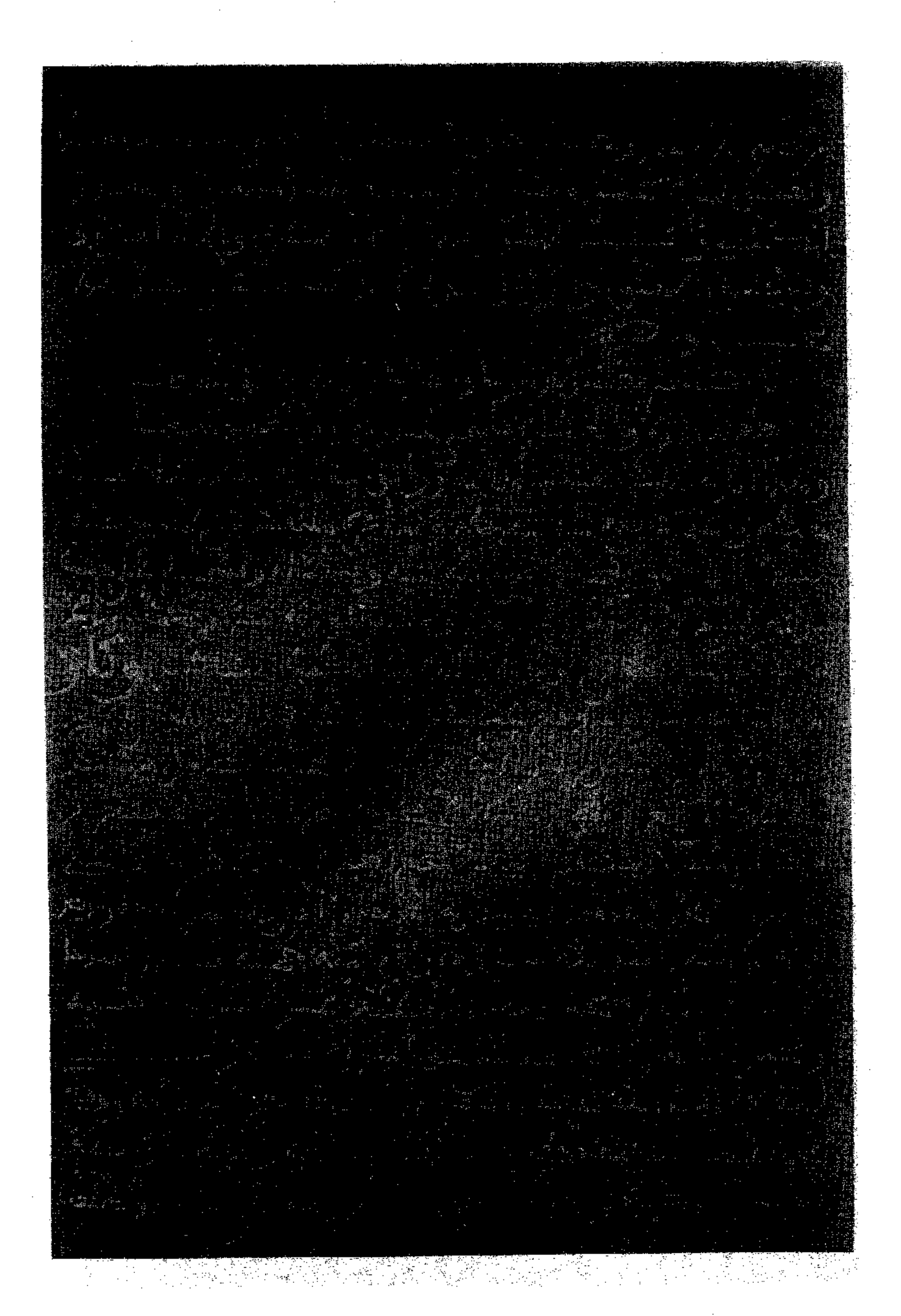
وقد اقتضت التصويبات وضع ما لم يرد في النص بين معكوفين ليعلم أنها مضافة إليه مع الإشارة إلى مصدرها في الحاشية.

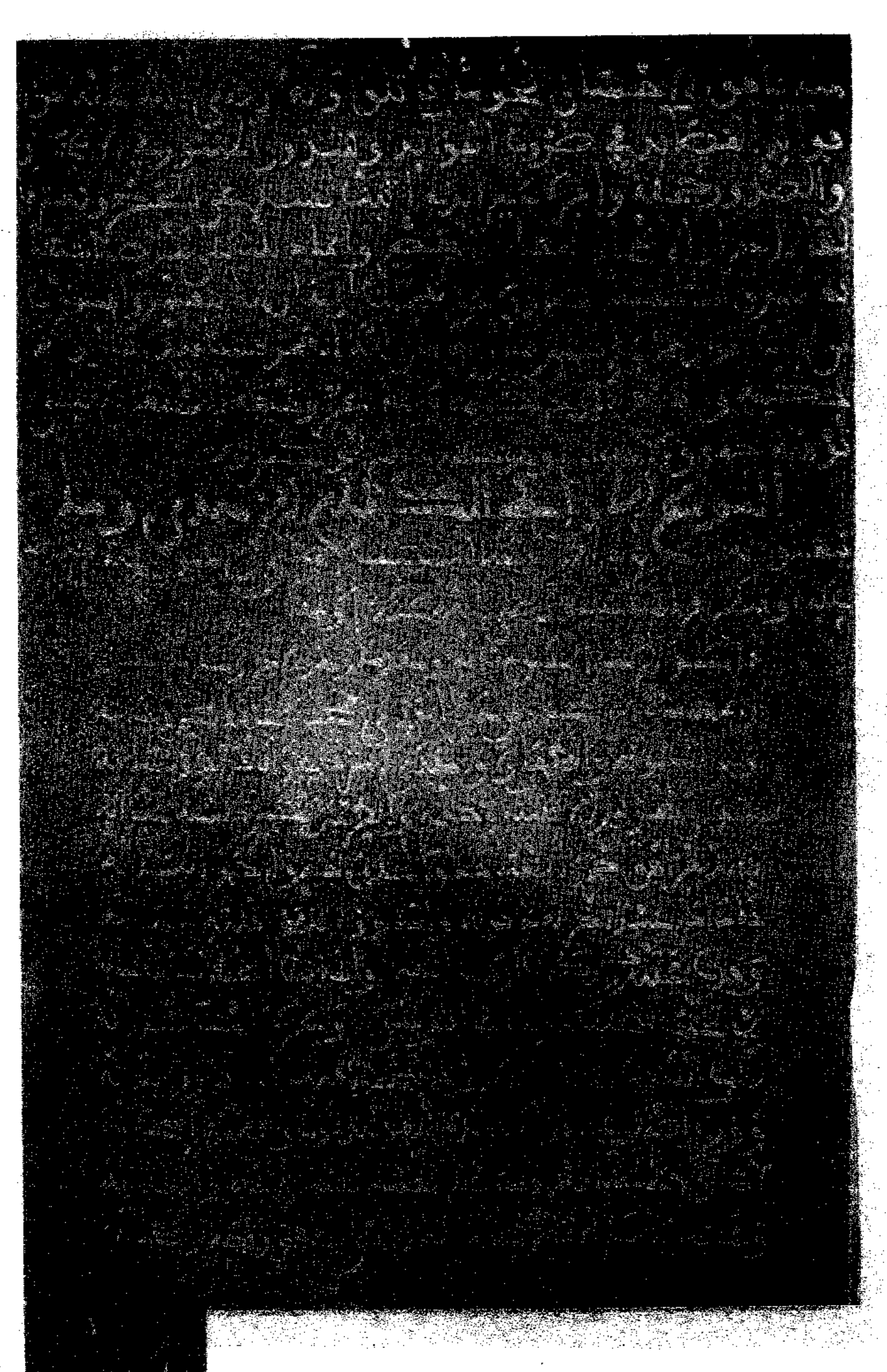
أما الحواشي والهوامش فقد جاءت عند اللزوم شارحة لما غمض من الألفاظ أو معرِّفة بالأعلام أو ما إلى ذلك من أغراضها المتعارف عليها، على أن المراعي فيها دائماً عدم إثقال النص بالاستطرادات ذات الصلة الضعيفة بصميم البحث.

المصطلحات والرموز

[ ]	ـ معكوفات لاحتواء ما يضاف إلى النص مما يتم المعنى.
(. . . . .)	ـ نقاط للإشارة إلى ما نقص في الأصل وترك موضعه بياضاً.
الأصل	ـ يراد به مجموع ليدن.
× × ×	ـ للفصل بين القطع المتلاصقة في الأصل.
ت	ـ المتوفي.
هـ	ـ للهجرة.
ح	ـ حاشية.
(أ)	ـ وجه المخطوطة
(ب)	ـ ظهرها.







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الحمد لله مستوجب الثناء الكامل ومستحقّه، المتطول بضروب الإحسان على خلقه، مميز الإنسان من سائر الحيوان بفضيلتي عقله ونطقه، والصلاة الزاكية على محمد خاتم رسله الذي شهدت الآيات المعجزات بصدقه وأصفق[1] أهل الإيمان على تقدّمه وسبقه وعلى آله الأبرار وصحابته الأخيار المقتدين بكريم خلقه، المسابقين لتوفية حقّه والعمل بوفقه.

أما بعد، فإني أودعت هذا الجزء جملة ما وقع إليّ من كلام شيخنا الفقيه الفاضل الكاتب المجيد؛ الناظم، الأروع، العالم، العامل، مقتطف أزهار البلاغة، ومغترف بحارها العذبة المستساغة، محبّر خطاباتها البارعة، ومحرر أغراضها الرائعة: أبي زيد عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد الفازازي ـ فسح الله أمده[2]، كما ملأ بحكم الكلم خلده، من نثر كما نثر الذهب المنتهب، ونظم كما نظم الدر المنتخب، يمدها الفكر بحيا البلاغة المتدفق، ويسبق بهما الطبع المنقاد بادرة المنطق. أما المنظوم فإنه لطيف الاستعارة، خفيف العبارة، قد أسّست على انطباع الطبع مجانيه وسلمت من

(1) اصطفقوا: أطبقوا واتفقوا (القاموس).

(2) هذا دليل على كتابة هذا السفر في حياة المؤلف.

التكلّف ألفاظه ومعانيه، ناهيك من حكم (. . . . . . .)[1] الخاطر ونسقها في سلك المآثر والمفاخر، جاء بها كما قال موسى بن جابر:

من الواضحات الغر يخرج وحده ... ويلوي عليه رأسه كلّ شاعر[2]
قصائد فيها للقلوب مصائد ... ألذّ لدى الأفواه من مجتنى الشهد
هي (. . .) للألباب والريّ للصدى ... وأنفس ما يهديه للأنفس المهدي
بإحسانها يرضى الرضيّ وحسنها ... ويستنشق الصابي صباها ويستهدي
ويعشى لها الأعشى ويعنى بدرسها ... حبيب ومهيار ومعبد والكندي

وأما المنثور فالروض المنسق، والماء المروّق، والرحيق المغتق، والرونق الذي لا يذهبُ الزمانُ جدَّتَهُ ولا يخلق:

نثر كما نثر الصّبا زهر الربا ... وأجال في الروض الأنيق نسيما
جمع الإنارة والعطارة فانتمى ... للبدر نوراً والعبير شميما

وهذا الذي أثبتّ هنا من كلامه ورائق نظامه منه ما نقلت من خطه واعتمدت فيه على ضبطه، وسائره ملتقط من عند من نقله مفتقر إلى أن يتصفّحه ـ رضي الله عنه ـ ويتأمله[3].

وقسّمته على حسب تنوعه، فمن ذلك نوع فيه الزهد وما يتعلق به نثراً ونظماً، ونوع ثان في الترسيل الأخواني، ونوع ثالث في الكتب السلطاني.

وكان الموجب لتقييد ما وقع عندي من كلامه على هذا الترتيب أن الأخ الولي الأوفى الأكرم الأبر الأحفى الفقيه المحدث الحامل المسند الحسيب الأرفع الأحد، الأسنى، الأمجد، حاتم المكارم في مصره، وحامل أعباء الفضائل التي لم تجمع لغيره في عصره، أبا علي الحسن بن محمد بن هاشم العبدري المالقي أثّل الله سؤدده، ووصل إليه من النعم المتوالية ما عوّده، رأى

---

(1) فراغ قدر كلمتين لعل معناهما: «وأحكم نسجها».

(2) موسى بن جابر بن أرقم الحنفي شاعر مخضرم من اليمامة (ورد ذكره وبعض شعره في معجم الشعراء للمرزباني 285 وخزانة البغدادي 301/1: والآمدي 165 وشرح المرزوقي 326 والتبريزي في مواضع مختلفة والأعلام للزركلي 269/8.

(3) وهذا دليل آخر على حياة الفازازي عند جمع أعماله هذه.

منه جملة سألني أن أقيِّدها له، إذ كلّ كلام شيخنا رضي الله عنه ـ يُميل القلوب إلى حبّه ويحيل الأذهان الحائمة على عذب شرحه، فبادرت إسعافه، وَصل الله تحلّيهُ بالمعالي واتّصافه، جزاءً لبرٍّ قدَّمه، ووفاء بحق الأخاء التزمه، فطرزت ما أثبت بذكره ومزجت رحيقه بسلسال شكره. وأوردت جميع ذلك هنا على نسق، وأطلعت منه بأفق الإحسان نجوماً تتألق، وله ـ رضي الله عنه ـ من فوائد القصائد في ضروب الفوائد، وشذور المنثور في الإعجاز والصدور، جملة فوائد غير الذي أثبت تشذُّ عن الحصر، ويعترف لها بإحراز الإعجاز نبهاء العصر.

وإنما دللت على نيّر صباحها بغلس، واكتفيت ضرورة عن نفحات أزهارها بنفس، واقتصرت من لمحات أنوارها على قبس، فإن نفّس الله العمر فسأقيد شارد حكمه، وأتتبع بارع كلمه، والله عزّ وجهه المستعان على توفية حقوق الإخوان، وهو حسبي ونعم الوكيل.

النوع الأول

في الكلام الزهدي وما يتعلق به

ـ من ذلك رسالة كتب بها إلى رسول الله ـ ﷺ ـ قرأتها عليه ـ رضي الله عنه ـ أولها:

يا سيّد الرُّسل المكينَ مكانُه ... ومقدّم وهو الأخيرُ زمانُهُ

والمصطفى المختار من هذا الورى ... فمحلُّه عالي المحلِّ وشأنُهُ

ومن النُّبُوةِ والطهارة والهدى ... شرفٌ حواه فؤادُهُ ولسانُهُ

عنوانُ طِرسِ الأنبياءِ وخَتْمُهُ ... والطرس يُكْمِلُ حُسْنَهُ عنوانُهُ

فالدهرُ أفقٌ أحمد أصباحه ... والخلق جَفْنٌ أحمد انسانه

ناداك عبدٌ أخَّرتْهُ ذنوبُهُ ... والشوق تلفح قلبه نيرانه

وَفَدَتْ عليك ركابُ أربابِ التُّقى ... والمذنبُ الخطّاء كُفَّ عنانه

لمّا تخلف للتخلّف مذنبا ... في المذنبين وعزّه أمكانه

كَتَبَ الكتابَ لعلّه إن لم يَزُرْ ... باللَّحْظِ قَبْرَكَ أن يزور بنانُه

ووراء أضلاعي فؤاد قيدُهُ ... إلفُ الذنوب وسجنه أشجانه

لكن حبّك شافع ومشفع ... يغشي محبّك يمنه وأمانه

وعليك يا خير الأنام تحية ... كالروض صافح روحه ريحانه

ممن يزورك خطّه وكلامه ... إذ لم يزرك لذنبه جثمانه

---

(1) القصيدة في أزهار الرياض 31/4.

السلام الكريم العميم، والرحمة التي لا تبرح ولا تريم، والبركة التي أولها الصلاة وآخرها التسليم، على حضرة الرسالة العامة الدعوة، والنبوة المؤيدة بالعصمة والأيد والقوة، ومثابة البر والتقوى.

فهي لقلوب الطيّبين صفا ومروة، مقام سرّ العالمين طرا وهاديهم عبداً وحراً، ومنقذهم من أشراك الهلاك، وقد طال ما ألفوا العيش ضنكاً والدَّهر مرّاً، ومقرُّ الأنوار المحمدية، والبركات السرمدية، متّع الله الإسلام والمسلمين بحراسة أضوائها، وكلأة ظلالها العلية وأفيائها، وأقرّ عين عبدها بلثم ثراها، والانخراط في سلك من يراها.

السلام عليك يا محمد، السَّلام عليك يا أحمد، السَّلام عليك يا أبا القاسم، سلام من يمدُّ إليك يد الغريق، ويرجو الإنقاذ ببركتك من نكد الضيق، ويتقطَّع أسفاً ويتنفس صعداً كلّما ازدلف إليك فريق، وعجزت نحوك طريق، ولا يفتر صلاة عليك له لسان، ولا يجفّ ريق.

كتبته يا رسول الله وقد رحل المجدّون وأقمت، واستقام المستعدون وما استقمت، وبيني وبين لثم ثراك النبوي، ولمح سناك المحمدي مفاوز لا يفوز بقطعها إلا من طهّر دنس ثوبه بماء توبه، وستر وصم عيبه بطهر غيبه، فكلّما رمت المتاب رددت، وكلّما يممت الباب صددت[1].

وقد أمرنا الله تعالى بالمجيء إليك، والوفادة عليك، ومن لي بذلك يا رسول الله، والآثام تثني وتبعد، والأيام لا تدني ولا تسعد، وبين جنبيّ أشواق لا يزال يهزّني منها المقيم المقعد. ولئن كنت ممن خلّفته عيوبه وأوبقته ذنوبه، ولم يرض للوفادة وهو مدنّس على ذلك المقام وهو المطهّر المقدَّس، فعندي من صدق محبّتك، وحبّ صحبتك والاعتلاق بذمّتك ما يقدِّمني - وإن كنت مبطئاً، ويدنيني وإن لم أزل مخطئاً.

فأشفع لي يا رسول الله في زيارتك، فهي أفضل المنى وتوسّل لي إلى مولى بين فضيلتك وتقبّل وسيلتك في النقلة إلى هناك من هنا، واقبلني وإن كنت زا (. . . .)[2] واقبل عليّ وإن أصبحت إلى الإثم متجانفاً، فأنت عماد

(1) في الأصل: وأما.

(2) في الأصل: لا. ولعل الكلمة هي (زائفا).

أمّتك جميعاً وأشتاتاً، وشفيعهم أحياء وأمواتاً.

ومن نأت به الدّار، وقعدت بعزمه الأقدار، ثم زار خطّه ولفظه فقد عظم نصيبه وحظّه، وإن لم أكن سابقاً فعسى أن أكون مصلياً، ولم أعدّ مقبلاً فلعلي لا أعدُّ مولياً. .

ووحقك، وهو الحقّ الأكيد، والقسم الذي يبلغ به المقسم ما يريد، ما وُخدت إليك ركابٌ إلّا وللقلب أثرها التهاب، وللدّمع بعدها سح وانسكاب، ويا ليتني ممن يزورك معها ولو على الوجنتين، ويحيّيك بين ركبها ولو بالمقلتين.

(وما) الغنى دونك (إلا) بوس وإقلال، ولا الدنيا ولو طالت وعرضت إلّا سجون وأغلال، والله تعالى يمنُّ على كتابي بالوصول والقبول، وعلٍّ بلحاقه ببركتك ولو بعد طول. ثم السلام ورحمة الله ـ تعالى ـ وبركاته عليك يا سيد الخلق، وأقربهم من الحقّ، وأولاهم بإحراز قصب السّبق، ومن طهّر الله مثواه وقدسه وبناه على التّقوى والرضوان وأسّسه، وآتاه من كلّ فضل نبوي أعلاه وأسناه وأنفسه.

وعلى ضجيعيك السابقين لمهاجريك وأنصارك، الفائزين بصحبتك العليّة وجوارك، وعلى أهل بيتك المطهرين أوائل وأواخر، المشهرين مناقب ومفاخر، وصحابتك الذين عزّروك ووقّروك وآووك ونصروك وقدّموك على الأنفس والأهل والأموال، وآثروك.

وأقرؤك سلاماً تنال بركته من مضي من أمتك، وغبر، ويخص بفضل الله تعالى وجاهك من كتب وسطر ـ إن شاء الله تعالى ـ وكتب[1] عبدك المستمسك بعروتك الوثقى اللائذ بحرمك الأمنع الأوقى، المتأخر جسماً المتقدم نطقاً عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد الفازازي ـ عفا الله عنه ـ.

والسلام عليك يا رسول الله، ﷺ تسليماً كثيراً.

(1) كذا: والمقام يقتضي كلمة (كتبه).

وكتب إلى بعض المشهورين بالعلم والدين

رأيت بني الدنيا يؤمل نفعهم ... على بخل أيد واختلال مكاسبِ
وأجدر بالتأميل في كل معضل ... بنو الدين والراجون حسن العواقب
هم القوم لا ينفعك راجي نوالهم ... لدى طلّ أدواح وطلّ سحائب
غيوث جدوب أو شموس معارف ... هضاب حلوم أو نجوم غياهب
وإنّ بأكناف المرية منهم ... لفذُّ السجايا والحلى والمناقب
بقيةُ من في الكتب ديناً وسنة ... فشاهِدُهُ قد ناب عن كلِّ غائب
تكسّب من علمي كتابٍ وسنةٍ ... كريم المساعي في سديد المذاهب
ولم يبتدعْ في الدين بدعة غيرِهِ ... ولا شذَّ عن بادٍ من الحق لا حب
وما قلت إلاّ بالذي قد أفادني ... تواتر نقلٍ من ثقاتِ الأصاحب
ولولا اتّقاءُ المدح أطنبتُ مثنياً ... على فضلِهِ قيلُ امرىء غير كاذب
إذا كان مدحُ المتقين فضيلةً ... فمدح أبي إسحاق آكد واجب
تشوقتُ فيه فاستنبت صحيفتي ... وربَّ كتاب نائب عن مُكاتِب

السّلام على إمام المعارف العارف، وغمام العوارف الواكف، وشيخ الطريقة المثلى، والأحق بالحقيقة والأولى، المقتفي لسنن السنن، والمنتفي من خدَع البدع، والغيث المنهمل على أوام[1] المتبعين، والسيف المنسل على هام المبتدعين، أبقاه الله وحجته قاطعة ومحبته علماً وعملاً ناصعة، والنفوس الصدية بتذكيره مجلاة، والأنفاس العاطلة بتبصيرة محلاة.

كتب العارف بمقداره، الشيّق[2] لأجله إلى حيرته وداره، المشتمل على تعظيمه وإيثاره، المجتهد في اقتفاء سننه واتباع آثاره، العازم على زيارته - إن شاء الله تعالى - متبرّكاً، الحريص على مجاورته - بحول الله تعالى - متلافياً لعمره الضائع مستدركاً، فلان.

وحمد الله واجب التقديم في كل أمر مهم، وأمام كلِّ مبتدأ تحب أن يتم، وشوقي إلى سيدي وأستاذي وملجئي في الاقتداء وملاذي، لا يزال زنده

(1) الأوام: العطش أو حرّه.
(2) الشيّق: المشتاق.

يقـدح، وورقه أثنـاء الضلوع تصدح، ولـو كانت مخـاطبتي إياه بحسب حبي، وعلى مقتضى محلّه الأثيـر في قلبي لكـانت المهجـةُ طـرسـاً، والمقلة نفسـاً، ولأصبحت الأنفاس كلاماً والجوارح أقلاماً.

فقدرُكَ أيها الأستـاذ غير خـافٍ على من مُنح تـوفيقاً، ورزق قلبـاً مفيقاً، نفع الله برؤاك السالكين، ونبَّه بآرائك التاركين، بمنه..

والأخ فلان عبَّدَ الله له الطريق على يديك، وسنّى له أسباب الإقامة... لديك؛ قطعة يصلحها علاجك، وفائدة (....)[1] لها استدراجك، وبـه رغبة في السلوك، والطرق شتى، وأمل قوي في الاقتداء بـك إن أمكن وتأتى، وهو متردد بين همّة ترقيه إلى الدَّرجة العليا، وحالة تحرّكه الحين بعد الحين لطلب الدنيا، ومن كَثُرَتْ عِلَلُهُ وأثّرت غلله فليس لـه إلّا طبيب يتعهده ببـلال، ويعيد عليه ما فقد من ابلال[2].

وقد أمّك[3] والنجح يقدمه، والتوفيق يقدمه، وزاده حبّه ومركوبه قـدمه، فإذا وصل بمشيئة الله تعالى ومعـونته، ورزق منـك قبولاً وإليـك وصولاً، فقـد أودعتـه مقصدي من الإلمـام بتلك النّاحيـة والاعتذار بـالأعـذار التي هي غيـر خافية، وما أحوجني إلى الطبِّ والداء قد تمكن. وأولاني بالإقلاع والفرض قـد تعيّن، وأحقني بـالاستبصار وقـد وضـح الصبـح لـذي عينيين وتبيّن. لعـل الله تعالى ييسر لي ولهذا الصاحب حالاً يسرّ خدمته، وتكسب حكمته، حتى نكون (4 ـ ب) أحد حسناته المشهورة، وبعض قرباته المدونة المسطورة، فمـا ذلك على الله بعزيز.

والله تعالى يبقيه لغريق يأخذ بيده، ومـائل يقيم من أوده، ولا يعـدمه من التوابين المتطهرين من زيادة في عَدده وعُدده بمنه:

خـذها إليـك أبا إسحـاق عن عجـل	عنـوان ودٍّ كـريم الخُبـر والـخَبـر
صحيفـة صدرت والشّـوق يحفـزهـا	والقلب يتبـعهـا والـجسـم بـالأثـر

(1) بياض في الأصل ولعل تمام الكلمة (يطالها).
(2) بلّ وأبلّ من مرضه: نجا.
(3) أمّك: قصدك.

أمّت فنـاءك تستسقيـك من ظـمـأ أضنى الفؤاد وتستشفيك من (ضمر)
وفي لقـائـك بـرٌّ عـاجـل ورؤى إن كـان في الغيب إنسـاء من العمـر
من أخطأ السَّمت والظلماء عـاكفة لم يهـد مقلتـه إلاَّ سنى القمـر

وكتب لشيخنا الزّاهد أبي بكر بن قسوم(*)

ـــــــــ (وقرأته عليه). . . .

السلام الكريم العميم ورحمة الله وبركاته على من اعتقد حبّه قربة، ورأى لقاء الأهل دونه غربة، وأودّه ذاتاً وجيرة وتربة، أخي في الله تعالى الشيخ الفقيه الفاضل المبارك الموفق، وكنت أزيد لولا أنه لا يريد.

أما بعد. . يا سيدي أراك الله أملك، وختم بالخيرات عملك، فإني كتبته وحالي في نفسي وبيني وأهلي صالحة ـ والحمد لله رب العالمين كثيراً ـ ومن نكد الدنيا فرقة أمثالك، والبين عن المنتحلين لانتحالك، فالله تعالى يعلم أني أحبّ تلك الطريقة السنيّة وإن لم أسلكها، وأكره هذه الحالة الدنية وإن لم أتركها، وإن التوبة لمنوية، وإن الثقة بلطف الله ـ تعالى ـ لقوية.

وما أقدر الله أن يقبل عثاري، ويفكّ من ربقة المعاصي إساري، وينقلني من سموم الأعراضِ إلى نسيم الإقبال، ويفرغني للنظر فيما لا بد منه من وشيك الانتقال، ويلطف لي فيما امتحنت به من ضعائف أيامي، وأصاغر أطيفالي، حتى يعاودني روح من الخير كنت تنسمته، ويراجعني روح من البرّ كنت توسمته، ثم ركد ذلك وقد كاد (5 ـ أ) أن يمطر، وصوّح هذا وقد قارب أن يزهر، والعبد بحكمة القدر محكوم، وإلى مضمة القصر مضموم، ولو أني ملكت يدي ونفسي، وصرّفت باختياري عقلي وحسي، لما نقلت قد ما فيما يعقب ندما، ولا قضيت وطراً مما يركب خطرا.

وعلى ذلك فلا يأس من روح الله، ولا مفر إلاَّ إلى الله، فأعنّي يا أخي، أعانك الله على الخير، ووقّاك الحاجة إلى الغير، بذكرى متى تنبّهت من غفوة، وتلهّفت لهفوة، وأمدني بدعوة يخلصها القلب الحاضر، وثلث الليل الآخر.

(*) أبو بكر بن قسوم شاعر زاهد قصر شعره على الزهد (انظره في الذيل والتكملة 43/6، وبرنامج الرعيني 92 والتكملة 354).

ولا تجعل دعاءك بيضة العقر[1]، ولتكن حاجتي منك على ذكر، فالغريق لا يستغني عن أخذ بيده وإن كان سابحاً، والمذنب لا يستبد دون مستغفر لذنبه ولو عاد صالحاً. وقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «المرء كثير بأخيه»[2] ومن كان بمثلك كثيراً زاحم بعود[3]، واستسقى وابل مطر جود، وانتظر النجاح لطلبه، والصلاح من قلبه ـ إن شاء الله تعالى ـ .

وقد وصل فلان وأدى ما حمّلتموه من قول حسن، وترجية تلقاها قلبي بسماع وأذن، فجزاكم الله في ذلك القول، وجزاه في هذا النقل جزاء لا تعدمون بركته محيا ومماتا، ولا تفقدون يمنه جميعاً وأشتاتاً، بمنّه وكرمه . .

وكتب للزاهد أبي عمران بن أبي عمران(*)

السّلام الكريم العميم، والرّحمة التي لا تبرح ولا تريم، والبركات المتصلة الإلمام، الدائمة التخيم على حضرة البنية الصالحة، والحتم[4] الموجود فيه معنى الفاتحة، قطب المجاهدين وعلم المشاهدين، والخير الجامع علماً وعملاً بين الزّهد في الدنيا والرغبة في الدين، نفّس الله للمسلمين عمره، ونفعهم به، إذ لم يبق لهم غيره.

كتاب ملتزم الفرض من تعظيمه، ومغتنم الحظ من وصاته وتعليمه، المعدّ فخراً للأخرى ببركتي دعائه وتسليمه، محبه لله عزّ وجل: فلان.

وهو يحمد إليه الله سبحانه على نعمه التي يكثّ[5] عددها ولا يقطع (بشير) الشكر أبداً أمدها، وإنّ من أجلّها بعد الإسلام، ذكرى بالجميل بذلكم

---

(1) بيضة العقر: يقال إن الديك يبيضها مرة واحدة ثم لا يعود.

(2) ورد الحديث في كشف الخفاء للعجلوني طبعة دار إحياء التراث ط 3، 202/2، وقد رواه الديلمي والقضاعي عن أنس مرفوعاً ورواه العسكري عن سهل بن سعد مرفوعاً.

(3) جاء في مجمع الأمثال 320/1 (زاحم بعود أودع) أي لا تستعن إلاّ بأهل السن والتجربة.

(4) الحتم: الخالص.

(5) كث: كثر، وأكثر استعماله في الشعر، فلعل الناسخ أراد أن يكتب (يكثر) فسها عن إتمام كتابة الراء.

(*) أبو عمران موسى بن عمران المارتلي، وصفه ابن الأبار بأنه منقطع النظير في الورع والزهد (التكملة 687 والمغرب 406/1 والذيل والتكملة 243/6 والرعيني 95).

المقـام، على هفوات عنـدي وهنوات، وتضييـع شهـور جمـة وسنـوات، وقلة اكتراث لكل ماض وعدم إعـداد لكل آت، فسبحـان من أظهر يسيـر الجميل، وستـر كثيـر القبيـح، وخصني من اعتقـاد ذلكم الجنـان الـظّاهـر، وذكـر ذلكم اللّسان الشاكر بالبحر الربيح.

وجزاكم الله عنّي، أيها العلم الأهـدى، والقدوة علمـاً وزهداً، والخلف المحمود صدراً ووروداً جزاء من أحسن لنفسه ولغيره وناط بالخير الأخروي همة قصده وسيره، ونفعني بالباعث على محبتكم والرغبة في المثول بحضرتكم.

ويعلم الله ـ سبحانه ـ وهو أعظم الشّاهدين، وأكرم المشاهـدين أني أوثر الأنـدلس كلهـا وأحبّهـا وأحبّ من حلّهـا إجـلالاً لكم ولأمثـالكم، ورغبـة في الاقتـداء بعلومكم وأعمالكم، أمـا واللّقـاء لم يُقض وإبـرام العـزيمـة لا يعـدم النقض، فـإني أتوسّـل إليكم بالله عـزّ وجـلّ في أن تفـردوا لي منكم سَحَـراً[1] تجـردون فيه النيـة وتخلصون الـطّوية، وتقصـرون الرغبـة على تيسيـر أسبـاب المتاب، فقد تعددت عليَّ وعدمت لديّ.

فكلما أبرمت أمراً انحل، وكلما أضمرت عقداً اختل، وهـذه حالتي قـد شرحتها، وحاجتي على بناء تلكم الحضـرة قد أرحتهـا، وأرجو أن يـرزقني الله من سيدي قبولاً فيسعف، ويعين بدعائـه الصالـح هذا المـذنب المتخلف ـ إن شاء الله تعالى ـ.

فقد نفد عمره لهواً ولعباً، وقطع دهره دعوى وكذباً، والله ـ جلَّ وعلا ـ لا يقبل المتبهرج، ولا يستعمل إلاّ المتحرج وأنا منتظر تبـدُّل هذا الاختـلال على يديكم، وناظر بعين الاضطرار فيه إليكم.

فـاجعلوني يا سيـدي ـ من بعض حسنـاتكم، وأعـدّوا معـونتي في جملة إعـداداتكم، والله تعالى ينفعكم، وينفـع بكم، ويجـزيكم أفضـل الجـزاء عن سننكم القويم ومذهبكم، بمنه وعزته.

* * *

(1) السحر: قبيل الصبح، وهو من الأوقات التي يستجيب فيه الله دعاء عباده واستغفارهم.

ـ وكتب يخاطب صاحبا ويذمّ له الدّنيا وأحوالها ويصف تقلبها واختلالها ـ رضي الله عنه ـ

السّلام على فلان أكرمه الله بتقواه، وأبقاه بقاءً يرضاه، وحفظه ورعاه، ولا أعدمه على تغيّر الزّمن توفيقاً يعصم دينه وجاهاً يعضد دنياه.

كتبته ولا جديد إلا الرحمة الواسعة، والألطاف المتتابعة والحمد لله كثيراً، وودّي عبق الريّا أنيق المحيا، لم تحدث النّوى لنشره طيا، ولا انتقصت من قواه ـ والحمد لله ـ عزما[1]، وإن زمناً[2] ينبىء أمثالك ـ ويعدم أمثالك ـ لجدير بأن يطول عتابه وينتظر أقلاعه ومتابه، فأنت السّري الفعال الكريم العمّ والخال، المخصوص بخلق الخمر ممزوجة بماء زلال.

وإنك لَمَنْ يُتعد[3] بمعرفته، ويعدم المتصف بصفته، ويوثق بنزاهته وأنفته، وإن حللت محلاً لا يحل الأحرار، ولا يرعى فيهم الآل ولا الجوار، فأنت كالمسك إن قُصد كتمه ذاع شمّه، لا بل كالسيف إن حواه غمده خرق حده.

والحق عال وأن نوى حطّه، والطرس حال وإن ستر خطه، والزمن وإن كانت عادته إخمال أهل الكمال، وقسم حظوظهم الواجب لها اليمين بالشمال، فربما خرق العادة، وتدارك ما ضيع بالإعادة.

والقاضي فلان ممّن يصدق نظره، ويظفر بالأمل منتظره، وإن راب منه أول فسيحمد آخر، وإن عقل له سمع فسيكلأ ناظر، فهو حر وابن أحرار، وقد خبرته فحيّي هلا بذلك الاختبار، ولن يضيق صدرك المتّسع عما كنت ذكرته لك من الأعذار، فالحاكم ممتحن بإسعاف فل وفلان، مرتهن، والقلوب ـ كما تعلم ـ دخن كلّها واحن، أسأل الله تعالى (6 ب) صلاح ذات البين والمعونة على إصلاح الجانبين.

فالدنيا أنذر من أن يقود العقولَ خطامُهَا، أو يروق العيونَ حُطامُهَا،

---

(1) عزما: كذا ولعلها: (شيًا)، كما يقتضي المعنى والسجع.

(2) ينبىء: يباعد ويجافي.

(3) كذا ولعلها: يعتد.

فتقلّبها طبعيّ، والمرء فيها إما ناع أو منعي، والحال هـذه فالتـزاحم عليها غيّ أو عي، ولست أعنيـك، ولا أشير إلى ألفـاظك ومعـانيك، فـاخفض قليلاً من جناحك، واصبر على ما أعهده، من رفقك وسمـاحك، فكـأن قد وقـع الفراق بمـوت أو نوى، وغـادر المرء أو غـودر (. . . .)[1] حراً الفقيـه أبو فـلان جاب وجـال ودخل الأمصـار ولقي الرجـال، وقيد الإسنـاد خطا وحفـظاً والإرسـال، وأفنى عمره بين فَعَلَ رسول الله ـ ﷺ ـ أو قال.

وبالأمس كنّا دائرين بمركزه، مسلمين لميزه وتميـزه، فها هـو قد أضحى رهين اللَّحد، كأبي الزند ، صريعاً لصفيحة الردى على صفحة الخدّ، كأن لم يعمر جسمه الرّوح، ولا كان في طلب العلم يغدو ويروح.

والله ـ تعالى ـ يغمده برضاه، وينفعه بالعلم فقـد[2] رواه، ويجعلنا ممن اعتبـروا ننظر فكـأن الموت قـد أتاه، وإن داراً مـآلها الممـات، وغايـة جمعهـا الشّتات لأهل أن تترك دميمة ويُزهَدَ فيها فلا قدر لها ولا قيمة.

وقد وُعِظنا لو نتعظ، واختلفت بيننـا سهام المنيـة ونحن لا نحتفظ، وإنَّا لله على قلوب عميت بصـائرهـا، وخبثت سرائـرها، ووقف على الـدُّنيا الـدنية سمعها وناظرها.

أسـأل الله ـ تعالى ـ صـلاحاً عـاجلاً، وتـوفيقاً لا يغـادر حقه في الـظاهر والباطن باطلاً، فهو على ذلك قدير، والمولى الذي لم يعدم مـع لطفـه تسهيل وتيسير، وإليه سبحانه أضرع أن يعلي كعبك، ويسوء شانئـك، ويسرّ محبّـك، ولا زلت محروس المكان، مجزيّاً بما أنت عليه من الديانة والأمانة.

* * *

وكتب للشيخ الفقيه أبي عبد الله ركن الدين(*) ـ رحمه الله ـ

الفقيه العالم الأوحد، علاّمـة العلماء، وقـدوة الأتقياء، والعضب الـذي

(1) فراغ قدر كلمتين.

(2) فقد: كذا ولعلها: (الذي).

(*) ركن الدين: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الملقب بركن الدين، قال ابن الزبير «كـان من المتقـدمين في علم الكلام» (تـرجمته في الـذيل والتكملة 364/6 و 504/8 والتكملة رقـم 868 وبرنامج الرعيني ص 73).

(7 أ) لا يعارض حدّه شيء من الأشياء أبو فلان ركن الدين وقطب الموحدين، والشّجي المعترض في صدور الملحدين، حرس الله مهجته وأعلى حجته ونهج إلى دار السلام بذبّه عن الإسلام محجّته.

كتب معظم مقداره، الحريص على الاقتداء بآثاره، المقدم لزيارته لولا تأخير اعتذاره فلان.

ولا جديد إلاَّ فضل الله ـ تعالى ـ السابغ، ومنّه السائغ، والحمد لله كثيراً، وأنا على ما يتعيّن من إجلالكم مقيم، وتشيّعي فيكم حديث وقديم، وتقديمي لكم تقديم من لم يدله على سواكم سبر وتقسيم.

وكنت أخذت عن طلبة تونس ـ جبرها الله ـ مناقبكم تقليداً، وأودعتها خلدي صوناً لها وتخليداً، وأضمرت لها الرحلة إليكم وإن كان المزار بعيداً، فلم تزل السّنون تنقرض، والقواطع تعترض، والحاجة إلى مشافهتكم في الغوامض العقلية والشرعية تستنهض، إلى أن بان الآن أن الزمن غير موات. وأنّ بنيه حاشاكم أحياء كأموات، وصحّ أن منتحلي العلوم أدعياء، وأنهم لم يكتسبوا من حلى العلماء إلاَّ الأسماء، فاستخرت الله ـ تعالى ـ أن أوجه إلى حضرتكم التي هي حضرة المعارف، ومقر العلم التالد والطارف، مسائل طال ما صافحت بها الفحول، وذاكرت من يحسن فيما يقول أن يقول، فكلهم يروّعه مجتلاها، ويود أن غيره تولاها.

وربما سُطّرت فيها أوراق، وكان في الجواب عنها خلاف ووفاق، ومع ذلك فلم أعثر على بارقة صواب، ولا ظفرت بنكتة أرتضيتها في جواب، والإبداع[1] منكم ينادي هلمّ هلم، إلى كم تستنطق الصم، وتودع الوهاد وتدع الشماريخ الشّم، هاك روض البلاغة مزهراً، وورد البراعة متفجراً.

فقلتُ بلسان الحال: ليس قدرك بخاف، ولا تأخيرك لانكفاف، بل أردت أن يجتمع النّور والظّلماء، وبضدّها تتبيّن الأشياء، وقد قدّمت (7 ب) الوسائل وأخّرت الرسائل، لتَرِدَ على محلّ خابل، وتحظى بورد بحر ماله من

---

(1) في الأصل: (ولا يداع)، والإبداع: استخراج الشيء وإحداثه.

ساحل، وقد اتفق أرباب الحلّ والعقد، وجهابذة الخبرة والنّقد، على أنكم مفتاح مقفلها، وإيضاح مغفلها.

وأنا منتظر من جوابكم وتحقيقكم الحال من الصواب بأشرف المواضع، ما يقرّب لي به البُعْد، ولا أشكو معه مشكلاً من بَعد، ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وهو يبقيكم للعلم تَقْبِسُون نوره، والحق تحمون إعجازه وصدوره، ولا يعدمكم مسترشداً تمدون قصوره، ومسترفداً تتولّون أموره، بمنّه، وله الفضل في الإغضاء عن خلل يمرّ به في هذا المكتوب، أو عيب يراه منه في معنى أو أسلوب، فإني كتبته والمحلّ بالفكر معمور، ودون المرتضى من الكلام خطوب وأمور، والمحتمل له في الحفز والانحفاز معذور.

* * *

ـ وكتب للأستاذ العالم أبي محمد القرطبي* ـ رحمه الله ـ

السّلام على الشيخ الفقيه، العالم الحافظ الأوحد، قدوة أهل السّنة، وعلم علومها المفتنة، والذاب عن حماها من مفهوم أفكاره ورسوم أسطاره، بأمضى من الظّبات[1] وأنفذ من الأسنّة، أبقاه الله وبحر علمه زاخر وأوصافه كلّها مغال ومفاخر.

كتب معظّمه (. . . . . . .)[2] ومقدّمهُ لمكانه من التّبصير والتّفهيم الشّيق إلى (. . . .)[3] شوق الروض الماحل إلى وكف الغمام وهبوب النّسيم، الملقى إليه يد التّسليم بضرورتي السّبر والتّقسيم فلان.

والحال صالحة والحمد لله كثيراً، والذي يتعيّن لحقكم من الإجلال، ولذكركم من الاطناب والاحتفال أنا أقْوَمُ الناس به، وأشدّهم مثابرة عليه، معتقداً أن ذلك عمل صالح، ومتجر ـ إن شاء الله تعالى ـ رابح.

---

(1) واحد الظبات الظبّة وهي حد السيف وتجمع أيضاً على أظب وظبا.

(2) بياض قدر كلمتين تنتهي أخرهما حسب اقتضاء السجعة.

(3) بياض في الأصل طمس كلمة وحرفاً، وقد استعنت في إتمام الحرف بمقتضى السياق، ولعل معنى الكلمة المحذوفة (شخصه أو علمه).

(*) لعله أبو محمد بن علي القرطبي المحدث والمقرىء المذكور في برنامج الرعيني ص 141.

ويشهد الله تعالى ـ وكفى به شهيداً ـ أنّ لقاءكم أحلى مقترحاتي، وأجلى ملتمحاتي، ولولا أن البحر مركوب جموح، (8 أ) وطرف[1] سرجه لوح وعنانه (لوح) لسعيت نحوكم ولو على الوجنة ولجعلت وفادتي عليكم قرعاً لباب من أبواب الجنّة، ولِمَ لا؟ وأنتم للعلوم الشّرعية عَلَم، وركنٌ بأفواه الخواطر وأنامل الضمائر مقبّل مستلم، وحلقتكم لا ينافرها إلاّ مغموص[2] عليه في دينه وعقده[3] متّهم . .

وقد سارت الرّكبان بما أنتم عليه من المنابذة لكلّ أعوج الطّريقة، منكّب عن أنوار الحقيقة، وذلك مما يوجب لكم مزيد الشّفوف والتّبريز، ويقيمكم في الزّمن المبهرج مقام الذهب الإبريز، ومن كانت له عند الله تعالى حاجة تهمّه، وطُلْبَةٌ يكثر بها همّه، فما أجدره بأن يجعل دعاءكم مفتاحاً لغلقها، وبريداً لطرقها، فلا وسيلة أنجح من عالم عامل، مشار إليه من شتى بلاد بشتّى أنامل.

ولي عند الله حوائج يمنعني من سؤالها (. . . . .)[4] الذي لا تمتدّ معه الكفّ، وأنا أرغب إليكم رغبة (. . . . . .)[5] وأتعلّق بكم تَعلّق غريق ببرّ، في أن تذكروني أعقاب الصّلوات وأوقات الخلوات، وتسألوا لي الأقلاع عن موبق الهفوات، فقد غمر المشيب، ولم يصلح القلب المعيب، وأنّى الحضور وما بيدي إلاّ المغيب، والله سبحانه يمنّ بفتح الباب، وتعجيل المتاب، ولا يكلنا إلى أنفسنا في سبب من الأسباب.

ولمّا توجّه متحمّلها حمّلته أمانة السّلام، واستنبته بحكم الضرورة في استلام ذلكم المقام، فإن أسعفت الأيام بمرامي فاللّقاء أمامي ـ إن شاء الله تعالى ـ .

أبقاكم الله في نعم وافية، وعصم كافية، ولا أخلاكم في أمور دينكم ودنياكم من سلامة وعافية.

---

(1) الطرف: الكريم من الخيل.

(2) مغموص عليه: مطعون في دينه.

(3) العقد: العهد والضمان.

(4) بياض قدر كلمتين.

(5) بياض قدر كلمة.

وكتب رضي الله عنه مراجعاً بعض الأصحاب ومتشكّياً خلال مراجعته التسويف بالمتاب:

وهي رسالة جمعت نثراً ونظماً وأطلعت في أفق البيان للإجادة نجماً أولها:

أصفيتك الود مضطراً ومختارا ... ولم أخاطبك إجلالاً وإكباراً
وصنت سمعك عن قول أجشّمه ... وهو الدُّجى أن يعير الشمس أنواراً
وقلت: أيّ كلام أرتضيه له ... وهو المقدَّم ترسيلاً وأشعاراً
يخفي الأصيل أصيلاً من رويته ... لذاك يظهر بالأسحار أسحارا
ويقذف القولَ معدومٌ معارضُه ومن ... يساجل طامي(الموج)[1] (إبحاراً)[2]
قد عاف عُون[3] المعاني وهي معرضةٌ ... له فسيّرها في الناس أبكاراً
سار[4] بها العيس مرّ الطير مسرعة ... حتى حسبت لها الأكوار أوكارا
يأتيك عفواً بما تُعيي رويّته[5] ... عبد الحميد ويكسو العين بشّارا
ولو جعلتُ كلامي روضةً أُنفاً ... وصُغْتُ أحرف خطّي فيه أزهارا
وهَبْهُ يقضي على العورات يسترها ... فضلاً ففي الناس من لا يكتم العارا
وَهَبْهُ كان أدام الله بهجته ... حُرًّا فليس جميع الناس أحرارا
تكفيه مني موالاة مخلَّصَةٌ ... من الشّوائب إعلاناً وإسراراً
وأنني لا أرى في الناس كلّهم ... خلاّ يوازيه أخلاقاً وأقدارا
وأن إيثاره للخير يفعله ... لم يبق للناس في دعواه آثارا
وإنني قبل مرآه وخبرته ... وبعدها كمضيم[6] أدرك الثارا
وقد أتاني كتاب منه حمّله ... كتائب اللّوم إيراداً وإصدارا

---

(1) في الأصل: ألوج، ولا وجه له.

(2) بياض في الأصل والكلمة يقضيها سياق المعنى.

(3) العون جمع للبقرة التي نتجت بعد بطنها البكر، وقد قابلها في الشطر الثاني بالأبكار.

(4) سار (كذا): ولعلها سارت.

(5) الرويّة: التفكر في الأمر (الصحاح).

(6) المضيم والمستضام: بمعنى واحد أي المظلوم

فقمت ألثم أثار الرسول به وقلت أهلاً وسهلاً كيفما زارا
واستمطر الشوق لما فضّ خاتمه مدامعاً صرن للأسطار أسطارا
ولم أُمُرَّ بحرف منه أقرأه إلا تأخرتُ إنصافاً وإقرارا
وصُنْتُهُ بعدما وفَّيتُ واجبَهُ بالسَّمع أوسعُهُ حِفْظاً وتكرارا
وكنت أُخفيهِ في جفني وفي خَلَدِي لكنْ خشيتُ عليه الماءَ والنارا

أبُوحُ السلام وأعطره، وأتمّه نوراً وأنضره، على السيّد الذي لا أزال أتذكره وأوثره، وأشكره وأكبره، والفاضل الذي طاب خبره ومخبره، وسما في قنّة[1] المجد حيث لا يُقتفى أثره.

كتبته، كتبني الله وإيّاك ممّن أسعد مماته ومحياه، ولم يَرْجُ لمهمات دينه ودنياه إلا إيَّاه، وأنا أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، على نعمه وعصمه، وأعوّل في صلاح حالي على فضله وكرمه، فإنّي سليم إلاّ من العيوب، ومقلع إلاّ عن الذّنوب، راكب من هوى نفسي شرّ مركوب، انتصر على التمني والتّسويف، وأعلّق توبتي بالأمل الضّعيف، وللمنية كل يوم سهم صائب، والدّنيا مكاره كلّها ومصائب:

حال يَقِلُّ لمثلها حلَّ العقابُ بأهلها
ومصيبة عظمت عليَّ فما أقوم بثقلها
لهفي لأيامي التي من غفلة لم أخلها
مرّت وما حلّت لدي دقيقة في حلّها
لم أستفق في بعضها[3] حتى أصبت بكلّها
لهفي على النّفس التي لا ترعوي عن جهلها
تلهو وقوس الموت تختـ ـرم النفوس بنبلها
وكأنها قد ألحقت بمن انقضى من قبلها
يا أيّها الخلّ المنادى مثله في مثلها

---

(1) القنة: الجبل وهي هنا المنفرد المستطيل في السماء.

(2) كذا: ولعلها: يقال.

(3) في الأصل: بغضها.

أسعد أخاك بدعوة تسقى ثراه بوبلها
فعليه من نسج الذّنوب مدارعٌ لم يبلها
والله يشهد أنني في حيرة من أجلها

أستغفر الله من قول لا يصدّقه الفعل، وأسأله أن يفعل بي ما هو له أهل، فما حقٌّ مثلي أن يتحلى بهذا المقال، وهو مخالف له بالحال، لكن أنا مصدور (9 ب) وفي طول التّفجع معذور، وقد فُقد الشباب، وليس إلاّ العار والعاب:

وأتتني الأربعون وما نقلتُ عن زلة قدما
كلّما جدّدت عدّتها جدّدت لي عدتي ألما
كنت أرجو أن أوافيها قاطناً من توبة جرما
مصغياً للنُّصح أسمعه أُذنا قد أوقرت صمما
فأبتْ نفسٌ قد اتّخذت خصمها من جهلها حكما
تركبُ الآثام دائبة ثم لا تستشعر النَّدما
يقظات كلُّها حُلُمٌ ووجود يشبه العَدما
لو رأيت الذنب منصرما لم أعدَّ العمر منصرما
خالفتْ نفسي وقد علمتْ وجنى قلبي وقد علما
وعلى هذا فلي أملٌ يرقبُ الإحسانَ والكرما

وأما ما أجده لبينك، أيُّها الأخ الأوحد والوليُّ الذي آثاره الكريمة لا تُجحد، فأمر أمر[1]، وخطب مالي على تحمله صبر، أشهد الله تعالى، وهو خير الشاهدين، وأعلي المطّلعين والمشاهدين إذ أُعدُّكَ أولَ الخلصان، وأربأ بالكمال خلالك عن النّقصان، وأتمنّى قربك في جملة ما أتمناه، وأعجب من حسن لفظك وصدق معـ(ـناه)[2] وأقطع أني لم أر في أبناء الرئاسة وذوي النفاسة أشدَّ منك انجذاباً إلى الخير، ولا أكثر كبراً عن الكبر.

تميل بطبعك السرّي إلى الفقراء، وتنبذ النابذين لهم وإن عزّوا بالعراء،

---

(1) ـ أمر الأمر: اشتد.

(2) ما بين القوسين زيادة عن الأصل.

وتجـود بمجالستـك[1] ذكر الصلحـاء الرفعـاء، وترغب لصـلاحـك في صـلاح الفقراء، وتحسن الظَّنَّ حتى بالمخلطين وتتواضع حتى للغالطين المغلِّطين.

هـا أنت تحلِّيني بالـزُّهد والفضـل، وتنسبني إلى سداد القـول والفعـل، وتخـاطبني مخاطبـة من نبذ الـدُّنيا وانتبـذ، وهجر أهلهـا فما أعـطى ولا أخذ، حسَّنت الـظنَّ بكتب صفقتها وأقـوال في ذمّ الـدُّنيـا بلسـان السَّهـو صـرفتهـا، (10 ـ أ) والبـاطن بالمهلكـات مشحون، والأخـلاق كلُّهـا دون، والمـوانـع من الخـوض في كثير من الـدنيا عجـز وهون، والله مـا كتمتك[2] حـرفاً من حـالي وانتحالي، وأما الفضل فكيف وأنى لي:

بيني وبيـن الفـضـل كـلُّ تَنُـوفَـةٍ ... للذَّنب لم تُقْـطَعْ بـصـدق إنـابـة
ومـهـالـكٍ لاجنـة تـلفـي بـهـا ... وثقت بغيـر إصابتي فـأصـابتِ
ولـقـد علمت بـأنني مستهـدف ... حتى أبـدّل حـالتي وعـصـابتي

أنشدك الله أيرمي قـولي هذا بـإزراء، وأنسب فيه إلى تملّق وطـراء، كلاّ وحقِّك بل اختصرت، وأشرت وما فسَّرت، أفـألام أن أنجذب إليك بالكليّـة، وأولي على تقـديمـك كـلَّ آليـة وأقـول (. . . .)[3] (قـال: حسـودك فيهـا من يسودك):

قـل لـمـن يـحسـدكـم ... يضـرب فيـه أصـدريـه
أبـصـرتْ عـيـنـاهُ مـا ... كـذَّبَه عـنِ أذنـيـه
ورأى أوسطَ مـجـدٍ ... قـد نـبـا عن طـرفيـه
قـال كـم ذا تـفـرغـون ... الشّكـر والـذّكـر عـليـه
قـلت كـلّ الشّكـر منّـا ... بـعض آثـار يـديـه
فـلـه فـضـل عـلـيـنـا ... وبـنـا شـوق إلـيـه

وأمّـا ما أجـرى إليه سيّـدي من المعـاتبـة في تـرك المكـاتبـة، مـع أنـه يستعملها كثيراً، ولا يـرى تأثيـراً، فقد فـرغت الآن من أنه سبّـاق الفضائـل،

---

(1) بمجالستك: كذا في الأصل، ولعلها بمجالسك.

(2) في الأصل أكتمك وهو غير مراد.

(3) بياض في الأصل قدر كلمة.

وهذه إحدى الدلائل.

صدق ـ أعزّه الله ـ فيما قال، وهو أولى من أغضى وأقال، أما والله، ما تركت ذلك إخلالاً له بقدر، ولا لأنه ليس متردداً بين لسان وصدر، ولكن لم أعلم له على الحقيقة مكاناً، ولا وجدت لواجب مخاطبته إمكاناً، فأما الآن وقد علمت المستقر، وتيقنت أنه استقر، فسأوردها عليه ـ إن شاء الله تعالى، رياضاً تزهر بذكره، وتقتصر على شكره، وأخصّه ولا فخر بكلّ مخترع الكلام (10 ب) (و) بكره، ولم لا ونظمي ونثري مسترق من نظمه ونثره؟ هذه الكتب الأنيقة بمرأى مني ومسمع، وألفاظه البديعة مصروف إليها حفظي أجمع، صيّرتني محسناً وقد كنت مسيئاً، وتركتني سابقاً وما زلت بطيئاً:

فالآن أحسن إن نثرتُ ... وإن نظمت على البديهه
وأحوك كلّ قصيدة ... عذراء تكبر عن شبيهه
أنطقتها ملء اللّسان ... وطال ما كانت فهيهه
ما إن تحاذر حيث سارت ... ناقداً إلاّ العضيهه[1]
آثار ما أودعتَهُ الـ ... كتب الموجّهة الوجيهه

وهو أعزّه الله يصل عادة إمتاعه برقاعه، ويعفي خطي ولفظي من نقدي عيانه وسماعه، ولا يقيس ضيق فترى[2] في البلاغة على سعة باعه، ويتلقى ما أشار برسمه بيد قبوله، ويغضي عن قصر أصوله وقصور فصوله، فإنّي كتبته والمحتمل حافز، وبيني وبين الإصابة من العيّ حاجز، وقد عجزت أعجز عجزاً فأنا عاجز، جعلني الله ممن لا يريد سواه، فيما قاله أو نواه، وممن وقى درر دينه بأصداف دنياه، فعليه قصد السبيل، وهو حسبي ونعم الوكيل:

ولا تزل في سعود ... موصولة وجدود
ونلت قصدك ما بـ ... ـين راحة وقعود
وزرت عمّا قريب ... للأنس باب البنود

---

(1) العضهية: الكذّاب.

(2) الفتر: المسافة بين طرف الإبهام وطرف المشيرة، وقد قابل بها الباع في الجملة التالية وهو المسافة بين طرفي اليدين الممدودتين.

وقـد وعـدت ولا بـد	مـن وفـاء الـعـهـود
وصـان ربّـك مـا فيـك	مـن عـفـاف وجـود

وكتب أيضاً في مثل ذلك المعنى:

حـروب النّوى والقرب فيك سجـال	يـدال عـلـيـنـا تـارة ونـدالُ
ألم يـأنِ أن تلفي لبينـك غـايـةً	فـتُـدْرَكُ آمـال وتَـحْـسُـن حـال
لقـد حلَّ قلبي من وصـالـك جنـةً	نعمتُ عليهـا لـو يـدوم وصـال
ولو خفَّ شجوى لمحةً طِرتُ نحوكم	ولـكـنَّ أعـبـاءَ الـفـراقِ ثِـقَـال
وإنّي وقـد بنتُم لـفي كـفِّ حـادثٍ	قـضى رمـقٌ مـنـه وضـاق مـجـال
فحَلَّل حـزني فيـك وهـو مـحـرّم	وحـرَّم صبـري عنـك وهـو حـلال
إذا عَـمِيـتْ أنـبـاؤكـم فـتـنـفّـسي	جـوابٌ ودمـعُ الـمـقـلتـيـن سؤال
أبعـدك والإينـاسُ قـربُـك وحـده	تـروقُ ريـاضٌ أو تَـرِقُّ شـمـال
وأنت الّـذي قـد فقت بـذلاً وفـطنـة	وحسب الـمعـالـي فـطنـة ونـوال
رحلت إلى مثـوى النبـوّة والهـدى	فـبـورك مـقـصـود وبـرّ مـقـال
وأدّيت فـرضَ الحجّ حـزماً ولم تكنْ	كـمـن أغـفـلتـه شـرَّةٌ وصـيـال
ومن خـانَـهُ في مقصـدِ الخير عَقْلُهُ	فـفـي رجـله مـمـا جنـاه عـقـال
إذا جـال في علم العقـائـد خـاطـرٌ	تـركت يمينِ الخصم وهي شـمـال
وصـرَّفْتَ فكـراً يقـذف الـدرَّ بحـرُهُ	دراكـاً وأقـصى فـكـر غيـرك آل[1]
إذا بهـرتْ شمسُ الـظّهيـرة نـاظـراً	فـليس يـبـالـي أن يـغـيـب هـلالُ
أعـدتَ دليـلَ الحقّ حسن إبـانـة	فـصـلتَ بـسـيـفٍ قد علاه صـقـال
فـكـلُّ كـلامٍ رائـق ومـحـقـق	إلـيـك مُـمَـالٌ أو عـلـيـك مـحـال
ولا غـرو أن حـزتَ السَّبـاق ديانـةً	فـللدِّين والـدنـيـا مـدىً ورجـال
يُـذَكِّرُنيـكَ الفضـلُ مهمـا ذكـرتُـهُ	وفي كـلِّ شـيء مـشـبـه ومثـال
ولم يسلني شيءٌ فـأنسـاك عـنـده	وإن بـرّ آلٌ أو تـوفّـر مـال
ولـو جـاز لي دعـوى السُّلوِّ ادَّعيتُهُ	عـزاءً ولـكـنَّ الـسّـلو مـحـال
فـفـي كـلِّ ودٍّ غـيـرِ ودِّك ريـبـةٌ	وفي كـلِّ خـلٍّ مـا خـلاك مقـال

---

(1) الآل: السَّراب.

كتبتـه، كتبني الله وإياك ممن رضي عنـه من عباده، ونـظر في الإصلاح من عمله والتّسديد من اعتقـاده، وجعل في المنتـظر من رمسه[1] ومعـاده غايـة (11 ب) تهممه وأقصى استعداده.

وأنا أحمد إليك الله سبحانـه وأشكره وأقـرُّ بفضله المكتنف لي فيما آتيـه وأذره، وأستغفره من منكر لا أزال أحضره واستحضره، وذنب لا أبـرح أرده بيد الخـذلان ولا أصدره، وإلى الله المشتكى من أوقـات ذهبت ضياعـاً، وتقلبات لـم أجد مع الإنصاف فيها انتفـاعاً، وأنفـاس فنيت أو كادت، ولـم أحتقب فيهـا غير موبقـات الجرائم متـاعا، ويـا لها حسـرة إن لم يتداركني المـولى سبحانـه بعفوه الواسع، ويرشدني إلى العمل الصَّالح والعلم النَّافع.

اللَّهـم لا تجعلني ممن واخذته بذنبه، وطبعت بما قدَّمت يـداه على قلبه بمنّك. أما بعـد، أيُّها الأخ الـذي أنا بـإخائـه مسرور، والـولي الذي محلّه لي مكرّم مبرور، فقد خاطبتك مجملاً ومفصّلاً وكاتبتك مرويّاً ومرتجـلاً؛ فلم أقف لك على غير الكتاب المضمّن القطعة الفريدة والفقر المحسنـة المجيدة، وهـو وإن كان نسيج وحده، ومسترق أوصاف البلاغة بحدِّه، ومعبـراً عن صدق ولاء مهديه وخلوص عقده، فقد أضرب عن ذكر ما استفهمته عنـه صفحاً، ولـم يبـد لي في ليل السؤال من نور الجواب صبحاً.

وزادني على الإضراب عن هذا الباب وصفي بصفات لـم أستحقها، ولا رعيت منـذ وعيت حقّهـا، حتى كـأني فـوّزت ولجّجـت، ولجـجت حتى حججت، ورافقت الأغزاز[2] والأعراب، وأعملت المراكب والرّكـاب، ووقفت بين زمزم والحطيم، ولثمت قائماً مقام إبراهيم، واقتصـرت في الألية على ربِّ هـذه البنيّـة[3]، وشهـدت ليـالي التشـريق، وعـاينت النـور النبـويّ من ثنيــة العقيق[4]، وأقررت عيني بالسّلام على سيّد الأنام، وحططت عن ظهـري بلثم تربته الكريمة أجرام الإجرام، وزرت مشاهد صحابته الكرام أعلام الإسـلام، وانثنيت عن الذنوب متجانفاً وللأعمال مستأنفاً.

---

(1) الرَّمس: القبر والدفن.

(2) الغز: شعب.

(3) يريد بالبنية الكعبة.

(4) ثنية العقيق: موضع بقرب المدينة المنورة.

فأمّا وأنا للبيت حلس[1]، وليس بيديّ من أثمان الدّين والدنيا فلس، فما أجدرني بالذّم والشين، وأحوجني إلى الخفض من اللّسان والغض من العين، أمّا تلك الأوصاف فهي عليك ردّ، ومالك من قولها بدّ، وأما أنا فإني أختم بهذه الأبيات الثلاثة على ما هي عليه من الغثاثة:

أعد نظراً في نسبة الفضل والنُّسك ... وعُدْ ليقين الذَّم عن مدحةِ الشك
ولا تنسني تلك الحُلَى فهي كلُّها ... حُلاك على ما صحَّ بالسَّير والسَّلك
وإن جمعتنا في الظواهر نسبةٌ ... تَخيلُ فإنّ القار في الهون كالمسك

* * *

وقال ـ رضي الله عنه ـ يحضُّ على برّ الوالدين:

أطِعْ مولاك تظفرْ بالنّجاح ... وراقِبْهُ تَحُزْ قَصْبَ الفَلاحِ
ودعْ طُرْقَ الخلاف وعدِّ عنها ... إلى طرق من التّقوى فساح
وعاملْ والديكَ إذا أَسَنَّا ... بلينِ القَوْلِ أو خفض الجناح
وَوَفِّهِمَا ولَسْتَ تطيقُ برّا ... بما منحاك في كلّ المناح
هما كنفاك في لُطْفٍ وصون ... ورعْيٍ بالغُدُوِّ وبالرّواح
وما ذَخِرَاكَ ليناً في مقال ... ولا أَلَواكَ نُصْحاً في سماح
وما اقترحا سواك وكلُّ نفس ... تصرّفُ في اشتهاء واقتراح
وكانا يحرسانك كلّ حين ... بكلّ الحفظ من كلّ النّواحي
وكانا يمنعانك أن تلاقي ... شعاع الشمس أو نَفَس الرّياح
وكم من ليلة وصلا دُجَاها ... أنينا من أنينك بالصَّباح
وكم سكبا لأجلك من دموع ... يورّد هاجفون كالجراح
وكم جبرا بجاهٍ أو بمال ... خروقاً من مساعيك القباح
وكم بذلا فداءك من نحور ... ببيض الهند أو سمر الرّماح
وكم هجرا لبعدك من مهاد ... وغصّا فيه بالماء القراح

(1) حلس البيت الذي لا يبرح مكانه، والأصل في الحلس: كساء يبسط في البيت تحت حر الثياب أو ما يلي ظهر البعير. ولعل هذه الإشارة إلى الفترة التي أجبر فيها على ملازمة بيته باشبيلية إذ لا نعرف أنه أقعد لمرض أو شيخوخة.

فكيف تنالُ برَّهُمَا وأنَّى يُنالُ الجدُّ من طُرقِ المزاح
ولكنْ حسبنا في البرِّ جِدٌّ وليس على مجدّ من جناح

* * *

وقال في مثل ذلك ـ أبقى الله بركته ـ :

تقرّبت إلاَّ في رضى الأم والأب وبرّهما في الدّين أصل التقرّب
وقدّمت أسباب العقوق وإنها لمثمرة في الحشر شرّ مسبب
رضى الله يُروى أنّه في رضاهما فأرضهما تظفرْ به أو فجنب
وقد جاء في التّأفيف ما فيه عبرة تدلُّ على ما فوقها فتأدَّب
ينالهما منك القبيح وطال ما أنا لاك ما تهوى بسهل ومرحب
وتشنأ ما تأتي به السنُّ منهما وبالأمس قد جاءت به منك فأعجب
وتنفق ما لا آثلاً لك[1] أصله وحالهما من رِفْدِهِ حالُ مجدب
وتؤثر أهواء النّساء عليهما وقد منحاك الودَّ في كلِّ مطلب
فكن حذراً من أن تصيبك دعوةٌ تدلُّ عليك السَّخط من كلِّ مذهب
فما بين أصحاب العقوق وبينه سوى أدمع ترفضُّ[2] للأم والأب
ودونك نصحٌ لم تشبه خديعة فثق بالذي قد قلته أو فجرّب
مقالك في الدارين قول مصدِّق وفعلك إن أنصفت فعل مكذِّب
فبادر وفي آثار عمرك فسحة وإلَّا فهل ترضيك حال معذَّب
ولا تحسبن الله يهمل عبده ولكن له ستر على كل مذنب

وقال ـ رضي الله عنه ـ يذمُّ الخمر :

الخمر متلفةٌ لدينك فاحذر ودليلةٌ نحو الخنا[3] والمنكر
وهي الجحيم معجّلاً ومؤجلاً فاثن العنان عن الجحيم وأقصر
كم ورَّطت في عُسرةٍ من موسر كم ورَّطت في عطبة من مُعْسِر

---

(1) أثلا : من معانيها كثرة المال وتأصله.

(2) ترفض : ارفضاض الدموع ترششها (قاموس).

(3) الخنا : الفحش.

مـا استـودع العقـلاءُ طيّ ضلوعهم	شيئـاً أضـرّ من الشّـراب المسكـر
يـا من يمـدُّ إلى المـدام يـمينَـهُ	شُلَّتْ يمينُـكَ بـائعـاً أو مشتـرى
سِيَّـان ألقيت البنـان عـلى الطّلا	لـلشّـرب أو ألقيتهـا في مجمـر
نـاران إلاَّ أنّ هـذي لا تـرى إلاّ	بـمقـلة مبـصـر مسـتبـصر
طهّـر فؤادك من نجـاسـة إثـمهـا	أوْ لاَ فـأعـددْ لـلعـذاب الأكبـر
أنت المنجّس مـا شربت نـدامـة	ولـو اغتسلت[1] بماء سبعـة أبحر
مـاذا تـريـد إلى شـرابٍ مُـوردٍ	وِرْداً يسـوءك ربُّـه في المصـدر
تَـرِدُ الحسـابَ بـه وأنـتَ مـروَّعٌ	تخشى العقـاب وأنت منـه بمنـظر
إن كنت تـرغبُ في الأمان فـلا تكنْ	ممن يسيـر عـلى الطريق الأوعـر
أتبيـع دينـك في الضـلال بجـرعـة	قُبِّحتَ بـطّالاً، زمـان المتـجـر
يـا شؤمهـا من جُـرعـة مـذمومـة	سلبتـك دينـك حيث لم تـتشعـر
فكـأنني بـك في القيـامـة نـادمـاً	أسفـاً تعضُّ أنـامـل المتـحسِّـر
إن لم تتب منهـا فـإنـك ضحكـة	للنـاظـرين وسُبـة[2] في المعشـر
وإذا فقـدت العقـلَ كنت بهيمـةً	في جلد إنسـان وحسبك فـانـظر
ولقـد نصحتُـكَ إن قبلتَ نصيحتي	يـا حـاضـراً وكـأنـه لم يحضـر
والله لافـهـم الـحقيـقـة سـامـعٌ	قـد بـات في علم الضرورة يمتـري
فـاحـذر عليـك عقـوبـة في شـربهـا	وإذا أنبت إلى المتـاب فـأبشـر
يـا ربِّ أنـا مخـطئـون جهـالـة	فـاصفـحْ لنـا واستـر علينـا وأغفـر

* * *

وقال أيضاً في مثل ذلك:

يـا مكـثـراً قـالـه وقـيـله	وجـاعـلاً كـأسـه فضيـله
أفنى التراث[3] الـذي حـواه	فيهـا ويفنى الـذي بقي لَـهْ

---

(1) في الأصل: غسلت.

(2) سبة: في الأصل: شبة.

(3) في الأصل التراث.

وَيْحُـكَ لا يخـدعنْـكَ أنسٌ — مـن بعـده وحشـة طـويلهْ
تـرجـو نجـاةً بغيـر فعـل — وتلك لا شـكَّ مسـتحيله
يـا ليت شعري بـأي قـولٍ — بـأي حـول بـأي حيـله
تـأمـلُ زلفى لـدى مليـكٍ — تـأتـي إليـه بـلا وسيله
فـقـال والـخـوف قـد أراه — من رشـده عنـدهـا سبيله
أرجـو إلـهـي وأتـقيـهِ — لـكنْ ظنـوني بـه جميله

* * *

وقال في مثل ذلك:

يـا شـارب الـرّاح في أوقـات غفلتـه — ومـسـتـتـراً بـأبـواب وأسـتـار
إذا دجـا الليـل واشمـطت ذوائبُـهُ — خـلا بـكـأس وأوتـار ومـزمـار
أمـا عـلـمـت بـأنَّ الله مـطَّلعٌ — يُحْصِي فعـالـك من جهـر وأسـرار
لـو كنت في ظلماتِ البحرِ محتجباً — عن كـلِّ مرمى لأسمـاع وأبصـار
لم تَخْفَ منـك عن الرحمٰن خافيةٌ — بـل كـلُّ فعلك مقـدورٌ بمقـدار
مـاذا يفيـدك جهـلُ النـاس كُلِّهِم — بمـا كَتَمْتَ ولا يخفى عن البـاري
لا يـطغـيَنَّـكَ سـتـرُ الله مـذ زمنٍ — فـكم أتـى دون تسـويف وإصـرار
فـارجع عن الـذّنب مختاراً مراجعةً — أو سوف تـرجـع عنه غيـر مختـار
وإن أبيت سـوى الإصـرار تصحبـه — فهـل تـرى لـك من صبـر على النـار

* * *

وقال في مثل ذلك:

رأيـتُ ذنـوبَ العـالـمين قبيحـةً — وأقبحُهَـا طُـرًّا مخـامـرةُ الخمـرِ
فـإن الخنا صـدعٍ وفي العقـل جبـرة — وإن لم يكن عقـل فيأسـاً من الجبـر
فمـا خَـالٌ مَنْ كـلُّ المسـاوي جميلةً — لـديه وحتم السـرِّ في قبضـة الجهـر
يرى البدر وهو البدر في صبغة الدُّجي — ويسمـع لفظ النَّهي في صيغـة الأمْـر
وأعـظم مـن هـذا وذلـك كـلِّهِ — عذابُ لظىً ما لامرئٍ فيه من الصبر

* * *

وقال في مثل ذلك:

يا مُدْمِنَ الخمر غَيْرَ آلٍ[1] … في تركه أمر ذي الجلالِ

أبشرْ بفقرٍ وهتك سترٍ … وقبح ذكرٍ وسوء حال

ومورد في المعاد تفضي … منه إلى طينة الخبال

فراجع الحقَّ لا تعلّلْ … نفسك في الفوز بالمحال

واضرع إلى الله واستقله … فإنّه خير مستقال

وسَلْهُ فوزاً يجنبْكَ فضلاً … وهل (جواب)[2] بلا سؤال

يا صاح إن لم تكن تبالي … عنك فمن ذا الذي يبالي

* * *

ولأخيه القاضي أبي عبد الله(*) في ذمّها أيضاً:

ما خمر العقل فهو خمر … والخمر عند اللبيب جمر

جماع إثم (غَوْلٌ) لوفدٍ … بأس وبؤس ضر وضرّ

يا شارب الخمر مستسراً … ما دون ربِّ العباد سرّ

لا تسدل السرّ ما على من … يعصي إلٰه السَّماء ستر

واذكر إذا ما الحياة ولَّت … وحان موت وتمَّ عمر

وجاء موت وجاء قبر … وجاء بعث وجاء حشر

واجتمع الناسُ في صعيدٍ … والنَّهيُ نهي والأمر أمر

والنار قد سُعِّرت وقالت … هل من مزيد فقيل صبر

هناك تلقى لذيذ ما قد … جنيت من الاثم وهو مرّ

أيُّ مقام إن لم يكن من … غافر كلَّ الذُّنوب غفر

* * *

---

(1) آل: رجع.

(2) في الأصل: جواباً.

(*) أبو عبد الله الفازازي: هو محمد بن يخلفتن أخو عبد الرحمن، قال ابن الأبار «كان فقيهاً أديباً مقدماً في الكتابة والشعر» (التكملة 618/2، الذيل والتكملة 362/8، الوافي 213/5).

وقال الفقيه أبو زيد في شهر رمضان:

أعدد لضيفك اهبة الإكرامِ ... وتحية (موصولة بسلام)[1]
وتلقَ أياماً له ولياليا ... بصيام راعي ذمّة وقيام
واعكفْ على الأذكار في آنائه ... ما بين مبتدإٍ له وختام
رمضان شهر الصَّوم فاغنم قربَهُ ... تغنم أجلّ دعائم الإسلام
إكليلُ مفرق دهره بل تاجُهُ ... والدُّرةُ الوسطى لسلك العام
ومُقامُ بذل[2] رغائب ومواهب ... لو أنه يحتلُّ دار مقام
فاشددْ له عقد الوفاءِ فإنما ... أيامُهُ غُرَرٌ من الأيام
وإذا ظفرت بظلمةٍ من ليلهِ ... فالنّور باطن ذلك الأظلام
لو أن مقدمه يباع ويشترى ... بُذلت له الأرواح في الأسوام
إن الرّجال على الحقيقة زمرةٌ ... قطعته نائمة على الأقدام
علمتْ وشيك زواله فسمتْ لهُ ... منقادةً منه بخير زمام
والجسمُ لا يأوي للذة راحةٍ ... والجفنُ ليس يذوق طيب منام
طوبى لمن وافاه واجب حقه ... من حرمةٍ فُرضت له وذمام
طوبى لمن غضّ الجفون بشهره[3] ... عن لحظ مكروه له وحرام
طوبى لمن خطم[4] اللسان عن الخنا ... واللّغو والتّقوى أكفُّ خطام
يا صائمين وقائمين بشارة ... بسلامة فيه ودار سلام
في شهركم هذا مواسم رحمةٍ ... كُتبتْ لصائمه على الإلزام
شتّانَ بين القائمين بليله ... للخوف أو للشوق والنّوام
صبروا قليلاً فاستعاضوا راحةً ... في دار خلد ناعم ودوام
عجباً لمن وجد الشّفاء لذنبه ... وأقام مرتبكاً مع الآثام
طبعٌ بهيمي وأكثر من ترى ... يعتده العقلاء في الأنعام
من لم يعظْهُ الموتُ وهو معاين ... لم ينتفع أبداً بنقل كلام

---

(1) في الأصل: موصولة وسلام، ولا يستقيم معه الوزن ولا المعنى.
(2) في الأصل: بذل.
(3) في الأصل شهره.
(4) خطم اللسان: منعه من الكلام.

وإذا انقضى شهرُ[1] الصّيام ولم تَتُبْ   فمن البعيد متاب باقي العام
وإذا تعدّيت الطبيب لغيره   فات الطبيبُ وفزت بالآلام
خذها نصيحة قائل بحقيقةٍ   لو وافقت عوناً من الإفهام

* * *

وقال ـ رضي الله عنه ـ يذكر عاشوراء:

يا خليّ العين والأذنِ   لاهياً في السرّ والعلنِ
أيقظ القلب اللجوج فقد   أثّرت فيه يد المحنِ
عامل المولى بنعمته   من أياديَ فعله الحسنِ
وقبيح أن تضنّ وقد   مُلئت كفَّاك بالمنن
فزكاةُ المال بذلُكَهُ   وزكاة الصَّوم للبدن
ولعاشوراء مرتبةٌ   شُهرت في سالف الزّمن
هو يومٌ لم يزلْ أبداً   صومه من آكد السُّنن
فاغتنم إن كنت متجراً   خَلَساً من راحة المحن
فكأن الموت مطلع   وكأن العيش لم يكنِ
ترتجي فوزاً وهل أحدٌ   نال ما يرجو بلا ثمن
إن من ضاعت بغيَّتُهُ   لكثير الغَبْنِ والغَبَنِ

* * *

وقال في فضل شعبان المكرم:

زمان بتطهير القلوب موكّل   وشهر إلى دار النعيم موصل
وأوقات برّ لا يُضيِّعُ حقَّها   من الناس إلَّا مبطلٌ أو مغفل
تحفظ بشعبان وعظم حدوده   فعمّا قليل عن جوارك يرحل
ويشهد بالتّقوى عليك وضدِّها   فما هوا إلَّا شاهد ومعدّل
وفي النصف منه ليلةٌ إن شهدتها   فَقُمْهَا فإن الأجر فيها معجل

---

(1) في الأصل: الشهر.

أتت عن رسول الله فيها فضائِلُ ... فدونك فاغنم أيها المتبتِّل
ومغفرة الرحمن فيها معدَّة ... لمن بات يدعو ذا الجلال ويسأل
وفي سورة الإخلاص فيها فضيلة ... ومنقبة مشهورة وتوسّل
وإنك إن كرّرتها ألف مرة ... بلغت بها الأضعاف مما تؤمل
وفي النّاس كسلان يميد (قراءة)[1] ... وفيهم نشيط لا يزال يرتل
كِلا حالتي هذين فيها فضيلة ... وحالة ترتيل القراءة أفضل
فيا صاح أعدد للرحيل فإنه ... يؤخر أقواماً وقوماً يعجّل
وما دارنا إلاَّ مناخ لراكب ... يقيلُ به لكنّه يتنقَّل
مضى رجب فانظرْ أوَفَّيْتَ حقَّه ... وأكرمته أم كنت عن ذاك تغفل؟
ووافاك شعبانٌ فهل أنت عالم ... بمقداره أم بابُ قلبك مقفل؟
فجدَّ فإن القبر لا بد مسكن ... وبادرْ فإن الموت لا بد منهل
وإن صعبت طرقُ الفلاح فإنها ... إذا ذكرت دار الكرامة تسهل
إذا ذهبت أيام عمرك باطلاً ... فدونك فاختر أيَّ داريك تنزل
فلا تتعلَّل بالحياة فإنها ... سحابةُ صيفٍ أيها المتعلل
فمن كان ذا عقل أعدَّ لقبره ... وما بعده والأخذ بالحزم أجمل
وما الوعظ إلاَّ جنة إن نبذتها ... فكلك للآثام والسهو مقتل
إذا لم يوفَّق سامع الوعظ للتّقى ... فليس على طول المواعظ يقبل

* * *

وقال ـ رضي الله عنه ـ في التوكل:

تَوَكَّلْ إذا نابتك يوماً ملمةٌ ... على من له في خَلْقِهِ الخلقُ الحكمُ
وسلِّم له تقديره وقضاؤه ... فبينهما يجري لك الحرب والسلم
ولا ترجُ كشفَ الكربِ من عند غيره ... فترجع عنه خائباً ولك الرُّغم
ضعيفاً يُرجِّي من ضعيف إغاثةً ... لقد غلط الإدراكُ وانعكس الفهم
فيا نائم الجفنين في حال يقظةٍ ... وكم نائم معني ولم يغشَهُ نومُ
تفكَّر ودبّر واعتبر واخلُ واذّكرْ ... ترى الخلق لا محوٌ لديه ولا رسم
وما الحكم إلاَّ حكمُ ربِّكَ وحده ... فاذعنْ له فاليأس من غيره حتم

---

(1) في الأصل: قراءة.

وكم واهم في قصد عمرو وخالد فإيَّاك لا يذهب بخاطرك الوهم
فمن ذا الذي أنْشَاكَ إذ كنت نطفةً ضعيفاً ولا لحمٌ عليك ولا عظمُ
ومن ذا الذي غذَّاك تسعة أشهر وأمُّك لا حس لديها ولا علم
ومن ذا الذي ربَّاك حولين راضعاً ولا مشربٌ إلاَّ لبان ولا طعم
ومن ذا الذي نَجَّاك من شرِّة الصبا ودهرك رام ما يصيب له سهم
ومن ذا الذي ألقى عليك محبةً تعاورها في حقك الأب والأم
ومن ذا الذي أعطاك عقلاً وفطنةً فشاع لك الوصف المشهر والاسم
ومن ذا الذي لقَّاك رشدَكَ يافعاً فأقررتَ بالتوحيد إذ جحد الخصم
هو الله جلَّ اللهُ فاعكفْ ببابِهِ له البدءُ في مخلوقه وله الختم
فكم أمسك الأرماق والروحُ زاهق وكم جلب الأرواح والقلب مغتم
وكم دعوة مضطرة قد أجابها فنلت المنى منها ومن دونها النجم
وكم زلَّة جددتها إثر زلَّة تداركك الإمهال فيهن والحلم
أتعلم هذا ثم تعمل ضدَّهُ لقد ضاع فيك الرأي واطَّرح الحزم
فمالك في التحقيق حبٌّ ولا هوى ولا من سداد الفكر حظٌ ولا قسم
تخلَّ على المخلوق، إنَّك مثله وأمّ[1] الذي يهدي إلى قصده الأمّ
ولا ترجُ إلاَّ الله في كلِّ حالة فوضع الرجا في غير موضعه ظلم
وفي يوسف الصديق أعظمُ حجة بأن ليس للمخلوق في مثله حكم
وفي قوله اذكرني لساقي مليكه دليلٌ لمن في الصالحات له عزم
فاصلحْ فساد الفعل منك بتوبة فمن خان مال الغير ظهَّره العزم

* * *

وقال ـ رضي الله عنه ـ وأنشدنيه:

إني رأيت العزّ مستودعاً في خدمة الخالق سبحانَهْ
وخادم المخلوق في ذلّة تعمّ أهليه وجيرانه
وَقِفْ ببابِ اللّهِ مستمطراً إنعامَهُ الجمَّ وإحسانه
ولا تُرَجِّ النفعَ من غيره فالطّرسُ قد أعطاك عنوانه

* * *

(1) في الأصل: وأمّا.

وقال في مثل ذلك وأنشدنيه:

من خـدم المـولى بـإخـلاصـه عـزَّ ولـم يحتـجْ لـذلّ العـبيـدْ
وخـادم الـمـخـلوق إمـا عـلى مـهـانـة أو فـي عـذاب شـديـد
يـرجـو ويـخشـى بَشَراً مـثله ذاك ضـلالٌ مـا عـليـه مـزيـد
يـا سـاريـاً في ظلمـات الهـوى وخـادمَ الـمخـلوقِ مـاذا تـريـد
تـطلبُ يسـراً من يـدي مُعْسِـرِ أفِـقْ فـهـذا مـطلبٌ لا يـفـيـد
قـد قـرَّب اللّهُ لـك المجتنى لـكن تـنـادي مـن مـكـان بعيـد

* * *

وقال أيضاً في مثل ذلك وأنشدنيه:

ثِـقْ بـالإلـهِ فـإنَّـهُ لـلواثـقـيـن بـه قـريـبْ
ودَع الـعـبيـدَ فَمُنْتَـهـى إحـسـانـهم ظَنٌّ يَخِيـبْ
إن تَنْـجُ من مكـروهِـهِمْ لم تـنـجُ من لمـز الـمغيب
لاَحَ الـصَّـوابُ وإنـمـا أسفي على الـرأي المـعيب

وقال - رضي الله عنه - يحضّ على قيام الليل:

كم في الـدياجير من ذخر وفـائـدة لمن بضـاعتـه التـذكـار والسَّهـرُ
وكم بـه لـرجـال الجـدّ من أربٍ نـام المقصّـر عنـه وهـو مـدَّخـر
تصفـو الخـواطر فيـه من شـوائِبِهَـا ويحضـر الفكـرُ لـلإفهـام والنـظر
فَسُهَّـدُ اللَّيْـلِ مصـفـاةٌ مـواردُهُمْ ونـوَّمُ الليـلِ لا يـدرون مـا الخبـر
شتَّـانَ من جَفْنُـهُ بـالنـوم مغتـرقٌ ومـن خـواطـره بـاللَّيـل تَـعْتَـبِـرُ
يـا مُغنِيَ اللّيل نـومـاً والنهـار عمى متى تَـفِيـقُ ولا سـمـعٌ ولا بـصـرُ
تـرجـو الإقـامـة فـي دار مـنـقـلة وتغفـلُ الـزادَ فيهـا إذ دَنـا السَّفَـرُ
أيـقظْ فؤادَكَ مـن نـومٍ ومن سنـة واحذرْ فذو الحَزْمِ من أوصافِهِ الحذر
ولا تُضِـعْ عُمْـراً في غيـر فـائـدةٍ فَعَنْ قـريب، لَعَمْـري، يَنْفَـذُ العُمُـرُ
وقم إذا صُبِغَتْ في الليـل دهـمتُـهُ وأسـرِجتْ في دُجَـاهُ الأنجمُ الـزّهـر
فـاندبْ ذنـوبَـك واستـوهبْ إقـالتهـا فـالعفـو عنـد اعتـرافِ العبـدِ يُنْتَـظَرُ

فأرسِلِ الدَّمع عن خوفٍ وعن نَدَمٍ ... يَمْحُ الخلافَ الذي ما زال يُسْتَطَرُ
وارجعْ إلى الله واقرعْ بابَ رحمتِهِ ... واصبرْ فذو الصَّبْرِ مضمونٌ له الظفر
واجعلْ نعيمَكَ في القرآنِ تقرأه ... فخيرُ ما يُقْرَأُ الآياتُ والسُّور
وإن عراك عداءٌ في الدُّجى فَبِهِ ... يأتيك بالنجم في أعقابه السَّحر

* * *

وقال ـ رضي الله عنه ـ يذمّ الحسد:

إن الكبائر للطاعات مفسدةٌ ... وإن أَفسَدَهَا للطاعةِ الحسدُ
لا تضمرنَّ على ذي نعمة حسداً ... إنَّ الحسود من الرحمن مبتعد
واقنع برزقك فالأرزاق قد قُسِمَتْ ... سيَّان في الرزق بطَّالٌ ومقتصد
فإن حسدتَ امرأً فيما يخصُّ له ... فاذهبْ فمالك إلاَّ الإثمُ والكمد
خُلقٌ ذميمٌ وأغراضٌ مذممةٌ ... ومقصدٌ بلسان الشرع منتقد
كَرِهتَ حالاً أراد الله ثروتها ... فاقنعْ بما قد قضاه الواحد الأحد

* * *

وقال في مثل ذلك:

يا حاسدَ النّعمةِ في غيره ... وذا هباً في الغي من مذهبِهِ
بحرُ العطايا أنت في لجّهِ ... وتحسدُ المسكين في مذنبه
وقد هدى جفنك بدرُ الدُّجى ... وأنت لا تطرف عن كوكبه
تحسده في كلِّ أحواله ... وربما زدت على مكسبه
في أكله الطّيب في شربه ... في لبسه النعم[1] في مركبه
يا نائماً يحسد إخوانه ... الله قد فضّلهم فانتبه
انظر بعين الفكر في ذا وذا ... ما سَنَنُ التحقيق بالمشتبه
حالُكَ لا تبقى ولا حالُهُ ... ما أَقْرَبَ الظامىء من مشربه
والبدرُ إن راقك إشراقُهُ ... فإنه يشجيك في مغربه

---

(1) النّعم: كذا ولعلها الناعم.

لا تَصْحَبَنْ ذا حَسَدٍ إنَّهُ ... أولُ ذنبٍ عُصِيَ اللهُ بهِ

* * *

وقال ـ رضي الله عنه ـ في غير ذلك المعنى:

الخوفُ والأنسُ شيءٌ ليس يتفق ... والحبُّ والدمعُ أمرٌ ليس يفترقُ
فاقبض عنانَ الدَّعاوي فهي مُردِيةٌ ... ولو تمادى بها في غيِّها الطَّلق
وارجعْ وراءكَ عن طُرْقٍ مضللة ... فليس في كلِّ حين ترشد الطرق
ولا تقولنّ إني خائفٌ وَجِلٌ ... ولا مُحِبٌ فذاك القول مختلقُ
ولا تُواكِبْ غداةَ السَّبقِ معتدياً ... أهلَ السِّباقِ وأنت اللّغو واللحق
والزمْ مقامَكَ وهو العَجْزُ وارْضَ بِهِ ... فالأرضُ تسفل مهما عُلِّيَ الأُفُقُ
فالعبد عند حضور الطَّرْفِ محتقرٌ ... والنجمُ عند سطوع الصبح (ممتحق)[1]
نادتك نفسُكَ للأهواء جامحةً ... والطبعُ يُسْعِدُها والوَهْمُ (والحُمُقُ)[2]
وَبِتَّ من شَهَواتِ النَّفْسِ في شُغُلٍ ... تُفْنِي زمانَكَ في لهوٍ وتفترق
والدين عندك قولٌ أنت قائله ... وليس للفعل فيما قلت معتلق
تَحَيُّرٌ وتخاليطٌ وذبذبة ... وغفلة ودعاوٍ كلُّها حمق
حكيت قوماً بأقوال تسارقُهَا ... وللمحبين حالٌ ليس تسترق
فاشددْ حيازيم عزمٍ في اللِّحاق بهم ... فالعزم أحسنُ شيءٍ أنت تنتطق
ولا تُعَلِّلْ بسوفَ فهي مهلكةٌ ... لم يرضَهَا قطُّ إلَّا الجهلُ والخَرَقُ[3]

ما أنت من حالة المحيا على ثقةٍ ... وأنت تفعل فيها فعل من يَثِقُ
يا نائمَ القلب مَعْنِيٌّ وهو منتبهٌ ... والقلبُ إنْ نام لم يستيقظ الحدق
لا تفتحن بغير الجدِّ مشكلةً ... فليس يبقى على مفتاحه غلق
وكم تَسَابَقَ أقوامٌ على أمدٍ ... لكنَّه لقليل يُسِّرَ السَّبَق
خاطرْ بنفسك في بحر التُّقى أنفا ... إنَّ الشهادةَ فيه العيشُ والغرق

---

(1) في الأصل: ممحق.
(2) زيادة على الأصل يقتضيها الوزن والمعنى.
(3) الخرق: الحُمق.

وقـد زعـمتَ بـأنَّ الـنَّفْسَ زاكيـةٌ أنَّى وأنت مـع الأمحـاض ممتـذق[1]

أينَ الـدليـلُ على مـا أنت زاعمـه وبـالأدلـة يُـدْرَى الـجـدُّ والمـلق

في الهـواجـر لا جـوعٌ ولا ظمـأ وفي الـدياجيـر لا سُهْـدٌ ولا أرَقٌ

مـا حقَّقَ الـعَـزْمَ إلاَّ كَيِّسٌ فَـطِنٌ يحثُّـهُ سـائغـان: الحبُّ والشـفق

خـاف البيـات فبـات اللَّيـلَ مـرتقبـاً بحـارَ مـوتٍ على الأرواح تنـطبق

مسهَّـدُ الجَفْـنِ في فكـرٍ ومعتبـرٌ لا الفجـر يلفيـه نـوَّامـاً ولا الشَّفق

بـاللَّيـل مشتمـل بـالسهـر مكتحـل بـالـدَّمـع مصطبـح بـالـدمـع مغتبق

يفتـنُّ ظـاهـرُهُ قـربـاً وبـاطـنـهُ حُبَّـاً وأهـلُ التُّقى في حـالهم فِـرَقٌ

سَفْـرٌ إلى الله لم يَصْـرِفْ رواحِلَهُمْ هـوى النُّفـوسِ ولم تصـرفْهُمُ العلق

والعـارفـون إذا صحَّتْ معـارِفُـهُمْ للَّـهِ إن صمتـوا بـالله إن نـطقـوا

مـوحـدون فـلا يلوون أعينـهـم سِـراً وجهـراً لغيـر الله إن رمقـوا

أفكـارهم زُهُـرٌ أنفـاسهـم زَهَـرٌ أجفـانهـم غـدق أحشـاؤهم حـرق

دمـوعهم أبـداً للخـوف هـامعـةٌ لـكن ظـلوعهـم للحبِّ تـصـطفق

أضحت جسومُهُمُ في الأرض سائمةً وطـيَّهـا أنـفس لـلغيـب تـختـرق

لله فـي الـخـلق أسـرار مـخبـأةٌ من دونها رُتَّجٌ[2] الأبـواب والـغُـلُقُ

وأنفس طَهُـرَتْ أنفـاسهـا فسـرت في السـرِّ تنفـح حبـاً حين تنتشق

عـرفـان يـوسف بعـد البعـد إخـوتَـهُ أدَّى إلى جمعهم من بعـد ما افتـرقوا

فـأعرفْ إلاهَـكَ واعملْ بعـد معرفـة فـالأصل تلك وهـذا الفـرعُ والـورق

واصبـرْ قليـلاً فـإن الـدّار دارسـة وكـلّ مـن حلَّهـا غـادٍ فـمـنـطلق

وإن يَفِ لـك من عهـد الصِّبـا زمن فـاضننْ بـه فقليـلاً يمكث الـرَّمق

يـا شـائبَ الفـودِ إلاَّ من بـطالتـه جَـدِّدْ مـلابسَ ثـوبٍ أيُّهـا الخلق

لا تنسَ صرعةَ موتٍ سوف تـذكرهـا إذا تغشَّـاك كـربُ الفَـزع والعـرق

وضجعـةً تـرهب الأرواح فجـأتهـا لو كان يعصمهـا من فجئها الفـرق[3]

---

(1) محضة الحديث: أخلصه وصدقه، ومذق الودَّ: لم يخلصه.

(2) رتج: رتج الباب وأرتجه: أغلقه.

(3) الفرق: الفزع.

استغفرُ الله من قول تعقّبهُ بالنّقص فعلي فلم يعدم له رهق
أراقب الصّبح والأحشاءُ مظلمةٌ وهل ينير فؤاد كلّه غسق
يا من أخاطبه والحال شاهدة أني لنفسي بهذا القول استبق
إذا اتفقنا على سهو ومعجزة فمطلب الرُّشد منّا ليس يتفق
والنّاس في دينهم صَحَّ اختلافُهُمْ لكنّهم في هوى دنياهم اتفقوا

* * *

وقال رضي الله عنه:

مقاماتُ أهلِ الدين عند بني الدُّنيا مقامات معنيّين بالرّتبة العليا
رأوا ربّهم قبل الّذين يرونهم فمالوا مع الإثبات واطّرحوا النّفيا
ولم يطلبوا إلاّ رضا اللّه وحدَهْ ولو أسخطوا هذا الأنام بلا ثنيا
ومن كان بالتّحقيق للحق قائلا تُقُبِّل منه ما يقول ولو أعيا
فكم مالك باغ أصاخ لواعظ (بحق) فلم يَسْطِعْ على وعظه بغيا
نواصي ملوك الأرض في يد مالك يصرّف في مخلوقه الأمر والنّهيا
فلا تُرْضِ مَخْلُوقاً باسخاطِ خالقٍ فربّك أولى من يُخَافُ ويُسْتَحْيَا
ومن آثر المولى على كلّ حالة رأى آمليه في الممات وفي المحيا
فيا من يريد الله حقاً بقوله تلبث فقد غلّبت دنيا على دنيا
إذا ما جعلت الزيّ برّك والتّقى فإنّك يوم الحشر أكرمهم زيّا

* * *

وقال ـ أسبغ الله عليه المنّة وأثابه بالجنة:

من عَذَل العقربَ في لسعها كلّفها ما ليس في وسعها
فاقبضْ عن الدّنيا يداً طالما أجمعت العزم على جمعها
فربّما غرّك من لينها ما قيّد الأنمل عن نزعها
فَوَعْدُها داعٍ إلى خلفِهَا وَوَصْلُهَا عاد إلى قطعها
كم حُمَّة في شهدها كمنت فاستعمل الحيلة في جرعها
(غَفِلْتَ) عن حتفك في أصلها بزهرة غَرَّتْكَ في فرعها

حـذْرَكَ مـنـهـا إنـهـا خـلة   فـاسـدة بـالـطَّبـع في وضعهـا
فَقُبْحُهَـا أظهــرُ من حسنـهـا   وضُــرُّهَـا أكثـر من نفعـهـا

* * *

وقال ـ رضي الله عنه ـ :

كـلُّ من قـاس نبيّـاً بسـواه   في سجـايـاه ففضَّ الله فـاه
أبت العـصمـة أن يـشتبهـا   ليس بين النّجم والشّمس اشتباه
ليس غـاد في سنا عصمتـه   مثل سار في دياجير هـواه
أنـبيـاءُ اللّهِ أنــوار الـهـدى   من رأى نـورهم نـال هـداه
كـيف لا يـهـدي نـبيٌّ أمـةً   لصفـاء الـورد والله اصـطفاه
ظهـرتْ أسـرارهم عن كَـدَرٍ   فهي في نوم النّهي ذاتُ انتباه
حـفظ الله لـهـم أنـفـسَـهُـم   فهي لا تـطمح إلاّ لـرضاه
وكـسـا أفكـارَهـم معـرفـةً   عَـظُمَتْ هِمَّتُهَا عمّن سواه
والـذي نـرويـه في أخبـارهم   [كان قـد][1] صدقه من قد رواه
من حمـاه الله أكـدار الهـوى   لا يـراه أبـداً حيـث نـهـاه
أثبت الإجمـاع فينا طهـرهم   فهـل المخطىء إلاّ من نفـاه
وحـديـث الهـمّ في تـأويـله   أوجـهٌ قد سفـرت عن مجتلاه
ذاك طـور جـلَّ أن يـدركـه   غير معصوم فـدع قول الشِّفـاه
تتعبُ الأرجـل في إحضـارهـا   ثـمّ لا تبـلغ مقـدار الـجبـاه

وقال يندب رجالاً عفت آثارهم وأودِعَتْ في أخبارهم :

تلهفْ ومـا يجـري عليـك التَلَهُّفُ   مضى الحبّ إلاّ الـذّكـر وهـو تكلفُ
تقضّى رجـالاً قـد سمعت كـلامهم   (. . . . .)[2]

---

(1) ما بين المعكوفين زيادة على النص، وفي أصلها كلمتان أولاهما غير واضحة ورسمهما كما يلي (لمن يحقق).

(2) هذا الشطر بياض في الأصل.

وكـانـوا لنـا زينـاً وأُنسـاً ورحمـة ... فـنحـن على فـقـدانهـم نـتـأسـف
تـولّـوا فهـذا الأفق أسـود حـالـك ... وبانوا فهذي الأرض بيداء (نفنف)[1]
إلى الله نشكـو الحـزن بعـد فـراقهـم ... علي أن مـاضي أنسهم ليس يعـطف
أزاهـرُ دنيا عـاجـل المـوت قـطعهـا ... وخلّفنـا والـزّهـر لا غيـر يقـطف
فـأين ضلوع في الهـواجـر تلتظي ... وأين دمـوع في الـديـاجير تُـذرف
وأين قلوبٌ من هـواهـا خـوافق كمـا ... خطرت في الرّوض نكباء[2] (جرجف)[3]
وأيـن نفـوسٌ عـن غـرام تنفّست ... فكـادت ضلوع فـوقهـا تتقصّـف
وأيـن عقـولٌ بـالـحقيقـة تعتني ... وأيـن جسـوم بـالـتـذكّـر تنحف
سـروا في ذمـام الحبِّ نحـو حبيبهم ... فمـا منهم عين على الأرض تـطرف

* * *

وقال يُصبِّر على المكروه المقدور، ويحضّ على ترقّب الفرج المنتظر ويذكر قصة يوسف ـ صلى الله عليه وسلم تسليماً ـ :

لا تجـزَعنَّ لمكـروه تـصـابُ بـهِ ... فقـد يُؤدِيكَ نحـو الصّحـة المـرضُ
واعلم بـأنّـك عبـد لا فكـاك لـه ... والعبـد ليس على مـولاه يعتـرض
فسلّم الأمـر تـسـلم في عـواقبـه ... وأرض القضاء فقد فـاز الذين رضـوا
وإن غـدت أزمـةٌ فـاصبـر لشـدتهـا ... إن الشـدائـد تـأتي ثـم تنقـرض
والعسـر يتلوه يسـر إن صبـرت لـه ... ضـدان هـذا وهـذا عندنـا عـرض
والعيشُ كـالحُلْم أضغـاث منـوعـة ... وسـوف يلحق بـالإيقـاظ مغتمض
يـا من تسخَّطَ ما يجـري القضاءُ بـه ... كم أنت في سنن الهـلاك تـرتكض
إن ارتماضك[4] مـمـا لا دفـاع لـه ... شؤم عليـك فكم ذا أنت تـرتمض
سفينُ صبـرك نحـو الأمـر يـدفعهـا ... فاصبر قليـلاً فمن قدّامك الفُرَضُ[5]

---

(1) النفنف: المفازة، والكلمة غير واضحة في الأصل.
(2) النكباء: ريح انحرفت ووقعت بين ريحين.
(3) (لعلها ترجف).
(4) ارتمض: قلق وحزن.
(5) الفرض: جمع فرضة وهي محطُّ السفن في البحر.

في شأن يوسف إن فكّرت معتبرٌ وهو الدليل الذي ما فيه معترض
لاقى الشدائد بالتّسليم منتظراً لطف الإله ولم يظهر له مضض
وكم أرادت زليخا صرف خاطرهِ إلى هواها ببسط وهو ينقبض
وآثر السجن إرضاء لخالقه ولم يزلّ به في خطره الدَّحض[1]
عناية الله تحميه وعصمته فما يتمّ لشيطان به غرض
من كان ظاهره نوراً وباطنه لم يلف في ظلمات الجهل ينتهض
لَمَّا رأى الله منه صدق باطِنِهِ وأنَّ حبلَ تقاه ليس ينتقض
كانت عبارته الرؤيا له سبباً للملك والناس في أهوائهم فضض[2]
ومُلّك الأمرَ يطويه وينشرُهُ فالبذل في يده والقَبْضُ والقَبَضُ[3]
وجاء أخوتُهُ طوعاً ووالده شوقاً له وهو مما ناله جرض[4]
فجمَّع الشمل ربٌّ كان فَرَّقَه وليس لله في الحالين معترض
ومن يكن تاركاً شيئاً لخالقه فسوف يرضيه من متروكه العِوَضُ
إنّا لنذكر أوصافاً مكرّمة ونحن لا حَبَضٌ فينا ولا نبض[5]
سُنَّتْ علينا فلم نصلح للبستها والطير من بلل الأمطار ينتفض
بتنا نخادع بالأطماع أنفسنا وكلُّنا للرّزايا والأسى غرض
ما نحن ناس إذا حقّقت حالتنا وإنما الناس قوم قبلنا انقرضوا

* * *

وقال في مثل ذلك:

تصبَّر إذا نابتك للخطب شدةٌ فبعد اشتدادٍ للحوادث لينُ
ولا تيأسْ من فرحةٍ بعد ترحة فقد تخذل الأيامُ ثم تعين
فيعقوب لاقى الكربَ في فقد يوسف ثمانين حولاً والحنين قرين[6]

(1) خطر الرجل: قدره، والدَّحض: الازلاق والزلل.
(2) فضض: متفرقون.
(3) القَبْض: الأخذ، القَبَض: ما قبض من أموال الناس.
(4) الجرض: المغموم.
(5) يقال ما به حبض ولا نبض: أي حراك.
(6) الحنين بفتح الحاء: المحنة، ويكسرها: المدة الزمنية المبهمة.

فلمـا تمـادى بعـده حين بعـده تـلافـاه مـن أنس التـقـرّب حين
فدن بالـرّضا فيمـا يجيء به القضـاء فـإن الـرّضـا للصـالحـات ضمين
وهـل يُتّقى ليلُ الخـطوب إذا دجى وعـقبـاه صبـح للنجـاح مبيـن

* * *

وقال في مثل ذلك:

لا تـضـقْ ذرعـاً بـخـطب نـازلٍ ربـمـا جـاءك خـطبٌ ومـضـى
لـك في يـوسف[1] أسنى قـدوة إن تـأسيـت بـهـا نـلت الـرّضـا
غـاب عنـه يـوسفٌ من بعـد مـا تـرك الـقلب عـلى جمـر الـغضى
فـطوى الـكشـع عـلى أوصـابـه لا أخـا شـكـوى ولا معـتـرضـا
فتلقّى يوسفاً[2] مـن بـعـد مـا صار من طول اشتيـاق حرضا[3]
وانـقضـى الـحـزن بـأنس بـعـده عَـرَضٌ وَلّـى وأبـقـى عـرضـا
سـلّم الأمـر لـربٍّ قـاهـر فـأراه الـسّـول مـنـه عـوضـا
يـحـزن الـعـاقـل لـكن عـقـده أنـه لا بـدَّ من جَـرْيِ الـقـضـا

* * *

وقال رضي الله عنه:

لا يخـدعنّـكَ ظـاهـرٌ من بـاطنٍ حتى يـصـدّقـه لـك الـبـرهـانُ
كم ظـاهـر قـد غـرّ وهـو مـزورٌ ولـربّـمـا خـدع القـلوب لسـان
وقـضيـةُ الأسبـاطِ فيـهـا عبـرةٌ إن كـنـت تـفـهـم أيّـهـا الإنـسـان
سفكـوا دمـاً فـوق القميص وطـالبـوا بـالـثـأر ذئـبـاً مـالـه عـدوان
وبكـوا عشـاءً كي يصـحَّ مقـالُهُمْ والـحـقُّ تـقـبـل نـوره الأذهـان

---

(1) يوسف: كذا في الأصل، وأظن المراد يعقوب بدلالة ما بعده عليه.
(2) يوسفاً: كذا وتكثر مثل هذه الضرورة الشعرية في الشعر الأندلسي، وأكثرها صرف الممنوع من الصرف.
(3) الحرض: من أذابه الحزن.

وفؤاد يعقوب يكذِّبُ قولهم — فالأكل شكٌّ والدماء عيان
أنىٰ يصحّ الفرع ينكر أصله — ما للمحال بحاله إمكان
إن عنونوا بدم القميص فربّما — صحّ الكتاب وأخطأ العنوان
فالغدر من شيم النفوس فلا تثق — إلّا بنفسك فالأمين يُخَان
عاملْ بحزم الرأي أكثر من ترى — فأبو فلان في الخداع فلان
وإذا ظفرت بمُتَّقٍ فاقنع به — يكفيك من أحفائك[1] الإنسان
من جاء في البهتان منه بشبهة — بَطُلَتْ لديه وأُثْبِتَ البهتان
أبدى براءة ذئب يوسف نطقَهُ — ما بعد ابراءِ البيان بيان
لو كان ذاك الذّئب آكل يوسف — في برده لم تسلم الأردان[2]

* * *

وقال رضي الله عنه:

أتدري من تبارز بالذّنوب — وتعصي الأمر منه على الدّؤوبِ
وتجحدُ ما حباك من الأيادي — وتنسى ما حماك من الخطوبِ
هو المولى الذي بثَّ العطايا — دراكا في الشّروق وفي الغروبِ
له شهد الوجودُ بعالميه — من الأجسام طُراً والقلوبِ
فإن له الأوامر والنواهي — وتصريف الظواهر والغيوبِ
إلهي عفوك الموعود عمَّنْ — تلقى الوعد منك على الوجوبِ
فكم أخفيتَ منّي من عيوب — وكم فرَّجتَ عني من كروبِ
فوفقني فأنت تمنّ فضلاً — على العاصي وتغفر كلّ حوبِ

* * *

وقال أيضاً ـ رضي الله عنه ـ:

أيا عاصي النصيحة والوصاة — مقيماً بين هاك وبين هاتِ
يجرُّ ذيولَه مرحاً وكبراً — أصمَّ السمع عن وقع العظات

---

(1) مفردة غير واضحة في الأصل، ومن معاني الاحفاء: الاستقصاء والالحاح في السؤال.

(2) الأردان: جمع ردن وهو أصل الكم من القميص.

أغـرّك جمعُ أنسـك وهـو جمـعٌ يـؤول إذا اعتبـرت إلى الـشّـتـات
وأمَّـنَـك الـبـيـاتَ هـوى دخـيـلٌ وكم قـد غُـرَّ غيـرك في البيـات
كـأنـك لـستَ تـبصـر كـلَّ حـين سهـامَ الموت في كـلّ الجهـات
تـؤمـل جـنّـةً وتـخـاف نـاراً وهـل طلب يصـحّ بـلا متـات[1]

تمسّك ما استطعت عساك تنجو بحبـل الـبـاقيـات الـصـالحـات
وأعطِ الله عـهـداً أن ستـطفـي بمـاءِ الـدمـع نـار الـسيّئـات
لـعـلّك أن تـفـوز بـدار عـدنٍ فـتـظفـر بـالـسعـادة والـنّجـاة

* * *

وقال رضي الله عنه باقتراح بعض المريدين:

وَجْـدٌ وسـهـد ودم يـسـفـك يـا رحـمـة الله كـذا أهـلكُ
أفـنـى ولا يـعـلـم إلاَّ الـذي يـقـبـلـني إن شـاء أو يـتـرك
يـا سـيّـدا من نـور تـذكـاره خـواطـر في خـاطـر تسلك
لـم أتّخـذ غـيـرك لي مؤنسـاً ومـدّعي التّـوحـيـد لا يشـرك
مـلكـتـني مـلّكـتـني ذا بـذا يـا عـجـبـاً أمـلك أم أمـلك
لا ذقت طعم الـوصل إن لم أكن على القضـا في حبّـه أمسـك
أو لـم أشمـر لابـتغـاء الـمنى وأنـنـي أطـلـب مـا يـدرك

(1) المتات: الوسائل، ومما يستحق الذكر في هذا الشأن أن بعض نساخ الصحاح وقع في خطأ على ما يبدو فكتبها (الموات) ولم يستغرب محققه وجود مادة (موت) في موضع متت، وقد وقع في ذلك أيضاً من قبله صاحب الصحاح. (انظر الصحاح بتحقيق أحمد عطار ومختار الصحاح بعناية محمود خاطر).

(في مجالس الجمعة)

وكان الواعظ المحسن أبو عبد الله الكفيف(*) ـ رحمه الله وغفر له ـ بمراكش حرسها الله عام واحد وستمائة، وقد أمر أن يذكر بجامعها ـ صانه الله ـ غدوة يوم جمعة[1]، وكانت مجالسه مشهورة محضورة، وغرراً في وجوه الأيام المشهورة.

فأشار على الشيخ الفقيه أبي زيد ـ رضي الله عنه ـ بعض من يحبُّ إسعافه، ولا يتمكن خلافه أن ينشىء لأبي عبد الله أشعاراً يستفتح بها مجالس ذكره ليستدرّ له الدعاء من حاضرين ألسنتهم ناطقة بالذّكر، وقلوبهم معمورة بالله تعالى ثم لإمامهم بالشكر فقال:

سلام وتقديم التحية واجب … على الملأ الأزكى الذين أخاطب
على من إذا داعي المتابِ دَعَابِهِمْ … فكلُّهم داعٍ إليه وتائب
رعى الله هذا الجمع سراً وجهرة … ففيه المعالي كلُّها والمناقب
بيُمْنِ أمير المؤمنين وَمَنِّهِ … وعزة هذا الأمر هذي[2] الرغائب

(*) أبو عبد الله هو: محمد بن أحمد بن الحجام، كان واعظاً زاهداً (ترجمته في الذيل والتكملة 266/8 والتشوف 268 والذخيرة السنية 51 وبغية الرواد 27).

(1) كذا بالإفراد والسياق يدل على جُمَعٍ كثيرة لا جمعة واحدة.

(2) في الأصل: هذا.

إمـام بـكفِّ الـدِّيـن منـه مـهنـد ... لــه من رؤوس النـاكثيـن ضــرائب
تــقــبَّــل آثــار الأئــمــة قــبــلـه ... فـلا الـظلّ مفقـود ولا النّـور غـائب
لــه من دعــاء المـسلمين وحبِّهـم ... كـتـائب مـصنـوع لـهـا ومـواكب
فســلْ عنــه آفـاق البــلاد وأهلهــا ... تَلُحْ لـك أثناء الجـواب عجـائب
ومــا هــي إلاَّ مكــنــة وعـنـايـة ... تـهـيئـهـا الأقـدار والله غـالـب
بها ائتلفت هذي القلوب على التُّقى ... وهـل تكشف الظلمـاء إلاَّ الكـواكب
إذا الغيم عمَّ الـخــافقين تـدفقـا ... فـلا عجب في أن تـطيب المشارب

* * *

وفي جمعة أخرى:

ألا قــل لـلـتّـقـاة الـسّــامـعـينَ ... عـن المـثنى عليهـم أجـمـعينـا
لكم حظ[1] مـن التـقـوى جـزيـل ... وحظ مــن لـقــاء الـمـتـقـيـنـا
وفـيكـم من إذا الـظُّلَـمُ اسـتقلت ... وحـلَّت خـلوة الـمـتـهجّـديـنـا
نضـا ثـوب الكـرى عن نـاظـريـه ... وبــات يــردّد الــذّكـر الـمبينـا
تــلوح لــه الـشــواهـد بـيِّـنـات ... فـتكسبـه الـتـواجـدَ والحـنيـنـا
ألا تــدعـوا الــدُّعـاء بـطول عمـر ... لـسـيـدنـا أمـيـر الـمـؤمـنـيـنـا
لمن وســع الـورى عــدلاً وفضــلاً ... ومـن فــاق الــورى دنـيـا وديـنـا
ومــدَّ عــلى رعـيـتــه جـنـاحـا ... تــدفَّق فــوقهـا عــذبـاً معـينـا
مـضى الـمـتـقـدمـون ولاة عــدل ... فـنــاب منـابـهـم فـي الآخـريـنـا
كـفى الـفقـراء إحـسـانـاً وألـقـى ... (عـن[2]) الآبـاء أعـبـاء الـبـنـيـنـا
إمــامٌ صـيّــر الــتّــقــوى إمــامــاً ... فـلم يـدعِ الـتـوكّــل والـيـقـينـا
ولـم تجـد الـخـلافـةُ عـن عــلاه ... شـمـالاً تـنـتحـيـه ولا يـمـيـنـا
رآه الله أطــهــرهــم ضـــمــيــراً ... فـقـلّد جـيـده الـعـلق الـثـمـيـنـا
لأمــر مــا رأيــت الـنــاس طــراً ... بـإجـمـاع عـلـيـه مـجـمـعـيـنـا

---

(1) في الأصل: خط.

(2) في الأصل: على فكأنه بتحمله الانفاق على أبناء الفقراء قد وضع أعباء نفقاتهم عن كواهل آبائهم، وهو ما لا تفيده (على).

بدا علم الهدى فدعا إليه وكان لنيله سبباً متينا

فسلْ عنه البلاد وساكنيها تجدّهم في جوابٍ[1] شاكرينا

إذا ذاك الجبين كساك نوراً فنورك فانتظر تلك اليمينا

نسينا الظلم والظلمات لمّا تجلّى عدله[2] صبحاً مبينا

فما ندري الهموم ولا الرزايا ولا نحصي الشهور ولا السنينا

فإن غرّت أعاديه هناة فإن الله خير الناصرينا

وإن وراء دولته دعاءً تُهدُّ له قلوبُ الدارعينا

وبيضاً تحت سُمر فوق دُهْم ضربناها ألوفاً في مئينا

ضمان أن ينال الطلق طلقاً إمام كان بالتّقوى ضنينا

ومن كان الدعاء عليه عانٍ[3] لمن كان الدعاء له معينا

* * *

وفي جمعة أخرى:

إلى الله فلتُرفعْ أكفُّ الخلائقِ وبالله فَلْتُدْفَعْ صعابُ المضايق[4]

وفي الله فليعظم رجاء عبيده وهل تُعْوِزُ المخلوقَ رحمةُ خالق

فيا أيها الآوي إلى غير بابه تمسّكْ فقد أخطأتَ سمت الحقائق

تَأمَّلْ كشفَ الضرِّ من غير قادر وترجو منال الرزق من غير رازق

وتصدقُ في التّوحيد قولاً ونية وتفعل أفعال امرىء غير صادق

أَفِقْ فطريقُ الحقِّ أبلجُ واضحٌ إذا أشكلت يوماً جميعُ الطرائقِ

وَعَوِّل على من ليس شيئاً كمثله تكن معصماً عزّاً بقنّة شاهق[5]

ودونك فاسرحْ إن أردتَ تنزهاً جفونك من آياته في حدائق

---

(1) في الأصل: جوابهم.

(2) في الأصل بأعمام الذال.

(3) عان: أسير.

(4) سُهلت الهمزة وهو كثير في تآليف المغاربة والأندلسيين.

(5) عزا: من العزة بمعنى المنعة، والقنة: أعلى الجبل.

تــرى ليس إلاَّ الله من غير كــاذب ... وتسمــع جــلَّ الله من غيــر نــاطق
ففي مـلكــوت الله بحــرُ عـجـائبٍ ... يـطيشُ بهـا من (نـطقـه عقـلُ دائق)
ســرادق نــور الله دون جــلالــه ... وقـد حـارت الألبـاب دون السّـرادق
ألاء لنـا من لـطفـه كـلَّ لـمحـة ... جــلائــل لـلنعـمــاء فــوق دقــائق
يـمنُّ ونـعصيــه فيعفــو تـفـضــلا ... تبــاركت غفــاراً ذنــوب الخــلائق
فيــا أيُّهـا الــرّاجـون للوصــل كـرة ... أصيغـوا فإنَّ الـوصل قـطع العـلائق
وقـومـوا بشكــر الله في كـلِّ نعمــةٍ ... تَيَسَّــر منهــا لاحـقــاً إثــر ســابق
ومن نعم المــولى علينــا خليفــة ... وقــانـا بـظلِّ العـدل ظلم الـودائق[1]
إمــام بـأقصى الغــرب ألقت أكفَّــه ... لــطاعتــه طــوعــاً أكفّ المشــارق
بــه جمع الله القلوبَ على الهــدى ... ولــولاه لـم يُـعـلمْ تــوثـبُ نــاعـق
إذا مـا عـداه استرسلت في نفـاقهـا ... ففي سيفــه بــطش بـكــل منـافـق
لـه ذخـر النصــر المبين على العـدا ... وإن شئت فلْتسـألْ بـطون المفــارق
وهـل تَـدفــعُ الأعـداءُ وهي أواخــر ... معـالي قـد خـطت لـه في الســوابق

* * *

وفي جمعة أخرى:

بـذكــرك يُـبــلغ الأربُ ... وبــاسمــك تُفْـرَجُ الكُـرَبُ
ونــحــوك تــرفــع الأيـدي ... إذا مــا نــابــت الـنُّــوَبُ
وأنــت الــرَّبُّ مُـبـدئــنــا ... ونــحــن إلــيــك نـنـقــلب
تــمــنُّ ومــالــنــا عــمــل ... وتــرحــمــنــا ولا ســبــب
إلــيــك تعــلَّت الألــبــاب ... إذ[2] رفـعت لـه[3] الـحـجـب
ولاحــت من بـحــار الـغـيـب ... أســرار لــهــا رتــب
فــطرف شــاخص فــرقــا ... وقــلب (يــمــنــه) يــجــب
إذا مــا خــلّفــت عــجــبــاً ... بــدا مــن بــعــده عــجــب

---

(1) الودائق: الدواهي.

(2) في الأصل إذا.

(3) له: كذا ولعلها (لها).

طريق مابه حَزَنٌ ... وسير ماله تعب
لك العبر التي نطقت ... به الأرواح والأهب[1]
لك المنن التي صَلُحَتْ ... عليها العجم والعرب
لك الجبروت والملكوت ... لا شكٌ ولا ريب
تعالى مُلْكُ من شهدت ... له الآيات والكتب
ولاحت من دلائله ... وجوهٌ ليس تنتقب
مكاتبة ولا خطأ ... مخاطبة ولا كذب
فيا من تبعد الدُّنيا ... به والموت مقترب
أَجِلْ نظراً تفدْ عِبَراً ... ولا يقعد بك النَّظَرُ
لأمر ما وأمر ما ... تشيب وتطلع الشُّهب
تمرّ بأذنك الذكرى ... ولا خوف ولا أدب
وكيف ترى حقيقتها ... ونور العقل محتجب
رقيب الموت مطلعٌ ... عليك وليس ترتقب
تيقَّظْ أيُّها السَّاهي ... فخلف حياتك الطَّلب
وظلُّ الله ممدود ... عليك بستره طنب[2]
أنالك ما تؤمله[3] ... ولا همٌّ ولا نصب
وكفُّ عداك والأيدي ... ذوات الأيد[4] تنتهب
بمن عُقِدَت إمامته ... ولم يسمعْ بها صخب
وأذعنت البلادُ له ... ولم تصرم لها شعب
بأمر الله مضطلع ... لدين الله محتسب
مؤيدةٌ عزائمه ... إذا ما اصطكت الركب
صفا جوداً فلا بخل ... صفا حلماً فلا غضب
وأغمد سيفه لمَّا ... كفاه السَّعد والرّعب

---

(1) الأهب: الأجساد.

(2) الطنب حبل يسد به سرادق البيت.

(3) في الأصل: ما تأمله.

(4) الأيد: القوة.

وأصبح رحمةً للناس ... مما ليس يُحتسب
فنور جبينه قمَرٌ ... وصوبُ يمينه ذهب
لذاك غمام دولته ... على الأفقين منسكب
همامٌ ترهب الهيجا ... ءُ صولته فتلتهبُ
يقوم (بجيشه) التّقوى ... ويقدم جيشه الرعب
يدبّ وراء دولته ... (دعا بيضه العربُ)[1]
وجيش هل رأيت البحـ ... ـر يطفو فوقه الحبب
به السُّمر الرُّدينيات ... والهندية القضب
وجُردٌ سَيْرُها عَنَقٌ ... ورَجْلٌ مشيهُمُ خبب
وطائفة مؤيدة ... إلى التوحيد تنتسب
فلا تنكر نجابتهم ... فإن جميعهم نجب
إذا ركبوا رأيت الموت ... منشوراً له العذبُ[2]
وخِلْتَ السُّحب مرعدةً ... ومبرقةً لها لجب
بأولِ دفعةٍ منها ... تغيضُ وتغرق القُلُب
إذا ما الحربُ قادتْهُمْ ... إليها شفَّهم طَرَبُ
تَلَذُّ لهم مواردها ... كأن شرابَهَا ضَرَبُ[3]
فيا من غرَّهُ سفهٌ ... وقاد برأسه عطب
أعدَّ لبأسه هرباً ... فإنَّ مآلك الهرب
وسوف ترى وسوف ترى ... وإن أملتْ لك الحِقَب
أثَرْتَ عليك داهيةً ... لها من بأسها لهب
أُسودٌ وغىً لِسُمْر الخَطْـ ... ـطِ فيها معقل أَشِبُ[4]
فما أُعدَدْتَ من نفرٍ ... فهم لوقودها حَصَبُ
وما أُكثرت من عددٍ ... فإن جميعها سلب

---

(1) هذا رسم الشطر ولعله: (دعاء بيضه العرب) على أن بيضه سيوفه.
(2) العذب: الأطرف.
(3) الضرب العسل الأبيض الغليظ.
(4) أشب: ملتف ومختلط.

أَفِقْ فالَّيثُ مطَّلعٌ ... عليك وأنتَ مقتربُ
وبادرْ قَبْلَ هَوْلٍ ما ... له رأْسٌ ولا ذنب
ولا تَغْرُرْكَ شِرْذِمَةٌ ... لديك فإنَّها لعب
ولو أنصفت لم يزحفْ ... إليكَ الويلُ والحرب
فإن الحق تعبده ... قلوبٌ ليس تنقلب
ومن كان الدعاءُ له ... فمضمون له الغلب

وفي جمعة أخرى:

لِعزّك ذلّت الأُمم ... وفيك تعلت الهمم
ونحوك حارت[1] الألبابُ ... لا يأسٌ ولا سأم
إذا ما خلّفت عَلَماً ... بدا من خلفها علم
طريق لا انتهاءَ له ... وسيرٌ ما به ألم
تعاظم مُلكُ من وجدت ... به الأجسامُ والنَّسم
وأيقن أنّه الجبّا ... ر هذا الخلق كلُّهم
ولاحت في الوجود له ... شهود ليس تُتَّهم
مخاطبةٌ ولا كَلِمٌ ... مكاتبة ولا قلم
لقد نادتْ مصرِّحةً ... بأنَّ الله ربكم
فيا عجباً أَيَعصي اللهَ ... من بُسِطَتْ له النعم
فلم يسهرْ له جَفنٌ ... ولم يتعب له قدم
فيا من لا يؤدي شكـ ... ـره عُرْبٌ ولا عجم
ومن بهرتْ دلائله ... وقد عمَّ النُّهى عمم[2]
ومن تعصي خليقته ... ومنه الستر والكرم
بدت شمس من التوحيد ... فانقشعت لها الظُّلم
وجاء خليفةٌ شهدتْ ... بطاعته لك الأمم
جمعت الخافقين له ... ولم يسفك لديه دم

---

(1) لعلها جازت.

(2) النّهى: العقول، والعمم: التام من كل أمر.

وصنت المسلمين له | فلا خوف ولا عَدَم
فأمر الدين والدنيا | بحمد الله منتظم
وكفُّ الفضل واكفةٌ | وثغر العدل مبتسم
لنا منه مع السَّاعات | جود ليس ينصرم
إمامٌ مشرقُ الآثار | ماضي الفكر معتزم
فقد صنعت له الأقدار | ما لا تصنع البهم[1]
إذا عظَّ[2] الورى زمن | فإن فناءه حرم
وإن غشيتهم[3] محن | فطاعة أمره عصم
له نعم على الأوى | إليه وفي العدا نقم
فنور جبينه برق | وجود يمينه ديم
فقل للجاحدين له | وفي آذانهم صمم
أفيقوا إن خلفكم | جيوش سيلها عَرِمُ
بحار غير راكدة | وفيها النار تضطرم
وطائفة موحدة | عراهُ ليس تنفصم
إذا ما الإفكُ قابلها | فإن الإفك منهزم
فيا من غرَّ ناظره | زخارف شادها الحُلُم
أَعِدْ نظراً فإنَّ هواك | في دعواك متهم
وفي الأغماد إن أصرر | ت سر ليس ينكتم
فإنّ خليفة الرحمـ | ـن بالرحمٰن معتصم
أمام عدوّه نقمٌ | وخلف وجوده العدم

* * *

وفي جمعة أخرى:

بدت لجفونك العِبَرُ | ولا فكر ولا نظر

(1) البهم: الشجعان.

(2) العظاظ: المشقة والشدة.

(3) في الأصل: عشيتهم بالعين المهملة.

وأنذرت النّهي فصممـ ـت عما ألفت النّذر
ولم تحفل بأحقاب لك الأيام والعصر
وأهملت الصّبا سفهاً فهذا الشيب والكبر
تطيل مناك مجتهداً وعمرك خانه القصر[1]
وتعطي أيُّها المغرو ر من عصيانها غرر
وتجحد فضل من شهدت له الآصال والبكر[2]
وفيه شواهد التّوحيـ ـد، بيّنةٌ ولا بصر
تعالى ملك من خضعتْ له الأرواحُ والصور
ومن نطقت بفطرته يقيناً هذه الفطر
إلٰهٌ ليس يلحق ملـ ـكَهُ نقصٌ ولا غير
وربٌ لا تحوم على سوى آياته الفكر
فلم ينكرْ أدلّته صحيح العقل مُدَّكِرُ
ولم ينسب إلى أحد سواه النّفع والضّرر
له من خلقه حجج وفي تصريفهم عبر
غنّي لا افتقار له ونحن إليه نفتقر
فسبحان اللطيف بنا وبأس الخطب منتشر
وسبحان الذي يُعصىٰ فيعفو وهو مقتدر
له في كل شارقة أيادٍ ليس تنحصر
وهل تخفى وقد وَضُحَتْ لها بوجوهنا غُرر
رياضُ المنِّ باسقةٌ ففيها الظل والثمر
وخير جميعها أثراً إذا ما عدَّت الخِيَرُ
إمامُ يأمُرُ الدنيا بطاعته فتأتمر
إلى المنصور منتسب وبالرحمن منتصر
شديد شكائم العزمات ساعة تضعفُ المرر[3]

---

(1) القصر: ضبط في الأصل بفتح القاف.

(2) البكر: جمع البكرة أي الغدوة.

(3) المرر: جمع مرّة وهي قوة الخلق وشدّته.

إذا ما (   )[1] ناظره تكاد الأرض تنفطر
هو الدُّنيا لنا والدِّين وهو الصَّحو والمطر
له من بأسه عدد ومن عزماته نفر
فإن يصبح خليفتنا فنعم الركن والوزر
وإن نصبح رعيته فسعد ساقه القدر
سمعنا ثم أبصرنا فطاب الخُبْرُ والخَبَرُ
وردنا نحو نائله[2] فلذَّ الورد والصدر
فقد أغنى الورى فضلاً فأثرى البدو والحضر
وقد وسع الورى عدلاً فلا حذر ولا ضرر
وفاق النّاس قاطبةً فلم يعدل به بشر
وكيف يحيف ملتزم لما جاءت به السُّور
يروح اللَّيث والأروى[3] وتعد والشاة والنَّمِرُ
تحلت (يمنه)[4] الدنيا فلم يعزب لها وطر
فكلٌّ بلادها زهر وكلٌّ زمانها سحر
له جودٌ كأن البحر تطفو فوقه الدُّرر
وحِلمٌ هل رأيت الطَّو د لا ريح ولا قتْر
وبأسٌ هل لمحت النَّار لا تبقى ولا تذر
سيكفيه العدا ظفر بظهر الغيْب مدَّخر
وأدعيةٌ تؤكدها دموعُ العين والسَّهر
وطائفةٌ مُوحِّدةٌ لنصر الحَقِّ تبتدر
فقد وثقتْ بأنَّ الفتـ ـح في الأعداء منتظر
فلم يعرض لها فشل ولم يقعد بها خور
لها من سمرها شجر ومن راياتها زهر

---

(1) بياض في الأصل.

(2) النائل: ما ينال.

(3) الأروى: جمع الأروية وهي اسم للذكر والأنثى من الوعول.

(4) يمنه: بركته، وفي الأصل يمينه.

إذا ركبوا حسبت البحـ ـر فوق البحر ينهمر
وإن حملوا ظننت النّا ر تحت الرِّيح تستعر
كأن قتامهم سُحُبٌ وفيها الشُّهب تنكدر
كماةٌ[1] خيرة نجب حماةٌ ذادةٌ صُبُرُ[2]
أمامَهُمُ إمامُهُمُ وحسبكم فنقتصر
وكيف تضل طائفةٌ يسير أمامها القمر
تَقَدَّمُهُمْ بَسَالَتُهُ وفيها البيض والسمر
وتكنفهم سعادتهُ فلا خوف ولا خَوَرُ
فلا تحذر أعاديه فهم لسيوفه جزر[3]
ولا ترهب مناوئه وإن أملى له البطر[4]
إذا سيمت رقاق الهند لم تعدل بها الإبر
وإن زأرت ليوث الغيل[5] لم تثبت لها الحمر
فيا من غرَّ ناظره جهام[6] مالها مطر
أفقْ فالليث مطّلع عليك وأنت منتظر
أغرّك حلمه زمناً ستعلم حين تختبر
يلين الغمد تلمسه وفيه الصَّارم الذَّكر[7]
كذاك النار ساكنة وتحت سكونها الشَّرر
كأني إن عرضت له ولا عين ولا أثر
فبادر باب من يعفو لمن يهفو فيعتذر
وأيقن أن أمر الـلّـ ـه، عقد ليس ينتثر

---

(1) الكمأة: الشجعان.
(2) في الأصل: ذا درة طبر، وهو تصحيف.
(3) الجزر هنا: جمع جزور وهو البعير.
(4) أملى: أمهل، والبطر: الطغيان بالنعمة.
(5) الغيل: موضع الأسد.
(6) الجهام: السحاب لا ماء فيه، وما بعدها من التأكيد أو من القوافي المجرورة.
(7) الذِّكر: أجود الحديد، وذكرة السيف: حدته، والمراد بالصَّارم الذكر هنا السيف.

وسوف تنال ما يجني | عليك الغَدْر يا غَدِرُ[1]
تذكّر ما الذي انقلبت | به أشباهك الأخر
خليفتنا هو المنصور | فاحتفلوا أو احتضروا
سيعلو الصَّفو مرتفعاً | ويسفل تحته الكدر
ومن كان الهدى معه | فمضمون له الظَّفر

* * *

وفي جمعة أخرى:

أيا ذا الفضل والمنن | وربِّ السِّر والعلنِ
ومن شهدت بريته | له بفعاله الحِسَنِ
أنلت السؤل من منحٍ | كفيتَ السوء من محن
بما لم يجرِ في خلدٍ | ولم يخطر على أُذن
فكوّنت الأنام فكا | ن عن عدم ولم يكن
ونبَّهت العقول علي | ك فاطردت على السنن
فلم يثبتْ سواك لها | صحيح الفكر والفطن
ونطت أمانة الدنيا[2] | بجيد أغرَّ مؤتمن
إمام أوليِّ الذك | ر جاء بآخر الزَّمن
أتته خلافةُ الدُّنيا | وأمر الدِّين في قرن[3]
فأجرى الأمر مضطلعاً | على سنن من السُّنن[4]
وأغنى الناس قاطبة | عن الأهلين والوطن
فقد أمِنَ الأنام به | دعاة الشّرّ والفتن
وقد ظفرت جفونهم | بلذَّتها من الوسن[5]

---

(1) الغدر: ضد الوفي، وفي الأصل (يا عذر).
(2) نطّت: علّقت.
(3) القرن: حبل يقرن به البعيران، وقد استعاره لجمع الدين والدنيا في خلافة واحدة.
(4) السنن: بفتح السين: النهج والجهة، وبضمها الأحكام.
(5) الوسن: النعاس.

لــه صــحّ الــكــمــال ولــم — يــكــن إلاَّ لِــمَــنْ ومَــن
ذكــاءُ إيــاسٍ الــمــزنــي — وزهــد أويس الــقــرنــي[1]
فــقــل لــلحــاســديــن لــه — وتــلــك نــتــيــجــة الأحــن[2]
وجــودكــم إلــى عــدم — وهــدنــتــكــم إلــى دخــن
أفــيــقــوا مــن عــمــايــتــكــم — وكــفُّــوا فــضــلــة الــرَّســن
وهــل تــلــغــي حــقــائــقــنــا — بــبــاطــل تــلــكــم الــظــنــن
وهــل يــنــأى عن الــتَّــحــقــيــق — إلاَّ ضــيِّــقُ الــعَــطَــنِ
تــركــتــم جــانــب الــتَّــوفــيــق — تــعــويــلاً عــلــى وثــن
ولم تخشوا[3] فــوات الــحــظْـ — ـظِ بــيــن الــغَــبْــن والــغَــبَــن[4]
وهــل ضــاحٍ مــع الــسَّــبَــرا — تِ كــالآوي إلــى حِــضْــن[5]
كــأنــي إن تــمــاديــتــم — ومــا نــلــقى ســوى الــدِمَــن[6]
بــحــكــم الأبــيــض الــهــنــديّ — أو بــالأســمــر الــلَّــدِنِ[7]
فَــمِــنْ بَــدَنٍ بــلا روحٍ — ومــن رُوحٍ بــلا بَــدَنِ[8]
خــذوا لــلــمــوت أُهــبــتَــهُ — فــلــيس يــكــفّ بــالــجــنــن
ولا تــقــفــوا فــقــد دفــعــت — ســيــولُ الــعــارض الــهــتــن
ريــاح الــحــق عــاصــفــة — ومــا لــلإفــك مــن ســفــن

---

(1) إياس بن معاوية المزني، قاضي البصرة، مضرب مثل في الفطنة والذكاء (انظره في: البيان والتبين 56/1. ووفيات الأعيان 81/1 وثمار القلوب 72). أما أويس فهو ابن عامر بن جزء القرني، مضرب مثل في النسك (انظر ترجمته في ابن سعد 111/6 وحلية الأولياء 79/2 وغيرهما).

(2) الأحن: الأحقاد.

(3) في الأصل: يخشوا.

(4) الغبن: بتسكين الباء الخديعة في البيع وبتحريكها في الرأي.

(5) من معاني يضحى: يبرز أو يخرج، والسبرات جمع سبرة وهي الغداة الباردة.
والحضن: ما بين الصدر والعضدان.

(6) من معانيها الأحقاد.

(7) اللدن: اللين وفي الأصل البدني.

(8) تصوير جيد لحالتي الفزع والموت إثر حربهم مع الخليفة.

وليس لكم مع العصيان غير السّيف والكفن

* * *

وفي جمعة أخرى:

بذكرك نستكفي وإياك نعبدُ وأنت الذي ندعو وأنت نُوحّدُ
ومن ذا الذي يرجو سواك ولم تزل لفضلك فينا أنعمٌ تتجدد
هديت إلى الإسلام أول منة وكم منّة من بعدها لا تعدد
وأغنيتنا من فاقة وكفيتنا مكاره لولا أنت لم تك تبعد
فوالله لولا الله لم ترنُ مقلةٌ ووالله لولا الله ما بطشتْ يَدُ
فيا أيها الآوي إلى غير بابه أفقْ ليس إلاّ الله يرجى ويقصد
إذا كنت بالمخلوق يومك واثقاً فمن لك بالمخلوق إن جاءك الغد
تأملْ فصنع الله جلّ ثناؤه عليك بوحدانية الله يشهد
ومن لُطْفِهِ سبحانه بعباده إمام معانٌ بالقضاء مسدد
حمى بيضةَ الإسلام والطرف مطرقٌ وشدَّ عرى التّوحيد والسيف مغمد
ولم يستعنْ في الأمر إلاّ بربه لذاك أعاديه تقوم وتقعد
له جمع الله الديانة والدُّنا وهل جَمَعَ الدارين إلاّ مؤيد
ففي كلِ غور للتنزه روضةٌ وفي كلِّ نجد للتهجد مسجد
ومن كأمير المؤمنين وعنده سريرةُ أمر الله وهو مخلد
خلافةُ أمر المسلمين قلادةٌ يناسبها في القدر هذا المقلَّد
مواردُ تحميها الأسنةُ والظُّبَا فمن شاء فليقرب فللموت مورد
يغرّ عقول الممترين سرابه وما تحته إلا الحسام المجرد
فنحن بحمد الله في ظل نعمة مليك سماوي وملك ممهد
أمِنَّا الذي نخشى بيمن خليفةٍ له العدل درعٌ والدعاء مهند
فقل للأعادي أذْعِنُوا قَبْلَ وَقْعَةٍ تكونُ عليكم جمرةً تتوقد
إذا بَعُدَ المأمولُ بالأمس عَنْكُمُ فَمَطْلَبُهُ منكم مع اليوم أبْعَدُ
قضى الله أنَّ الناكثين أذلة وأنَّ أمير المؤمنين محمد

* * *

وفي جمعة أخرى:

سبحـان من في كلِّ شيء شاهـدُ ... أنَّـا عبيـدٌ وهـو مولى واحـد
سبحـان من ظهـرت بمخلوقـاتـه ... آيـاتُ حقٍ لا يـراهـا الجاحـد
سبحـان من لا ملك إلاّ ملكـه ... ذلَّ الطَّريـف لعـزه والتـالـد
سبحـان من سبق الوجـودَ وجودُهُ ... فله البقـاء وكـلُّ شيء بـائـد
سبحـان من هـو واحـد في مجدِهِ ... لا الـرَّب مـولـود ولا هـو والـد
بهـر العقـولَ بـديعُ مصنـوعـاتِـهِ ... لمـا تقدَّمهـا الدليـلُ القـاصـد
وتـقلبتْ هـذي البـريَّـةُ كلُّهـا ... فـي جـوده والكـلُّ منـهم واحـد
وبـدت (. . . .)[1] القلوب مشاهِـدُ ... تبـدو لهـا بين الجفـون شـواهـد
أغنى الفقيـر وللزمـان مفـاقـر ... وحمى الضعيف ولـلعـدو مكـائـد
يـا نـاظـراً وكـأنمـا هـو مـطرقٌ ... مستيـقـظاً وكـأنمـا هـو راقـد
أحـضـر فـؤادك إن أردتَ إجـابـة ... وابسطْ يـديـك فللدعـاء فـوائـد
واشكـرْ إلٰهـاً لا يغبّـك حفـظه ... والنـاس إمـا شـامت أو حـاسـد[2]
أو مـا تـرى الأُلـطاف وهي كثيـرة ... عمـدت بهـا الأفـات وهي شـدائـد
ووراء مـا تـخشى الأنـامُ خليفـةٌ ... أيـامـه لـلمـعـلوات مـعـاهـد
حَسُنَتْ بـه الأغـوار فهـي حـدائق ... وزكت بـه الأنجـاد فهي مسـاجـد
هـادٍ إلى طـرق الحقيقـة مـرشـد ... مـتـأول فيـمـا يـحـاول راشـد
معقـود أزرار القميص على التُّقـى ... والله حـافـظه لـه والعـاقـد
دَانَتْ لـه الـدنيـا ولم يُسْفَـكْ دَمٌ ... وَتَـقَـلَّدَتْـهُ ولـم يُـنَـبَّـهْ راقـد
ولـطال مـا خـدعتْ سـواه فقـد رأتْ ... أن ليس ينخـدعُ الإمـام الـزاهـد
حكمتْ لـه بـالفتـح نفسٌ حـرة ... وَيَـدٌ مـؤيـدة وذهـن واقـد
وكـفتـه أعـمـال الجيـاد سعـادة ... أضحتْ لـه الأقـدارُ وهي سـواعـد
أمـا العـداة لخـوفـه فَمَـرُوعَـةٌ ... والـليثُ يـرهبـه النَّعـام الشـاردُ
سمعتْ نـداءَ البيض وهي صـوامتٌ ... وَرأت عيـونَ السُّمر وهي أبـاعـد

(1) نقص في الأصل أشار الناسخ إلى موضعه بسهم ولم يكمله في الحاشية وبقدر كلمتين مثل (لنا بين).
(2) في الأصل: شامة.

فاليوم لا غير المُجَدّل وارد — منها ولا غير الحتوف موارد
هذا الإمام وكلُّ باغ راغم — هذا السعيد وكُلّ غادٍ جاهد
عمت سياستُه فيُسْعَدُ صالح — في نظرةٍ منه ويصلح فاسد
بأسٌ كما اهتز الحسامُ المنتضى — جودٌ كما انبجس الغمام الرَّاعد
فَلَهُ من الوصف المقدَّم موعد — وله من الوصف المؤخر واعد
ضمنتْ له نجحَ المقاصدِ فكرةٌ — غابت عن الأفكار وهي تشاهد
قل كيف لا يلقى النجاح خليفةٌ — أمِنَ الوليُ به وخاف المارد
فوراءَ دولتِهِ ثناءٌ نازلٌ — وأمام دعوته دعاء صاعد
والله يكلأ أمره ويديمه — فهو الحسام لديننا والسَّاعد

* * *

وفي جمعة أخرى:

بحمد الله يفتتح الكلامُ — ويظفر من يروم بما (يرامُ)[1]
ومن أولى بذاك الحمد منه — وأنعمه مضاعفةٌ جسامُ
تنامُ وأنتِ من غرض المنايا — وربُّك حافظ لك لا ينام
كفاك البؤس والبأساء مولى — لكفك في مواهبه احتكام
ولو جازاك بالأعمال عدلاً — مكان الفضل عاجلك انتقام
عليه ضمانُ رزقِكَ كُلَّ يومٍ — وتأبى أن يفارقك اتّهام
وتطمع في الأنام فليت شعري — مَنِ الرزّاقُ إن بخل الأنام؟
فمن يحيي البسيطَة بعد موتٍ — ومن يهمي بقدرته الغمام؟
لقد أعمَتْ بصيرتَكَ الخطايا — وغرَّكَ ظامياً هذا الجهام
شَغَلْتَ الطرفَ عن معنى بحسٍّ — وبين يديك أهوال عظام
وكنت بسطِّ جسمك مستقلاً — وتحت ضلوعك الداءُ العقام[2]

---

(1) في الأصل يروم وهو مخالف لسياق القوافي.
(2) العقام: الداء الذي لا يبرأ منه وقياسه الضم وسمعَ مفتوح الفاء (الصحاح).

تُلامُ على انهماكك في المعاصي ... ولا قلبٌ فيوجعه الملام
يلمُّ بك الظلامُ ولا قيامٌ ... ويطرقُك الهجيرُ ولا صيام
أطَلْتَ رضاعةَ الدُّنيا سِفاهاً ... وكلُّ رضاعة فلها فطام
فَشَعِّرْ للمنية إنّ شيباً ... بفودك من حبائلها خطام
بكى الناسُ الذنوبَ وليس إلاَّ ... سلوُّ عن ذنوبك وابتسام
ومِلْتَ إلى حطام تقتنيه ... فلا تكثرْ فيحطمك الحطام
بخلتَ بما جمعت وهل صوابٌ ... لمثلك طول بخلك والحرام؟
فيا شيبَ الذُّنوبِ إلاَّ حياءٌ ... تبدّى الصبح وانقشع الظَّلام
إلى الله المصيرُ ولا مقام ... إذا حُثَّ المسيرُ ولا مقام[1]
أفِقْ فالشيبُ قد ملأ النواصي ... وليس ورائَهُ إلاَّ الحمام[2]
فقد حتم الفناء عليك ربٌّ ... له وجب التفرُّد والدوام
تأملْ صنع ربِّك تَلْقَ فيه ... عجائبَ دون رؤيتها لثام
لَهُ نِعَمٌ تفوتُ القولَ شكراً ... لها من فوق أرؤسها زحام
وإن المنّة العظمى إمام ... لملك الأرض في يده زعام[3]
تلوذ بملكه عرب وعجم ... ويرقب ملكه يَمَنٌ وشام
غَمَامٌ ليس يعقبه انقشاعٌ[4] ... وبدر لا يفارقه تمام
بجود يمينه مَطَرٌ يرجى ... ونور جبينه برق يشام[5]
يدبُّ وراء دولته دعاءٌ ... هو البيض المواضي والسِّهام
أَيجْحَدُ فَضْلَهُ عقلٌ سليمٌ ... وقد نطقت بسؤدده الحمام
فَقُلْ لعدوِّهِ أقْصِرْ وأقصر ... أو استبصر فقد سُلَّ الحسام
وقد ملأ البلاد عليك رُعْباً ... إمامٌ خلفه الجيش اللهام[6]

---

(1) المقام بفتح الميم وضمها يستويان في الدلالة على الإقامة والموضع، أما وقد تعاطفا فلانفراد كل منهما بأحد المعنيين.

(2) الحمام: الموت.

(3) الزعام: السيادة.

(4) في الأصل: انقشاع.

(5) يشام: ينظر إليه أين يمطر.

(6) اللهام: الجيش الكثير، كأنه يلتهم كل شيء (صحاح).

بكل معوَّد خوضَ المنايا ... إذا ما الحرب شبَّ لها ضرام
وأجردَ يسمع التحريض سراً ... ويفهم ما يريد به اللجام
فَلُذْ بجنابه تَغْنَمْ أمانا ... إذا ما صح منك له اعتنام
ولا تذهبْ بك الخُيَلاَءُ واعلمْ ... بأن المهر يطغيه الجمام[1]

وبادرْ ثُمَّ بادرْ ثم بادرْ ... إلى ملك زيارته دمام
ولا تقدم على أسد هصور ... وأنت العير يتبعه النَّعام
تمنيك السفاهة ما تمنى ... ويأبى الله ذلك والإمام
لك الكدَّ المبرح ثم تشقى ... به وله السَّلامةُ والسَّلام

وفي جمعة أخرى:

رضا الله أعلى ما ارتجتْهُ عبيدُهُ ... وتقواه أَوْلَى منجز[2] تستفيدُه
وفي الإنس بالمولى هو الانس كله ... إذا صحح الذِّكْرَ الخَفِيَ مريدُه
وإن بنى الدنيا ودنياهم معاً ... لنهبة أسبابِ الردى وحصيده
إذا غاب قلب المرء عن غير ربه ... فمولاه في ذاك المغيب شهيده
ألا حفظ الله المصيخ لسمعه ... إذا ما أتاه وعده أو وعيده
ومن جعل الذكر[3] حديثاً لنفسه ... يردِّده مستعذباً ويعيده
رأى الزُّهد في دار الفناء فلم ترق ... نواظره مما أتاه زهيده
وأيقن أن الكلَّ بالله لاحق ... فمن شوقه إعداده وعديده
وأحْسَنَ للمخلوق في حق خالق ... يوفقه فيما نوى ويزيده
ولم يرض إلاَّ العدل في الناسِ شيمة ... بدنيا يوفِّيها ودين يفيده
هو العلمُ الضافي على كلِّ ظلة ... وكافيه مما نابه وعميده
إمام بكفيه من الدِّين والدِّنا ... مآثر لم يخلص إليها عبيده
فمقول ذا عالي الخطاب فصيحهُ ... وصارم ذي ماضي الغرار[4] حديده

(1) الجمام: الراحة.

(2) في الأصل: معجز.

(3) في الأصل: الذكرى.

(4) الغرار: حد السيف والرمح والسهم. (قاموس).

وإن أميـر الـمؤمنـين لسَيِّـد ... لمن فـوقـهـا من عـالـم ووحيـده

لـه من دعـاءِ المسلمين مـواكب ... تصـرفهـا الأقـدارُ فيمـا يـريـده

لـذلـك تـأتيـه الفتـوحُ تـواتـراً ... ويـدنـو لـه من كـلٍّ أمـر يعيـده

فـريـد الـورى معنـاهم ولأجلهـا ... تـقلَّد هـنـديّ الـخـلافـة جيـده

فـلا زال وصَّـالاً إلـى مـا يحثُّـهُ ... ولا زال منصـوراً عـلى من يـكيـده

انتهت والحمـد لله وحده وصلى الله على سيـدنـا ومـولانـا محمـد وآلـه وصحبه وسلم.

النوع الثاني

في الرسائل الإخوانية

من ذلك رسالة رفيعة جداً سمعتها من لفظه غير قطع الشّعر التي في أولها، وهي:

يا نازحاً عني ولو أستطيع ما فارقتُهُ
ومؤلّفاً مني هوى لسواهُ قد فرّقته
ومعلقاً أملي به من بعد ما عُلِّقْتُهُ
الله يعلم أنني فت الغرام وفقته
وجهلتُ ما فَعَل الهوى في النأي حتى ذقته
وظننت أني شيّق فالآن قد حققته
وملكت أنسي بعدكم لكنني أعتقته
كم أورق جاريته شأو الأسى فسبقته
ما زلتُ أسكب مدمعي حتى لقد أنطقته
لم أدرِ إذ غَنّى ونُحْتُ أشاقني أم شقته
إن كان صبري بائداً يوماً فهذا وقته

فالقلب قد أحرقته ... والجفن قد أغرقته
وبليت غير صبابة ... من مدمع رقرقته
لولا رجاءُ لقائكم ... من بعدها لأرقته

* * *

أغيب وعندي بالوفاء حضور ... وينأى مزاري والكتاب يزور[1]
وأغدو وللتذكار بين جوانحي ... لهيب لدمع العين عنه صدور
وأدعوك والأشواق تفعلُ فعلها ... دعاءً له فوق الخلاص عبور
أعلل نفسي بالكتاب وَقلَّما ... شَفَتْ دَاءَ بَيْنٍ أَحْرُفٌ وسطورُ
وإني[2] وصبري عنك في النأي ليلة ... فكيف ليالٍ عدة، لصبور
وكيف اصطباري عن سَنِيٍّ سناؤه ... لأنفي نَوْرٌ (أ) ولطرفي نور
وما كنت ممن ضيّع الحزمَ قبلها ... ولكن حزمي في القضاءِ قصور
أبعدك والعلياءُ فيك سجيةٌ ... يطيب نعيم أو يتم سرور
أبى الله إلاّ أنك الفضل كله ... وإن حَرِجَتْ مما أقول صدور
فكم لك عندي من معانٍ أنيقةٍ ... تسير ومعنى مَنْ سواك أسير
ومن فِقَر لو أَلَّفَ النظمُ بينها ... تحلتْ صدور درّها ونحور
يقصر عنها جِرولٌ ومهلهل[3] ... ويحذو عليها أخطل وجرير[4]
ففي كل خلّ ما خلاك مقالةٌ ... وفي كلِّ ودّ غير ودّك زور
ألا ليت شعري هل للقياك كرةٌ ... فيعدل دهر لا يزال يجور
ولا بأس من روح الإله ولطفِهِ ... فإن تصاريف القضاءِ تدور

---

(1) هذا البيت بداية نص شعري يختلف عن سابقه دون أن يربطه مع سابقه برابط نثري.

(2) في الأصل: وان.

(3) جرول: هو جرول بن أوس الشاعر المخضرم المعروف بالحطيئة (انظر ترجمته في وفيات الأعيان 99/1 والأغاني ط دار الكتب 157/2 وغيرهما). مهلهل: هو الشاعر الجاهلي عدي ابن ربيعة التغلبي (انظر ترجمته في الشعر والشعراء 99 وجمهرة أشعار العرب 115 والبغدادي 300/1).

(4) الأخطل وجرير هما شاعرا النقائض المشهوران في العهد الأموي (انظر الأغاني 3/8 و 80 م ووفيات الأعيان 102/1.

فَتُدْرَكُ آمال وتُقْضَى مآربٌ وتحدث من بعد الأُمور أمور

* * *

تَغَيَّرتَ والأيامُ تصفو وتكدر ومن ذا الذي ينأى ولا يتغيرُ
وعاملتَ بالسُّلوان خِلاًّ فؤادُه ومنطقه ذكر لكم وتذكّر
طوى لك والأيامُ تبلى مودة تكادُ لإفراطِ الغضاضة تقطر
أبى الله أن أنسى إخاءك لمحةً وإن بَعُدَتْ منّا ديارٌ وأعصر
وكيف تناسى من هواه وشخصه لقلبي فكر أو لعيني منظر
إذا غاب عن طرفي تلقاه ناظري فمن لُقْيَةٍ تُمْحَى وأخرى تُصَوَّرُ
وما زِلْتُ من خَطْبِ التَّفَرُّقِ مُشْفِقاً فقد حلَّ بي منه الذي كنت أحذرُ
فيا ليت سوءَ البُعْدِ عنك مقدمٌ ويا ليت حُسْنَ القُرْبِ منك مؤخر
وقد كثرت أيامُ لُقْياكَ قبلها ولكنَّ أيام التفرّق أكثر
وقد طالَ وجدي في ليالٍ طويلةٍ لبعدك كانت حين قُرْبِكَ تَقْصُرُ
وقد أصممتني عنك للبين روعةٌ ولكنْ لسانُ الحالِ عنك يعبر
ففي طَيِّ أحشائي لذكرك مجمر وفي نشر ألفاظي بذكرك عنبر

أَحَبُّ الكلام إليّ، وأصعبه عليَّ ما مثلته بمثالك، ونسجته على منوالك، ما الوشْيُ وقد أنقت صوانعه، وقَيَّدَتْ أوابد الألحاظ طرائقه ووشائعه:

وشى حكى روضة الآداب مودعة نور البديعين تتميم و(تجنيس)[1]
ترى به حيوان البرّ مصطلحاً ظبي الكناس يوازي ضيغم الخيس
كأنه وضياء الشمس تنشره والكفُّ تطويه أذناب الطواويس
كأن لابسه والتيه يعطفه نشوان يختال بين الكأس والكيس

مرّت لتخييره أعصار وأعصار، وكلّت في استخراجه قوةً وفعلاً قلوبٌ وأبصار، فلما دانت القطاف أزهاره، وقاربت الإفصاح أطياره، وأخذت

(1) في الأصل: الأدب، وتحسن عوض تجنيس.

بمجامع القلوب خطوطه المتقاطعة وألوانه، ومُثِّلَ في علميـة[1] ذو يـزن وغمدانه، وكسرى[2] وإيوانه[3]، ونمَّقت يد الصَّابغ والصابغة صفحته الناصعة، وحارت في بدائع رقومه العين المبصرة والآذان السامعة.

وأربى حسناً على الدِّينار المنقوش، والروض المعروش وصحَّ بعد نقـده أنه نسيج وحده، وأصبح ليشكو الحر والغرب مظاهـره، وليشف رقة عن بـاطنه ظاهره، سامه ندب[4] يهين المال وهو مكرم، ويرد الجيش وهو عرمرم، ويحوز سبق المجد بخلقي ابن مامة وابن مكرم .

عـزته[5] المملكـة بلبانهـا، وأطلعته السيـادة في (أركـانهـا)[6] فكسـاه[7] معاطف ريمية رومية، تستخشن الخزّ حين تلمسه وتستهجن القزّ وهي تلبسـه، فشفَّ عن حسنها حسنه، ودلَّ على نهدها وخصـرها زرّه وردنـه[8]، وانثنت فيه فكان القضيب الميال فوق الكثيب (. . . . ل)[9] وأقبلت وأدبرت فكان الموت والحياة في ذلك الإدبار والإقبال.

ولا اليمّ وقـد سمح ركـابُه وسنّـح ركَّابُـهْ[10]، هبتْ ريحُهُ بليـلاً وأعادت هجيـره أصيلاً، وقرنت (32 أ) رباه بـوهاده تسـوية وتعـديلاً، وأقـامتـه للطرف الناظر، والذهن الحاضر سماء مَوْجُهُ (مَوْجُهَا)[11] وفلكـه فلكها، فلمـا اطمأنت

---

(1) لعلها في عينيه.

(2) ذو يزن: سيف بن ذي يزن الحميري أحد ملوك العرب اليمانيـة في القرن السـادس الميلادي، وغمدان هو قصر ملكه (انظره في سيرة ابن هشام 22/1 والكامـل لابن الأثير 158/1)، وكسـرى: ملك الفرس.

(3) والأيوان دار ملكه.

(4) النّدب: الخفيف في الحاجة الظريف النجيب.

(5) عزته: كذا ولعلها: غذّته.

(6) في الأصل: أكانها.

(7) القزّ: الابريسيم.

(8) الردن: أصل الكم.

(9) بياض في الأصل.

(10) سنّح: استدبر الريح.

(11) زيادة يقتضيها الأسلوب وموضعها بياض في الأصل.

جوانبه، واستوت أخصاره ومناكبه، (وتنابقت)[1] في أعنة الشمال والجنوب مراكبه، وسافرت بالنواظر فيه مسارحه الممتدة ومساربه، وافاه لآل [2] صُنْعَ مبدع له منقطع يستحثه الإقلال، ويستعجله المسكن الذي لا مال به ولا آل، ولا ماءً عنده ولا آل.

فألفاه ودين العشيّ قد رجح، وغرابُ الغروب قد سنح، وطرف النجم إلى حمل الغزالة قد طمح، فركبه عجلاً، وأراغ مطلبه مستعجلاً، وما زال يحلُّ ويعقد، ويروم الوجدان فيفقد، إلى أن تجهم وجهُ الشمس بالنوء، وبقل[3] عارض الظلام في حدِّ الضوء.

فلما عاين دوائر السفن إلى مركز الشّط تَقْفِل، وأبواب البحر بين السماء تُقْفَلْ، ورأى الشمس إلى الأفق الغربي تأرز[4] وألويةً الليل في كلِّ مرقبة تركز، ضمَّ مرساه، وذمَّ ممساه[5] وعزم على العودة، وقد ألقى بيد الخيبة زمامه، ورأى غنيمة غيبته تلك السلامة، فأنس وقد ولى، واستحوذ عليه الأسف واستولى.

لمعا[6] قاد عنان نظره، إلى اقتصاص أثره، فأَمَّل وسجد، وأيقن أن وجد، وعَلته الأريحية وعاودته هزة الطمع الوحية، وود أن تعيره الشمس ولو وقفة التحية، وأرسى سكانه، ولم يعد مكانه، وأدلى رشاءه حيث شاءه، ثم غاص وقد أوثق أسبابه وتأبط جرابه فعثر على أعلاق لم تسبق إليها يد، ولا دل عليها قبله أحد، فظفر من الغنى بعايرة عينين، وطفق يحث في الجراب بكلتا اليدين، حتى أفعم ما تأبط، وعجل وقد كاد أن يتثبط، فصعد وقد سعد، وشد على تلك الغنيمة كَفَّ الضنانة، وأدَّاها إلى محله المقفر بالأمانة، فلما مد غرابُ الجنح جناحه، وأطفأ (هواءُ) الصبح مصباحه، فض الأغلاق عن الإغلاق، وما زال يميز الدُّرَّ من الخشلب، ويطلب الأنفس فيلح في الطلب

---

(1) تنابقت: كذا، ولعلها تسابقت أو تتابعت.

(2) اللآل: صانع اللؤلؤ. والآل بعده السراب والأهل.

(3) بقل: ظهر.

(4) قفلت السفن: رجعت، وقُفلت الأبواب: أغلقت.

(5) أرزت الشمس: رجعت، وهي مثلثة الراء.

(6) كذا ولعلها: ولمّا.

(32 ب) إلى أن خلَّص اللؤلؤ والدر، واستخلص المتاع الحر، فمن ياقوت كحلمات النهود، وجوهر كالثغر البرود، وزمردٍ وعقيق حكيا الأصداغ على الخدود، إلى بِلَوْرٍ كالأجياد والجباه، ومرجان كاللثات والشفاه، فنظم عنه عقوداً وسلوكاً، وأمَّ بها رؤساء وملوكاً فباعها بين المغالي بالثمن الغالي، فَعُوِّضَتْ من بطون البحور بنحور الحُور، ونُقلت من الصدف المقصور إلى ضياء[1] القصور.

ولا الربيع وقد نمقت رياضُهْ، وأفهقت حياضه، وقَيَّد العيون وأطلقها خضرته وبياضه،يضاحك الشمس منه كوكب مشرق،ويغازل خد الورد فيه جفن للنرجس أرق، ويهفو على نواره حشا للصبا بالصبابة قلق، ويلف أغصانه النسيم العليل بالسحر والأصيل، فتعتنق ثم تفترق، جادت عليه كل عين ثرة، وعاهدته العهاد مرة بعد مرة، حتى لم تُبق له صدأ في صفيحة ولا لحقاً في صحيفة، فأصبح قد مج الماء رياً، وانبط في كل محنية سرياً، وافترن شقائق البوارق كمائم عمائمه، وانحلت عن أناشيد الأغاريد تمائم حمائمه، واختال في مفوفات البرود، ومرصوفات العقود، وأبدى من نرجسه ووروده ما أنسى مرض العيون وصحاح الخدود، وأضحى من خرير الجداول والغصون الموائل في خضر الغلائل، بين طبول ورايات، وأقام معركة اللهو في سفك دم المدام ونياح النايات.

عثرتْ في نهره الصبا فدرجته، ونثرت دُرَّ طله في حجر ظله فدحرجته، وتولعت بسر زهده في ضمير سحره فأحرجته حتى أخرجته، فكل ريح روح، وبكل محنية دوح، ولكل ورقاء في كل روضة غناء وفرح.

فأحسن مرئياً ومسموعاً وأحلى في أذن الفؤاد وقوعاً من كتاب فيه كتائب للظرف ومذاهب للسمح والطرف، وغرائب مودعة منه في قوالب الاسم والفعل والحرف.

خط حكى الوشي المحبر، والروض المنور، ولفظ وجد البلاغة صورة فتشكل وتصور، (شقق) عليه المقلُ (33 أ) جلباب الطرب، ومدّت إليه

---

(1) زيد هنا حرف الجر (إلى).

الأسماعُ أسبابَ الطلب:

فكأنه شجر بدا لكنها شجر جنيت الطرف من ثمراتها

* * *

فسما به وهو النهاية في الجلالة والجزاله
وله الإطابة والإطالة والإصابة والأصاله
لقد اغتدى في حسنه فوق الغزالة والغزاله

[إلى ابن حوط الله(*)]

لا زال في عفو وعافية تمض الليالي وهي لا تمضي
وسعادة تبدو دلائلها منه على الإبرام والنقض
ومكانة طرف الحسود لها وبنانه في الغض والعضّ
هذا مكان القول ذو سعة فضل التقى وطهارة العرض
تأوي المعارف من نداه إلى بعد المدى في الطول والعرض
شابت خلائقه على ضمأٍ صرف الحجا بالسؤدد المحض
فالله يمتع أمليه به ويصون رونق علمه الغض
فبقاؤه وبقاء مشبهه زمن لأهل الأرض والأرض
نظر نواظره مسهدة لنواظر ملئت من الغمض
أخللت بالكلّ الحقيق له وأتيت من علياه بالبعض
وأرى النوافل لا تصحّ إذا ذهب الفساد بصحة الفرض
ومقام سيدنا ومسندنا أبهى حلى لكنه يغضي
فبقيتَ والأعداء ساهمة جذلان في دعة وفي خفض
ما أنَّتِ السُّحْبُ الثقال وقد أخذت عروق البرق في النبض

(*) ابن حوط الله: عرف من معاصري الفازازي بهذا اللقب أخوان هما أبو محمد بن سليمان وأخوه داود المكنى بأبي سليمان، وكانا قاضيين في مدن كثيرة بالأندلس وفي سبتة، وقد ترجم لهما ابن عبد الملك وابن الزبير ونقل ذلك ابن الخطيب في الإحاطة (503/1) ولهما ذكر عابر غير الترجمة في الذيل والتكملة 230/8 - 232 والبيان المغرب (قسم الموحدين) ص 256 والاحاطة 327/2 والتكملة 883. كما عرف أبوهما وكان زاهداً فاضلاً).

وعليك السَّلامُ ما أعمل المدح إلى بابك السّنيّ ركابَه، واستعاد السماع ذكرك من كل مجيد لوضعه واستطابه، (ود)[1] عا الوافدين نحوك بسطٌ وثنتهم عن الوصول مهابه. كتابي كتاب ودّ وإن كان ضعيفاً في شعره والكتابة، (. . .)[2] بالنظراء والأشباه، في مدحهم للمال أو للجاه، وأنفت من صرف العنان لأمر يزهي بطاعة أمز أوناه، وعلمت أن الناس جنس واحد وتركت ما يجري على الأفواه، واحتطت للدنيا على علاتها والدين في مدح ابن حوط الله .

[إلى ابن معروف[3]]

وكتب رضي الله عنه:

قل للمحدث[4] الصوفي من	مغرم بالكمال مشغوف
أنت الذي إنْ وصفتُ شيمته	فهمت منها أجلّ موصوف
علم ودين يعمّ نورهما	كلٌّ بصير وكلٌّ مكفوف
إن كنت عنه بالشَّخص منصرفا	فخاطري عنه غير مصروف
وإن أشاع الصحاب حبَّهم	قصرت حبي على ابن معروف

فلان أدام الله عزته وأنماها، وحرس مكنته وحماها، ولا أعدمه نعمة يتطابق اسمها ومسماها، وفطنة يقرب تناولها ويبعد مرماها.

كتب محبّه ومتمنيه، الراغب إلى الله تعالى في حال تقربه منه وتدنيه، المعتذر إليه عن إبطائه في مخاطبته وتأنيه، الذي إن مدح خِلاً سواه أو أشار إلى وليّ بهواه فإنما يعنيه فلان.

ولا جديد إلاَّ فضل الله السَّابغ الأثواب، ولطفه المفتح الأبواب، ورحمة

---

(1) زيادة عن الأصل يقتضيها تمام المعنى.

(2) بياض قدر كلمة.

(3) ابن معروف: لم أقف على ترجمته وما بين المعكوفين زيادة عن الأصل.

(4) في الحاشية وردت عبارة الفقيه على أنها في موضع المحدث.

الله التي لا تحوج ـ وله الحمد كثيراً ـ إلى وساطة الأسباب، وأنا لذكرك نديم، وبي من بعدك مقعد مقيم، ومضمر جناني ومظهر(ه)[1] تبجيل لك وتعظيم.

وشوقي إليك شوق الأرق إلى إصباحه وا(لـ. . . . .)[2] ألى نغمة ممتاحة، وأنسي بذكرك أنس المحبّ بمعالم أحبا(به)[3]، وابن الثمانين بتذكر أيام شبابه، وثنائي عليك ثناء الرياض على مدة حياها، والجسوم على مدة محياها، فإن كنت للروح روحاً، وخلا لم يزل محموداً ممدوحاً، والحبيب الذي سرّني مسموعاً وملموحاً.

قسماً بالله العظيم وهو أجل الأقسام، والحلف الذي لا يبيح غيره الإسلام، إني لأحنُّ إلى لقائك حنين الواله، وأوالي ذكرك ولولا الحبّ لم أواله، وأتمنى مثال أنسك ومن لي بمثاله، ومتى أظفر بشخص تلقى به النفس مناها، وترى منه غاية القرة[4] عيناها، تفنّن ألقت المعارف في يمناه يمناها، وتديّن شهدت له الكعبة المقدسة وعرفتها ومناها، ومودة تفهم من صدق ألفاظها صدق معناها.

أفنى الشبيبة عالماً أو عاملاً، ورأى في حجته المبرورة وزيارته المشكورة كلَّ ما كان آملاً (34 ب) وحلَّ من تلك المواضع الشوقية والمطالع الشرقية بكلِ طائل، وقضى أرباً من لقاء كل عالم فيها وعامل، وشارك أشياخه علماً وعملاً فيما لديهم من المعارف والفضائل، إلى ما امتاز به من مجالسة تفضح الروض وهو أنيق، ومحادثة تبهرج[5] المسك وهو فتيق[6].

أن عاينته رأيت ظرفاً مملوءاً ظرفاً، أو باحثته لم تفقد من تلك المعالم المطهَّرة حرفاً، فكأنك تعاين الإسكندرية ومنارها[7] ومصر وعـ(. . . .)[8]،

---

(1) زيادة عن النص.

(2) بياض في الأصل.

(3) زيادة يقتضيها تمام المعنى والسجع.

(4) قرّة العين: بردها أو رؤيتها ما كانت متشوقة إليه.

(5) تبهرج المسك: تهدره وتنشره.

(6) فتق الشيء: شقه، والفتق أن ينحل الغشاء وينفذ منه جسم كان محصوراً فيه قبل الشق.

(7) منارة الاسكندرية: إحدى عجائب الدنيا السبع كانت ترشد السفن بالضوء الناتج عن احتراق الخشب ليلاً وبدخانه نهاراً.

(8) بياض في الأصل.

وأدلاجها وتعريسها[1]، ودمياط وتنسيها[2]، والنيل ومدّه، وابن أيوب وجنده، وعذاب[3] وصحراءها، والبجات[4] وأسراءها. وجدة ولجتها[5]، ومكة وبهجتها، والعمرة وحجتها، والتلبية وضجتها، والكعبة وسناءها، وزمزم وماءها، والركن وميزابه[6]، والحرم وأبوابه، والطواف وأسباعه، وأبا قبيس[7] وارتفاعه، والباب وعروته، والصفا ومروته، والكسوة وجلوتها، والدار وندوتها، وعرفة ومشعرها[8] ومنى ومنحرها، والموقف وأريجه، والحجيج وعجيجه، والدموع وانسكابها، والضلوع والتهابها، والعقبة وحجرتها، والبطحاء وعمرتها، والعراق وجموعها والعجم وشموعها، وبدراً وكثيبه[9]، والمشهد ... والعقيق[10] وأشرافه، والتخيل والتفافه، وطيبة وطيبها[11] وقاضيها وخطيبها، والروضة ونورها، والمدينة ونورها، والمدينة ودورها، والمسجد وزواياه، والمنبر وبقاياه، وقباء وقبته[12]، وسيد الشهداء وتربته[13]، والبقيع وسكانه[14]، وأحد وأركانه[15]:

---

(1) الادلاج: السير ليلاً، والتعريس: نزول المسافر للاستراحة.

(2) دمياط: مدينة بمصر تقع شمال الدلتا، وإلى الشرق منها بحيرة المنزلة التي تعد تنيس من أكبر مدنها في العصور الوسطى، وقد اشتهرت تنيس آنئذ بالمنسوجات.

(3) عذاب: (كذا): والمراد: عيذاب وهي مدينة صحراوية يجتاز الحجاج المغاربة منها إلى جدة عبر البحر الأحمر (انظر الروض المعطار 423).

(4) البجات: قبائل تسكن صحراء مصر الشرقية، وكان منها يرسل وال ليتولى شؤون عيذاب.

(5) اللجة: معظم الماء.

(6) الركن: هو الركن اليماني، وميزاب البيت في جهة منه وهو المعروف بميزاب الرحمة.

(7) أبو قبيس: جبل في مكة ينعت بشيخ الجبال (راجع عنه الروض المعطار 452 ومعجم ما استعجم للبكري 1040/3).

(8) مشعرها: المشعر الحرام وهو آخر أرض المزدلفة الواقعة بين عرفة ومنى.

(9) بدر: موقع المعركة الشهيرة، والكثيب: القل من الرمل.

(10) العقيق: اسم لموضع بالجزيرة العربية، والمراد هنا عقيق المدينة المنورة.

(11) طيبة: مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.

(12) قباء: موضع بالمدينة المنورة أسس فيه أول مسجد بها ويقع في الجنوب الغربي منها.

(13) سيد الشهداء: هو حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(14) البقيع: مقبرة بجانب المسجد النبوي فيها رفات أكثر من عشرة آلاف من الصحابة رضي الله عنهم.

(15) أحد: جبل أحد معروف ويقع على بعد أربع كيلومترات شمال المدينة وفي سفحه مقبرة شهداء معركة أحد.

معـالمُ يفنى كـلّ شيء وإنـهـا ‏-مجـددة في قلب كـلّ مـوحـد
نلوذ بهـا حسـاً ومعنى فـننثني بمـا نشتهيـه بين قبـر ومسجـد
ومن ذا الـذي تُعْيِيهِ أوجـهُ مطلب تنـاولهـا مستشفـعـاً بمـحمـد

صلى الله عليه وسلم، ولله أيامي بجواره، ومسرتي بالعلق[1] الخطير من حواره، آه لفقدانها، ومن لي بها تعللاً بنشدانها، وعسى الله أن يعيدها ويقر[2] بالي في عافية يعيدها (. . .)[3] أما أنّي (معيت) بعـدك، أيها الـولي الحميم، والخل (35 أ) الذي ودُّه الود الصميم، بمن تشجى النفس لقياه، ويقذي العين مرآه، ويجعل دينه وقاية لدنياه، لا همَّة إلا في الحطام وجمعه، ولا حديث إلاَّ في الضر الدنيوي ونفعه، طـوى ذكر الـدين بتاتـاً، وأصبح الجمهـور في طرق الحقيقة وهم أحياء أمواتاً، فقد قَلَّ المفلح والله المصلح.

أسأل الله تعالى جمع الشّمل بك في تلك العرصات الكريمة، والحلول في كنف الرحمة في أنضر روض تحت أغزر ديمة [4]؛ والمنّ بتوبـة لا مثنويـة فيها، وإنابة تتكفل بجبر هذه الحال المختلة وتلافيها، حتى تنقبض بقايا الدنيا في وجوه بنيها، ونترك أطلالها في يدي من يبنيها، فما ذلك على الله بعزيز.

أوثر منك تعجيل جوابك، والتعليل بكتابك، ومعـاملتي في الخروج من العجر والبجر [5] معاملة أحبابك، وإعلامي كيف ذلك القطر الأنيق وانفساحه، وتلاعه الموشية (و) بطاحه، وبحره اللجيّ، ومولجـه الزنجي، وبـاب البنود[6] ورابـطته، وطـرفا الـروض الأمـامي وواسـطتـه، وخـطا النهـر السلكي وتـربـه المسكي، والجـو المشـرق والنسيم العبق، والأزاهـر التي هي لـو (. . . .)[7]

---

(1) العلق: النفيس من كل شيء.
(2) يقر: في الأصل (نقر).
(3) بياض في الأصل قدر كلمة.
(4) ديمة: مطر.
(5) يقولون أفضيت إليك بعجري وبجري: أي بأمري كله (الصحاح).
(6) بـاب البنود: يـطلق على أحد أبـواب حي القصبة في غـرناطـة بني الأحمـر ويفصله عن قصبـة الحمراء نهر حدرة (انظر الاحاطة 65/2 . 75، والنفح 294/7 والآثار الأندلسية البـاقية 163، فهـل كان هذا قائماً في حياة الفازازي؟.
(7) بياض في الأصل.

ريحاً تختلف وتتفق هل حالها خالها أم غيرها؟ والله (. . . .)[1] محالها، فالزمن خوان، وسيرته في الزمان نقصان.

( )[2] كانت للمسرة معهداً	فبانت فلي من غيرها الخُزْنُ والحَزْنُ
( )[3] الحيا ما دام حياً خيالها	سجالاً يكلُّ الليل عنهن والوزن
إذا المزن لم يضحك عليها بوارقا	ولم يبك أجفاناً فلا طلع المزن

طالما ألممت بذلك الساحل، وأسلفت فيه أياماً طويتها طيّ المراحل، وها أنا الآن حِلس البيت[4]، وحيٌّ في معنى الميت، عاقتني عن لحج الطير عوائق، وحالت بيني وبين الحدائق، وأين الحدائق؟

وأما الناس فالجنسية معدومة، ووراء هذه الإشارة أمور مكتومة:

أطلت وحقي أن أطيل لأنني	أخاطب طوداً مشرفاً هضباته

إذا أشكلت[5]. .

[الى ابن المعز[6]]

لله أيامي بكم	لو لم تعاجلها السآمهْ
صدرتْ لحين ورودها	فكأنها كانت منامه
هي كالحياة فقدتها	فلقيتُ أهوال القيامه
ما العيش بعدك صالحاً	يابن المعز ولاكرامه
يا سيدي ولديَّ ودٌّ	قد تحققت التزامه
إن النوى لم تنتقص	مما عهدت ولا قلامه

(1) بياض في الأصل.
(2) كلمة على وزن (منازل) ومعناها، وموضعها بياض في الأصل.
(3) كلمة على وزن ومعنى (يدوم) وموضعها بياض في الأصل.
(4) حلس البيت: كناية عن طول مكثه فيه ولعلها إشارة إلى الفترة التي أجبر فيها على ذلك.
(5) انقطاع طويل إذ لا نجد في الصفحة التالية تكملة التعقيبة المتبقية أعلاه.
(6) ابن المعز: أظنه يوسف بن محمد المكلاتي الذي وضع الفازازي طرراً في الرد عليه (الذيل 432/8).

أنى تخونُ مودةٌ كانت لها التقوى دعامه
ولقد نظمتُ على النوى شعراً فلم أحمدْ نِظَامه
ويقلُ ذاك لحاضر رام التبيُّن حين رامه
في موقف لا ابن العميد[1] يفوه فيه ولا قُدامه[2]
حزتَ العلوم فلم تدعْ فيها على نور كمامه
وزريتَ في شاوِ السَّماح على (علا) كعب بن مامه[3]
فاخلُدْ فإن الفضلَ ما خُلِّدتَ مرفوعِ الظُّلامة
وتوقَّ مكروهَ الزَّمان من العلا بأجنّ لامه
ولقد ندمتُ على الفراق وغايتي فيه النَّدامه
إن بنتم فَوِدَادُكُمْ حسنُ الوسامة والقَسَامةْ
سيَّان قربك والنَّوى في خاطري لهما المقامه
فإذا دنوت فمرحباً وإذا نأيت فبالسَّلامه
ثم السّلام عليك ما غنَّت على فَنَنٍ حمامه

وكتب رضي الله عنه شافعاً لبعض الطلبة (أبرَّهم الله)

الفقيه أبو فلان، كاتب الإمامة، المخصوص بالحظوة والكرامة، أبقاه الله في عصمة لا ينتثر عَقدها، ونعمة لا ينتثر عِقدها.

(36 أ) كتب وليُّه المسرور بما لا يزال يسمعه عنه من الأفضال مع التكرار، والاشتمال مع الأحرار، واللطف متعهد، والفضل مع الساعات

---

(1) ابن العميد: هو محمد بن الحسين العميد الكاتب العباسي المشهور (360 هـ) (ترجمته في يتيمة الدهر 2/3 والوفيات 57/2 ومعاهد التنصيص 115/2 والكامل حوادث سنة 359).

(2) وقدامة: هو قدامة بن جعفر البغدادي الكاتب المتوفي في سنة 337 وصاحب المؤلفات الجياد في الأدب والتاريخ والسياسة (ترجمته في النجوم الزاهرة 297/3 ومعجم الأدباء 203/6 ونقد النثر 33 وغيرها).

(3) كعب بن مامة: هو كعب الأيادي الذي يضرب به المثل في حسن الجوار، عاش في الجاهلية وكان في الكرم ثالث ثلاثة مع حاتم طيء وهرم بن سنان (انظر أمثال الميداني 109/1، 123 وهبة الأيام للبديعي 249 والأزمنة والأمكنة 221/2).

متجدد، وقد وشج بيننا من ذمة الصحابة ما (. . .)[1] على حرمة القرابة، فلا غرو أن يحمل بعضنا بعضاً كَلَّه[2]، ويجشمه بعض مهمه أو كُلَّه، فاليد تعين أختها، والضلوع تصون ما تحتها.

وقد كنت استدعيت إحسانك لفلان فأجاب، ووالى قبله الأيادي الرّغاب، فهو الآن يهصر[3] أفنان الإحسان، ويحضر في مديان الامتنان، قد كثرت فاشيته[4]، وأدى الزكاة عينه وحرثه وماشيته، والله تعالى ينفعك بها يداً قَلَّ مُسْدِيها وعدمت يد تؤديها.

وإن فلاناً حامل راية الفضل باليمين، والسامي إلى البراعة والبلاغة منقطع القرين، واختباره يغني دعواه عن تكلف شاهد عليها أو يمين، وكنت صحبته بفلانة[5] فألفيته في المعاملة براً، وعلى المباحثة حراً، وكان ينتحل حرفة التوثيق وهي غير وثيقة، ويحاول تنبيه الحال بها وهي غير مفيقة، ولما رأى الكف لا تزداد إلاَّ صفراً أخذت سفراً، وقال لعلي أجد للعين عيناً أو أثراً. ثم رمى بهمّته (. . .)[6] القصيّ، واعتام بأوامه[7] السّدي السّري، وقال: غرناطة (. . . .)[8] ليس له مترك، وقاضيها مفضل ليس عنه معزل، ولا تكرار يلفي المورد عذباً، وقد يمم[9] حراً ندباً، ولا غرو أن يجد الأرب سهلاً، وقد اعتمد مستحقاً للاحسان وأهلاً، وستسمع من نظمه لمحاسنك ما يكسبك أريحية وحيه[10]، ويحرك منك عصبية أدبية، والطالب يقنعه البشر، ويكفيه من اللب القشر، لا زلت وقدرك مرقي وذكرك بالدعاء له والثناء عليه موفى، ولأهل الحقوق على الناس، يوجبون لك على أنفسهم فضلاً وحقاً، إن شاء الله تعالى.

---

(1) بياض قدر كلمة في معنى (يزيد).

(2) الكلّ: الثقل والأعياء.

(3) يهصر: يجذب. وأفنان: ضروب.

(4) الفاشية: ما انتشر من المال كالغنم السائمة.

(5) اشارة إلى مدينة.

(6) بياض في الأصل لعل فيه (إلى البلد).

(7) أوامه: يقال أوامه الكلاسمنة، وعظم خلفه.

(8) بياض في الأصل قدر كلمة.

(9) يمم: قصد.

(10) وحيه: سريعه.

وكتب رضي الله تعالى عنه في ذلك المعنى:

السلام على ذي المواهب التي لا يكتّ[1] حسابها، والمناقب (36 ب) التي لا تنبتُ أسبابها، أبقاه الله معتزاً بالدين مهتزاً لمطالب القاصدين.

كتب محبه لكرم خلاله، الشاكر له على تجاوزه في الإحسان والإيثار طور حاله، المسرور بالمسموع من صنائعه الجميلة من جاهه وماله، المتمني لقاءه ليرى الشخص المجمع على فضله وأفضاله، وهو يعترف بالله[2] سبحانه باللطف الدائب، وعلى نفسه بالتقصير في الواجب، وعنده أيها العلم المحترم، والسَّرِّي الذي سجاياه الفضل والكرم، من التشيُّع لك والمشايعة لمن آثرك وفضّلك، والمكاثرة والمفاخرة بالمحاسن التي قبلك، ما عند من عرف الحق فآثره، (. . .)[3] مصدق بعدم الجود وقد عاين أثره.

وقد كان فلان ألقى من (. . . . .)[4] لك المنازع، وشرف ذلك الخلق البارع، ما انقادت له النفس انقياد السامع الطائع، وعزمت على التبرك برؤيته لولا إباء الأعذار، وغلبة الموانع، وإلى هلم جراً، ففي كل يوم يُهدي عنك خبر سري ويبدو منك أثر بالشكر حرّى، لا جرم أن الأفئدة مفطورة على ولائك، والألسنة مقصورة على شكرك وثنائك، أمتعك الله بالعلا، ولا سلبك هذه الحُلى.

وفلان كنيف[5] مليء محاسن، وشخيص يروق الأذن والمعاين، ما شئت من خط يبهر الحمائل المنورة، وشدو يخجل العنادل[6] المصرصرة[7]، وأدب يستجلب النفوس الأبية ويستحضر القلوب النائية، وقد أصابه الزمن بأرزائه

---

(1) لا يكت: لا يحصي.

(2) بالله: كذا ولعلها (لله).

(3) بياض صغير.

(4) بياض قدر كلمتين.

(5) الكنيف: الوعاء، وقد جاء في الحديث (كنيف مليء علماً) وهو وصف أطلق على الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود أيضاً أطلقه عليه سيدنا عمر (رض).

(6) العنادل: جمع العندليب وهو البلبل؛ أو الطائر يصوت ألواناً، أو الهزار.

(7) المصرصرة: المصوتة.

وخامر الزمن[1] كلَّ جـزء من أجزائـه، فأصبـح ذا كف صفر، وطـرف لا يجول في بيض ولا صفر، وقد أمَّك لما تُؤمُّ به الأكارم، واعتـامك كمـا تعتام البحـور الخضـارم[2] ، وسيرد منـك على حرٍّ يـأسو كلمـه[3]، ويسرّي بجميـل اللقاء همّـه، ولا يخليه من نـظر له وإليـه، ورفق به وعـطف عليه، لا زِلْتَ لـلآمـال منتجعاً وللسّؤال مصطافاً ومرتبعاً.

وكتب رضي الله عنه في ذلك المعنى:

فلان أبقى الله رفعته عالية المراقي، حاليـة التراقي، (37 أ) كتبتـه ونعمة الله السابغة لا تزال تتغمد، والله تعـالى يعين على شكر نعمتـه، ويمن عاجـلاً بالعودة إلى عز خدمته بمنه.

وعنـدي أيها الشيـخ المحترم الجـانب، الملتزم الـواجـب، من الثناء على فضلك، والاعتراف بأني لم أظفر في أبناء الرئاسة بمثلك ما عند من علم تصرفك في كرم المناحي والمنازع، وتوقفك في المشكلات مع أفضل صارف من الدين وأفصح وازع، نفعك الله بما خصك به من صـدر سليم من الحقد، وطبع بعيد عن تعقب النقد.

وفلان صحبته مدة، وخبرت منه حسن أدب وصدق مودة، وله رغبـة في أن تكون من آكد عُدده، وأقوى الأسباب بعد الله تعـالى في إقامـة أوده، وأنت تأخذ محسناً بيده، وتعينه على ما يبغيه من العودة إلى بلده وولـده، جعلك الله ممن صان ماله ببذله، وتوسل بالمؤاساة بفضله إلى جود الله تعالى وفضله، ولا أعدمك إسداء معروف وإجزال إحسان إلى مستحق له ولأهله.

وكتب في ذلك المعنى أيضاً:

كتب ملتزم برّه، المعترف بما رآه من سماح كفه وانشراح صدره، ولطف الله تعالى ظل منهمل، وظل غير منتقل، والحمد لله رب العالمين حمداً يجدد نعمته، ويخلد رحمته.

---

(1) الزمن في الجملة الأولى: الوقت، وفي الثانية المرض الدائم. .

(2) البحار الخضارم: كثيرة المياه.

(3) يأسو كلمه: يداوي جرحه.

وعندي من تعظيمك والثناء على حديثك وقديمك ما عند من تحقق سروك، ورأى وجوه الآمال متوجهة نحوك، والله تعالى يديم لك النعم التي لها تقصد، ويبقى عليك الشيم التي عليها تُحْسَد.

وفلان صحبته فوجب لصحبته ذمام، وتعيّن لمعرفته (   )[1] وإكرام، وإن لم يتفق في المعونة فعل فلا بأس أن يتفق كلام، ولا أكسد من بضاعة الشفاعة إلاّ عند مثلك من كريم وابن كرام. وحاجة هذا الصاحب استمطار لهضبة فضلك، واستنصار بهضبة طولك، وفي مجدك الشهير ما يورده الطّل صافياً، ويسبغ عليه الظلّ وافياً. أبقاك الله لتكريم الوفادة، وتفخيم الإفادة، ونفعك بما حلاك من شمائل السّرو[2] والسيادة بمنه.

وكتب رضي الله عنه مراجعاً:

(37 ب) سلام على فلان، أبقاه الله في كرامة جديدة المعاهد، وسعادة شديدة المعاقد، وفضله قذى في عين الناقم، وشجى لصدر الناقد.

كتب الشاكر له حلاً وارتحالاً، المجدد مع كل برق بخفوق نسيم يهفو له ذكراً وعنه سؤالاً، والألطاف تبهر الغمائم انسكاباً، وتملأ الأنامل حساباً، وتعد لكل حاجة قضاء، ولكل مسألة جواباً، والحمد لله رب العالمين حمداً يفتح للقبول أبواباً، ويجعل مضاعفة النعماء ومتابعة الآلاء أجراً وثواباً.

وودّك أيها الصديق البيّن صدقه، المتعين حقه، المتشوق لأجله ناسه وأفقه، غالب على الفكر مالىء ما بين الجوانح والصدر، والله تعالى ينفع بها أخوة صافية، ويزينها بلذتي المجاورة والمحاورة عافية، بمنه.

وقد وصل كتابك المبرور، فنعمَ بالي، وجدَّد أنسي البالي، وقدَّر عندي من صفائك ووفائك ما لم أزل أتعرفه المتصل المتوالي، فلو أن السطور تستحيل شذوراً، والفقر تصير درراً، لما نفقت للسلوك عند الملوك سوق، ولا تحلت سواها سوالف ومعاصم وسوق.

وأَحْرِ بكلام أسَّسته وثاقةُ الصداقة، وحسنته جدةُ المودة أن تنتقد[3]

(1) بياض في الأصل قدر كلمة.

(2) السرو: سخاء في مروءة.

(3) كذا: ولعلها تلتقط.

العيون عيونه، وتعتقد القلوب كل سحر دونه، فلو أن الصادين رأياه لفدياه، ولو أن الدالين سمعاه لما تعدياه، والله تعالى يبقيك وروض فهمك أنيق، ونسيم ذهنك رقيق، وكلام بلغاء عصرك لنثرك رقيق[1] بمنٍّ الله تعالى.

وحالي عقب ترحالي على ما يرضيك، لم أعدم محبوباً إلاَّ مرآك، ولا وجدت مكروهاً إلا مناك[2]، ومثلك يكفيه تعريض لفظه، ويغنيه إيماءُ[3] لحظه. والحمد لله الذي كلّ يسر بتيسيره، وكل خير بتقديره، وتفصيل هذا التجميل[4] يمنع منه شغل أستحق اليد والخلد، ومحتمل أطال الحفز[5] وقصر الأمد، وفضلك يغضي عن خطلي ولا يقيس حليّه على عطلي، فما أصبحت من أصبح، ولا سبحت من بحر البلاغة حيث يسبح، أبت لي ذلك نسبة بربرية[6]، وفكرة من دعوى الأدب بريئة، والله تعالى يرزقنا إراحة من العلل، وفصاحة في العمل، بمنه:

رحلتُ وقد وجدتُ العيش مرا　　　بسعيِ البغي والمرعى وخيما
فسنّى الله لي بِراً حديثاً　　　نسيتُ بطيبه البرَّ القديما
فمن يك سائلاً عني فإني　　　وجدتُ الله رحماناً رحيما

وكتب رضي الله عنه إلى شمس الدين أبي المعالي محمود بن أبي القاسم الفارسي[7]:

صدروا وسحر لحاظهم يغريني　　　ونأوا وفرط صبابيّ يدعوني

---

(1) رقيق في الجملة الأولى: عليل وفي الثانية: مملوك.

(2) منآك: بعدك.

(3) في الأصل: أيما.

(4) التجميل: صوابه الاجمال لأن المصدر القياسي لأفعل الأفعال.

(5) الحفز: الدفع.

(6) انظر التعريف بنسبه في المقدمة.

(7) أبو المعالي الفارسي: ورد اسمه المذكور أعلاه في الذيل والتكملة 368/8 وفيه أن ابن الآبار ذكره في الغرباء تَزَيُّداً على منهجه لأنه لم يدخل الأندلس، وفيه إشارة إلى أن الفازازي لقيه بتونس زمن الناصر من بني عبد المؤمن (قارن مع التكملة 730) والقصيدة في الموقع المشار إليه من الذيل والتكملة.

وتحملوا وتخلفوا مني لقي ... في ربعهم أشجيه أو يشجيني

فأقول للأطلال أين أحبتي ... وتقول لي الأطلال أين قطيني

لازمت من إيثارهم آثارهم ... لو أنني عاملت من يجزيني

لله وجد فيهم أخفيته ... فيما أظن وإنما يخفيني [1]

لاموا على ترك البكاء ... نزفتْ شؤون الحب ماء شؤوني

نعب الغراب وللمشوق كهانة ... فعلمت قطعاً أنه يعنيني

لما استقلوا واستقلوا عذرهم [2] ... نسخت مناي لديهم بمنون

فتبعتهم وجِمَالهم يُحدى بهم ... وجَمَالُهم من فوقها يحدوني

يا معرضين وقد عرضت مشيّعاً ... ردُّوا السَّلام فلفظة تكفيني

هاكم فؤادي فاقبلوه وإنه ... ثمن يجلّ لديّ عن مثمون

فضوا سجوف [3] الخزّ عن أحداجهم ... فبدت لي الأقمار فوق غصون

وفهمت سرَّ الحسن وهو مكتّم ... في ليل شعر فوق صبح جبين

ورهنت لُبِّي والحياة بوقفة ... ضنوا بها من بعد قبض رهون

وتسلموا رهني وما أن أسلموا ... تيهاً فبؤت بصفقة المغبون

أملت آرام الكناس ودونها ... للطارق المحزون أسد عرين

وسلكت وجداً في طريق هواهم ... ما بين مأسور وبين طعين

وظننت لين قدودهم بقلوبهم ... فإذا القساوة طيّ ذاك اللين

عاهدتهم ألَّا فراق وإنما ... عاهدت كالحرباء في التلوين

وقررت عينا بالخداع وقلّما ... قرَّتْ عيون عند حور عين

ورجوت في تحسينهم تحصينهم ... فجهلت ما للصاد معنى السين

ولقد مررت على المنازل بعدهم ... فذكرت عهد صبابتي ومجوني

ولمحت من نعمان [4] ما يشفيني [5] ... ورأيت من يبرين [6] ما يبريني

---

(1) هذا البيت غير وارد في الذيل والتكملة.

(2) في الذيل: خدرهم.

(3) السجف: الستر.

(4) نعمان: وادي عرفة «الروض»

(5) في الأصل: ما يشفني وفي الذيل والتكملة: ما يشقيني.

(6) يبرين: اسم لمواضع في الجزيرة العربية والشام (معجم البلدان).

أيام طرفي[1] رابع في روضة — للحسن بين سوالف وعيون
متفرق اللحظات في أفنانها — للجمع بين الورد والنسرين
ووجدت من ريق هناك ونغمة — أشهى من الصهباء والتلحين
ونشقت عرفا خلت حين نشقته — أن النسيم يهب عن دارين
عيش نعمت به فبان ببينه — صبر أتاني فقده بشجون
كان الفؤاد براحة[2] في راحة — للوصل بين معاقل وحصون
فالآن إذ حلَّ الصدود بربعها — عقدت عليه عقدة التسعين
يا قلب طاوعت الجفون سفاهة — فجزاك ضعف فتورها بفتون
أسرتْكَ لما قَيَّدَتْكَ بسحرها — فاخلدْ بلا فك ولا تأمين
خلت الجفون من السيوف قريبة — ما جُرْحُ أسيافٍ كجرح جفون
إياك من لمح اللحاظ فإنه — سهم لقوس الحاجب المقرون
هوّن إذا هولت[3] واعلم إنما — تقوى على التهويل[4] بالتهوين
ولكم عذول قد رددت مقاله — ردَّ المقيم على مقام الهون
لم أستطع رجع الكلام وإنما — أعربت عما شفني بأنين
لا نصح يجدي في مشوق جسمه — قد دقَّ حتى عاد كالعرجون
دع ذكر عروة أو كثيّر عزة — وابن الذريج وقيس المجنون[5]
يكفيك من بحر الغرام وعصفه — دمع الهوى وتنفس المحزون
لا صبر لي من بعدهم لا صبر لي — لو أنني في حلم شمس الدين[6]
العالم العلم الذي تزهي به — أرض العراق إلى أراضي الصين
والأوحد السباق غير مدافع — في حلبة المفروض والمسنون
إنسان عين الفضل قلب ضلوعه — بشواهد جلت عن التبيين

---

(1) في الأصل: ظرفي.
(2) في الذيل: برامة.
(3 - 4) في الأصل: هونت والتهوين والتصويب من الذيل.
(5) في البيت إشارات إلى عروة بن حزام وكثير عزة وقيس بن ذريح وقيس بن الملوح، وهم من شعراء الغزل المشاهير.
(6) شمس الدين: هو الممدوح أبو المعالي الفارسي.

بـالله أو لله أوفـي الله مـا ... يـأتيـه حيـن تـحـرُّك وسـكـون

لم يـأت في الإبـداع فنـاً واحـداً ... إلاَّ أتـى مـن بـعـده بـفـنـون

حِفْظُ ابن اسمـاعيـل فقـه ربيعـة ... زهـد الجنيـد ذكـاء أفـلاطـون[1]

أن ظـن أرسـل ذهنـه مـستثبتـاً ... فـأتـاه عـمـا ظنـه بـيـقـيـن

يـا من يعـارضـه بعـارض علمـه[2] ... أيـاك خـوض البحـر دون سـفيـن

كـم مـدَّع رام الـذي قـد رمتـه ... بـمـغـالـطات في حـلى تـزيـين

عـطف الصـواب للبسـه فـأزاحـه ... عـطف الصباح على الليـالي الجون

(لا)[3] تـطلبنْ حصراً لبعض كمـالـه ... قـد جـاء مـا قـد جـلَّ عن قـانـون

نصِّ الإمـام الشـافعي بـمـقـول ... بـالـحق فـي تحـقـيـقـه مـقـرون

يفـري مقـال مخـالفيـه كـأنـه ... سيف الـوصي يجـول في صفّين[4]

لـولا التعصب إذ سمعت حجاجـه ... لعـدلت للمـزني عن سحـنـون[5]

حـاز[6] البيـان فـمـا يحيط بمثله ... فـلك الـبـروج إلـى مـقـر الـنـون

وحـوى أفـانين العـلاء بـأسـرهـا[7] ... والـنـاس يـفـتـنـون فـي أفـنـون

ولقـد أبـرَّ على الجميـع بيـانـه ... فـي فـنّـي الـمـعـلوم والـمـظنـون

إيـهٍ ولـلآداب مـنـه فـخـرهـا ... إذ فـاق فـي المنثـور والـمـوزون

سِلْمٌ لأبـكـار الـمعـانـي ذهـنـه ... وسـواه حـرب للمعـاني العـون[8]

بـرزت لـنـا ألفـاظـه مـختـالـة ... فـي كـل عـلق لـلعـلوم مـصـون

---

(1) ابن إسماعيل: هو الإمام البخاري وربيعة: هو ربيعة الرأي شيخ الإمام مالك. والجنيد هو الصوفي الجنيد بن محمد البغدادي وأفلاطون هو الفيلسوف المشهور، وقد علق الدكتور ابن شريفة على الإشارة إلى أفلاطون بقوله: (ومن الغريب تمثيل الفازازي به مع أنه اشتهر بمعاداة أهل الفلسفة، واستشهد ببيت له ينال من الفلاسفة وأولهم أفلاطون. الذيل والتكملة 368/8 .

(2) في الأصل/ (تعارضة يعارض).

(3) في الأصل: لتطلبنَّ.

(4) الوصي هو الإمام علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وصفين إشارة إلى المعركة الشهيرة.

(5) المزني هو الإمام الشافعي المذهب إسماعيل بن يحيى، وسحنون بن عبد السلام جامع المدونة في الفقه المالكي وفي البيت إشارة إلى مذهب أبي المعالي وهو المذهب الشافعي.

(6) في الذيل: عجز البيان.

(7) في الذيل: يدري أفانين العلوم.

(8) الأبكار: العذارى، والعون: الثيبات، وقد استعار اللفظتين للمعاني الجديدة والمبتذلة.

وأبــان مــن عــلـم الــكــلام وغــيــره   مــا كــان إذ مــا كــان غــيــر مبين
وطمت بـحــار علومــه فتقــاذفـت   مـن لـفــظه بــالـلؤلؤ الـمـكـنـون
ســاوى لـديـه مـعـلـم مـتـعـلـمـاً   إذ كـلـهـم فــي رتـبـة الـتـلـقـيـن
صــدروا وقـد وردوا بحــار علومــه   مـن غيــر مـمنـوع ولا مـمـنـون[7]
يــا طــالبــاً للعلم هــاك نصيحــة   لـمجــرب فـي نـصـحـه مـأمــون
لا تعــدلنْ بــأبي المعــالي غيــره   فتقيس مضموناً[2] عــلى مــظنــون
عنــوان مــا أخفــاه مـن أخـلاقـه   بـشـر يلوح بـوجـهـه المـيـمـون
أكـرم بـنـفس لـلـنـفـائس أُهِّلَتْ   فـتمكـنت في رتبـة الـتمكـين
لـو يُـسـتـطاع لَـدُوِّنَـتْ آدابُـه   لـكـنهـا أعيـت عـلى الـتـدويـن
حبر يقل لذرة[3] مــن بـحـره   مـا جهِّزت بـورانُ للمـأمـون[4]
يـا سـيـدا عـمَّ الـبـريـة عـلـمـه   قـولاً وفعـلاً فـاستفـادوا دوني[5]
من شـك في أن ليس غيـرك مَعْلَمٌ   يُـبْـطِل دليـل شـهـادة ويـمـين[6]
إنـي عـقـدت أذمـتي بـولائـكـم   وجعلت ركن جـلالكم لـركـوني[3]
وتـركت فيـك سـواك غيـر معقب   فتـركـت تموزاً إلى تشـرين[4]
وقـرنت شكـرك بـالفـرائض رفعـة   فـوجدتـه للفـرض[9] خيـر قـرين

---

(1) في الأصل: (من غير ممنون ولا ممنون) والتصويب من الذيل والتكملة 371/8.

(2) في الذيل والتكملة: مضنوناً.

(3) في الذيل: لدرة بالدال المهملة وهو أنسب.

(4) بوران هي ابنة الحسن بن سهل الكاتب وقد أعدت لعرسها جهازاً عظيماً صار مضرباً للمثل (انظر ثمار القلوب 165).

(5) رواية الذيل:

يـا سـيـدا عـمّ الـبـريـة فـضـلـه   قـولا وعـلـمـاً فـاسـتـفـادوا دونـي

(6) الشطر الثاني في الذيل والتكملة: (بطل لديه شهادة بيمين).

(7) في الأصل: حلالكم.

(8) تموز: هو الشهر السابع وهو من الشهور التي لا يغاث فيها الناس في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بخلاف تشرين الذي يوافق الخريف بأنوائه المغيثة. وفي ذلك إلماع إلى عطاء الممدوح العلمي وامحال غيره مقارنة به.

(9) في الأصل: كالفرض.

صُغت المديح وقد سبقت بمد حكم ... فكأنني قد جئت بالتضمين
ما قلت قط الشعر لكن يمنكم ... في كل صعب آخذ بيميني
ولقد بعثت به وأعلم أنه ... نقد ولكن عفوكم يعفيني
وإليكها تشنا سواك لو أنه ... في ملك كسرى أو غنى قارون
لو أنني قلدت غيرك حليها ... أضحى بها التقريظ كالتأبين
لم أدعُ بالدنيا لكم إذ لفظها ... دُونٌ ولا أرضى لكم بالدون
فعليّ أن أدعو بطول بقائكم ... وعلى جميع الناس بالتأمين

* * *

وكتب إلى بعض الصالحين، نفع الله بهم:

لكم من فؤادي خُلِّصَ الودُّ والحبُّ ... وفيكم لنفسي لُخِّصَ العذل والعتبُ
ترحلت عنكم والخطوب كثيرة ... ولكنّ خطب البين أسهله صعب
أأبكي نواكم أو نوى القلب إنني ... بحكم الهوى لم يبق لي بعدكم قلب
فلا تعتبره بعد أعتابكم له ... فبعد انعقاد الصلح لا تصلح الحرب
إذا كان للأيام ذنب بعادكم ... كفاني عذراً إنني ليس لي ذنب
تصفّحْ حروف الرّكب تُفْصِحْ بسرها ... فظاهرها ركب وباطنها كرب
لئن بَعُدَتْ أرجاء أرضي عنكم ... فما لي في الدنيا سوى شعبكم شعب
وإن كان في طول البعاد ملالة ... فإني على طول البعاد بكم صب
فحسبي داء أن تشطَّ دياركم ... وحسبي دواء أن يكون لها قرب
ألا أيها الحبر المقدَّم والذي ... محبته جبر وجبرته[1] كسب
أردت بوصل الكتب تأكيد ودكم ... وما خير ودّ لا تؤكده الكتب
فمنوا بإهداء الجواب فليس لي ... إمام على الدنيا سواكم ولا قطب

* * *

---

(1) جبرته: كذا، ولعلها جيرته.

وكتب إلى بعض إخوانه[1]:

أأسلوا وقد غِبْتَ عن ناظري ... وَمَثَّلَكَ الشوقُ في خاطري
أيا غائباً حاضراً في الحشا ... ويا واصلاً في حلى هاجر
دعاء فتى صدعته النّوى ... فأصبح كالمثل السائر
أكابد ليل النَّوى مفرداً ... ومالي، وحقِّك، من ناصر
وأذكر غابر أيامنا ... فأبكي على الزمن الغابر
نظمت الغرام نثرت الدمو ... ع فسمّيت بالناظم الناثر
فلا تنكرن ادعائي الهوى ... فحسبك من باطني ظاهري
عسى من قضى بالنوى أولاً ... سيقضي بوصلك في الآخر

* * *

وكتب رضي الله عنه:

كناس الأنس بعد نواك خيس[2] ... وحظ[3] النفس تعريس وعيس[4]
رأيت غداة فرقتكم ضميري ... فقلت الآن قد حمى الوطيس
ولولا طول ذكرك طار لبي[5] ... ولكن أنت بالذكرى جليس
ألا يا أيها الخلّ المصفّى ... ألا يا أيها المولى الرئيس
تروق حلاوة وتروع جوداً ... فأنت بذا وذا كأس وكيس
منحتك صفو ودّي وهو ود ... يهون لكسبه العلق النفيس
فجاز بأن تجاوبني وإلاّ ... تجاوبني فقد بلغ النسيس[6]

(1) هذه الأبيات وردت في برنامج الرعيني 138.
(2) الخيس: موضع الأسد.
(3) في الأصل: وحط.
(4) التعريس: نزول القافلة آخر الليل للاستراحة القصيرة. والعيس: الإبل.
(5) في الأصل: لي.
(6) النسيس: بقية الروح وغاية الجهد.

وكتب إلى ابي علي عمر بن عبد العزيز*:

مـــاذا أقــول ولا عتب عــلى القــدر وقــد فقـدتــك فقــد العين للنــظر
وشتت البين شمــلاً كــان يجمعنــا فــالعين تجمـع بين الـدمـع والسهـر
ودون زورتـكم والـحــال شــاهــدة ورد على البيض في ظـل من السّمر
وأســد رغبـة تـردي أعـــوجيتهـا[1] بحيث لم تُبْقِ إنســانــاً ولم تــذر
سـدوا الفجاج ببيض الهنـد محدقـة صـونـاً بـأحداق بيض الـذّل والخفـر
وأوردوا الخيـل ورد الموت ضـاحيـة وأصـدروها فكـان العيش في الصدر
ومـهمــه قــذف الأرجــاء مـتصــل بشــامـخ بنـطاق الغيـم محـتصــر
ســدَّ السبيـل فهــل طيف يخبــرني عمن أحب بمـــا أهــوى من الخبــر
كـيف الـسّلوّ ولـي نفس مقـسـمــة بعض لـديّ وبـاقيهـا لـدى عمـــري
أخ تـوخى المعالي في الصبـا فـأتى كـالمـاء مـا أثرت (فيه) يـد الكــدر
ونــال مـا شـاء من مجـد ومن كـــرم أغـرى[2] المشيبَ به في غُـرةِ العمر
نــدى كمـا شقَّ جيب الغيم يكنفــه خلقٌ كما هب عرف الـدَّهر بـالسحر
وعفَّــةٌ لم ينـلْ منهـــا الصِّبـا وطــراً مــا للصِّبـا من أبي حفص وللوطـــر
يثني اليــراع بـمـــا خــطت أنــامله والنفس والـطرس قـد أثنى على أثـر
وشى بهــذا وهـذا صفـــح ذاك كمــا وشتْ يدُ الغيم صَفْحَ الروض بالزهر
ألقى الكهـولُ عنـانَ الحِلْم في يـده والحلم ليس بمـوقـوف على الكبـــر
شـــوقي إليـــك أبـــا حفص يجــدِّده تجـديـد ذكــرك بـالآصـــال والبكـر
شكـوت طول الليـالي بعـد فـرقتكم وعنـدكم كنت أشكـوه من القصـر[3]
أمــا الفؤاد فقـد طــار النـزوع بــه إليــك لكن عــذاب البين لم يــطر
كم لي هنـــالـك من أنس بـــرؤيتكم لــو لم تكـدّر صفـــاه بغتــة السَّفــر

(*) لم أعثر على ترجمته وهو أحد الشخصيات التلمسانية التي التقى بها الشاعر في تلمسان.
(1) الأعوجيات: نسبة إلى أعوج وهو اسم فرس شهير كثير النسل.
(2) في الأصل: أعي.
(3) نظر في هذا البيت إلى قول ابن زيدون:
إن يـطل بـعــدك لـيــلي فـلكــم بــتُّ أشكــو قــصــر الـليــل مــعــك

وكم غدونا وكم رحنا على طرب | بالصخرتين إلى الصفصاف فالنهر[1]
وبالبصيلة جاد القطر ساحتها | معاهد عهدها مني على ذكر
وزورة لغدير الجور قد لبست | لنا أباطحها موشية الحبر[2]
وقد أطافت به أزهاره فحكت | زهراً قد اشتبكت منه على قمر
والطير صادحة من كل ناحية | كما أصخت إلى زمر على وتر
تصغي وترنو فما تنفك من طرب | يسري إلى النفس من سمع ومن بصر
وليلة برباط التونسي[3] لنا | زهراء من غرر فيها على غرر
من كل مشتمل أطمار ليلته | مردد القلب بين الفهم والفكر
يتلو وقد خَلُصَتْ لله نيّته | فيجتلي نور تلك الآي والسّور
لا خلق أحزم منه وهو مدرّع | درعين بين رجاء الفوز والحذر
ووقفة لي بذاك الصحن خاشعة | تجني ثمار التقى من دوحة النظر
وقد أطار الكرى عني وأرقني | ترجيع باكٍ به أو صوت معتذر
لهفي على زُمَرٍ فيها ألفتهُمُ | أوصافهم ثبتت في آخر الزُّمر[4]
تشب للحزن نيرانٌ بأضلعهم | فترتمي من دموع الشوق بالشرر
لا خير في العيش لي من بعد فرقتهم | والروض ليس بمستغنٍ عن المطر
فليس يَعْدِمُ قلبي في تذكرهم | طعناً من السُّمر أو وخزاً من الإبر
وإن حسنهم[5] في أثرتي أثراً | أبو علي ولو أبعدت في الأثر
أطلتُ باعي في وصفي محاسنه | وهو الحقيق بقول غير مختصر
وما صبرت رضىً مني بفرقته | لكن رضىً بقضاءِ الله والقدر

* * *

(1) الصخرتان والصفصاف في هذا البيت والبصيلة وغدير الجور ورباط التونسي أسماء مواضع في تلمسان بالجزائر.

(2) الحبر: الألوان والهيئات، وبذلك فسر الفراء قول الرسول ﷺ (قد ذهب حبره وسبره)، وقال الأصمعي: الجمال والبهاء.

(3) رباط التونسي: نسبة إلى أبي محمد بن عبد السلام التونسي دفين عبّاد تلمسان وقد كان زاهداً عالماً بالمسائل صلبياً في الحق (انظره في التشوف 110، والبستان 122 والأعلام 470/8).

(4) زمر: جماعات، وآخر الزمر: إشارة إلى قوله تعالى في سورة الزمر: (وسيق الذين اتقوا إلى ربهم إلى الجنة زمر. الآيتان 70 - 71).

(5) حسنهم: كذا ولعلها أحسنهم.

وكتب إلى سعيد بن عيسى(*):

لاح وقد فاح بهارُ النهارْ ... برق أطار القلب لما استطار
ذاب لجين المزن لمّا رمى ... معدنه البرق بمقياس نار
ومرّ يختال كما قلبت ... راحة ماضي العزم ماضي العرار
واغرق الروض فقضبانه ... عن مبسم النوار ذات افترار
فالطلُّ في مفرقه بهجة ... تاج وفي المعصم منه سوار
ذكرني العهد وما أنسه ... وإن نآى الصحب وشطَّ المزار
وجيرة حالي لفقدانهم ... نوم غرار[1] ودموع غزار
رددتُ عاريةَ أنسي بهم ... وأوجبُ الأشياء ردُّ المعار
والدهر لا يبقى على حالةٍ ... ففي صعود تارة وانحدار
محبوبه عنوانُ مكروههِ ... وآفة الخمر بقايا الخمار[2]
يا برقُ طارحني[3] أحاديثهم ... فهات تطويلاً وهاك اختصار
فربما سرَّيتَ عن بهجة ... أضحت لفقدانهم في إسار
جددت عندي مثلاً سائراً ... في الناب حنت لرغاء الحوار
فلا تسمني الصَّبر من بعدهم ... فلستُ أصغي لا ولا لي اصطبار
أهوى تلمسان وسكانها ... لو كان لي في الكون اختيار
أرضٌ خلعتُ العُذْرَ في تركها ... أضعاف ما فيها خلعتُ العذار
أقسم بالبيت وأستاره ... وزمزم والركن والمستجار
وصفوة أنضوا إلى حجهم ... عيس المهاري وعتاق المهار[4]
والبدن كالأسطار معقولة ... مصفوفة فوق طروس (........)[5]

(*) من زملاء الشاعر في تلمسان.

(1) الغرار: الناقص.

(2) الخمار: ألم الخمر وصداعها وأذاها.

(3) في الأصل: طرحني.

(4) في الأصل: (عيسى الماهر وعتاق المهار) ولا يخفى ما فيه من خلل في الوزن والمعنى.. والمراد بالعيس: الإبل البيض المختلط بياضها بشقرة، والمهاري نوع سريع منها، والمهار جمع مهر، وهو ولد الفرس، والعتاق من الخيل: جيادها.

(5) بياض في الأصل.

قد حملا العشر وطي الفلا حتى تساوت حولُها والعشار[1]
تغني عن المورد في ظميها بعارض النقع ورد السعار
أليّة[2] تقضي على نفسها بصحة العقد وطيب النجار
ما سكنت نفسي إلى غيرهم وهل يروق الصُّفْرُ بعد النُّضَار[3]
يا سكَّن الله فؤادي بهم فما له بَعْدَهُمُ من قرار
أعلِلُ النفس بطول المدى وقد مضى وَعْدٌ وطال انتظار
فأين مني والنوى غربة أولئك الناس وتلك الديار

* * *

وكتب إلى أبي عبد الله بن المسطاسي: (*)

يا نسيم الريح يهفو سحراً ولسان البرق يحدو المطرا
نبّها نوم الرّبا من نومه فانثنى ينفض أذيال الكرا
وأعادا روحه مذ سكبا ماء ورد المزن في مسك الثرا
أودعاه نفحة ضنَّ بها فأذاعا عنه ما قد سترا
أبلغا عني أخاً خَلَّفْتُهُ بتلمسان سلاماً عطرا
وأعلما أنّي مذ فارقتُهُ لم أجد في بينه مصطبرا
كيف أسلوه ومن آثاره مُلَحٌ تملأ نفسي أثرا
أدب غضٌ وخط رائق وعفاف وندى قد بهرا
كم لنا من ساعة أنسيةٍ نجتليها أُصُلاً أو بُكُرا
ورياض قد هتكنا سَجْفَهَا فاجتلينا نهراً أو زهرا
أُودِعَتْ من كلّ شيء حسن فأنالت كلّ قلب وطرا
بين ورد هام في وجنته نرجسٌ يسرق منه النظرا
وأقاح رشفت ريقته قضبُ الروض فمالت سَكْرا

(1) حول: جمع حائل من النوق، وقد ضبطت بفتح الحاء في الأصل.
(2) الألية: اليمين.
(3) الصفر: بالضم الذي يعمل منه الأواني، والنضار: الذهب.
(*) لم أعثر على ترجمته.

وأزاهـيـر تـرى مـن طـلِّهـا | حـبـبـا قـد قـلَّدتـه دررا
نـظمتـه المـزن في أغصـانـهـا | وسـرت ريـح الصِّبـا فـانـتشـرا
يـا لـه مـن مـنـظرٍ أفـقـدنـي | بَـيْـنُـهُ الـعَـيْـنَ وأبـقـى الأثـرا
أذكـرتـنـي أُنْـسَـهُ قـمـريـةٌ | ذكـرتْ وجـداً فـنـاحـت سـحـرا
أشـبـهـتْ غـافـيـة غـانـيـة | قـد شـدتْ صـوتـاً وهـزت وتـرا
يـا لـذاك الـعـيش لـولا أنـه | كـان في مـدتـه مـخـتـصـرا[1]
طـمسـت مـعـنـاه فـي إبَّـانـه | فُـرْقَـةٌ دبَّـتْ إليـه الـخـمـرا[2]
وكـذا الأيـام لا أمـن لـهـا | مـرة صـفـواً وأخـرى كـدرا
هـي كـالـخـمـرة تـبـدو حـبـبـاً | أول الـدن وتـخـفـي شـررا
أيـهـا الـنـازح لـكـن خـاطـري | راكـب في الـصبـر عـنـه الخـطرا
أنت أسنى النـاس عنـدي مـوقعـا | عـرف الـعـاذل ذا أم أنـكـرا
والـذي قـد طـلع الـصـبـحُ لـه | لـيس يـبـغي بـعـد ذاك الـقـمـرا
ليت شعـري كيف أنسى بعـدمـا | عـاد مـعـروفُ الـتـداني منكـرا
قُـبِّـحَ الـبـيـنُ فـمـا أفـجـعـه | كـم مـحـب بـحـبـيـب وتـرا
غـرنـي إطـراقُـهُ مـن قـبـلهـا | وهـو قـد كـمّن فـيـه الـغِـيَـرَا
ورأى لـلأنس عـنـدي صـوراً | فـانـبـرى يمسـح تلك الـصّـورا
واعظٌ بـالـحـال مـا أنـصـحـه | فـتـأمـلْهُ تـعـايـنْ عِـبَـرَا
هـو جـمـع لـفـراق أبـداً | زُمَـراً يـدنـي لـيـنـئي زمـرا
ولـقـد قـال وقـد عـاتـبـتـه | سـلْ بـمـا تـكـره مـني الـقـدرا
سـلّم الأمـر لـمـن قـدره | سـوف يجري كـلّ مـا قـد قـدرا
لا ومـن قـدرتُـهُ نـافـذةٌ | مـا فؤادي بـعـدكـم مـصـطبـرا

وكتب إلى أبي عثمان سعيد بن يوسف المعلم(*):

يـا مـن لـه شيـم تـمـلـ | ـكـه الـعـلا ومـنـاقـبُ

---

(1) في الأصل: محتضراً.
(2) تقول: جاء الخمر أي في سر وغفلة وخفية.
(*) لم أعثر على ترجمته

وفضائل عَيِيَ الحسو د بها وأعيا الحاسب
ومجانباً لي وهو من أسنى الذين أجانب
في كلّ يوم حادث يدنو فينأى صاحب
أعزز عليّ بأن أُرَىٰ بعد اللقاء أكاتب
كيف السّلو وبيننا خطب (ل)بينك[1] خاطب
وضحاضح وأباطح وبسابس وسباسب[2]
ومعالم ومجاهل وأعاجم وأعارب
وضراغم أنسية وسلائب ونجائب
وعلى الغوارب كالأهلـ ـة في الحدوج غرائب[3]
صور من السحر الحلا ل لها القلوب قوالب
فإذا نظرن فإنهنَّ على النفوس غوالب
فَسِهَا مُهُنَّ لواحظُ وقسيهُنَّ حواجب
حفَّت بهن أعنة وأسنة وقواضب
ومواكب هي والعجاج غمائم وكواكب
أعطتهُمُ شرَف الإباءِ مناسب ومناصب
فالقوم إما سالب أو طاعن أو ضارب
ورد المنية معرض فيهم وغيري شارب
من كان من شُهَّادهم يوماً فإني غائب
يا من أُطالبه بودٍّ دائم ويطالب
ثقْ بي وإن نأتِ الدّيا ر فإنّ حقَّك واجب
فلقد صَدَقْتَنِي الودا دَ، وَوُدُّ غيرك كاذب
وسَنَنْتَ بِراً حاد عنـ ـه أحبَّةٌ وأقارب
إني وإن رغم البعا دُ على ودادك دائب

(1) في الأصل: بينك، وهو مخل بالمعنى والوزن يمكن تعويضه بلام أو واو.
(2) البسابس: جمع بسبس وهو القفر الخالي، والسباسب: جمع سبسب وهي المفازة أو الأرض المستوية البعيدة.
(3) في الأصل: عرارب.

ولقد تُذكِّرُني العهودُ بوارق وسحائب

وحمائم قامت لها فوق الغصون نوادب

وشمائل في طيها نشر الهوى وخبائب

والروح حفَّت جانبيه أزاهر ومذانب

ما كان وصفي للحسا ن كما يظن العاتب

لكن ذكرتك طيباً فذكرتهن أطائب

فكأن طبعك رقة لنسيبهن مناسب

أما الزمان ففي تقلّـ ـبه علي عجائب

يعطي ويرتجع العطيّـ ـة فهو معطٍ سالب

(فدع المواهب إنَّ صدقَ (قياسهن) مناهب [1]

ولقد نصحت وللنَّصيـ ـحةِ قابل ومجانب

فاصبر على طب النفو س فللنفوس مذاهب

جَدَّ الزمان وكلَّنا إلَّا قليلاً لاعب

ولكم فقدتُ زخارفاً جاذبتها وأُجاذب

ولكم تقضَّتْ للزما ن مطاعم ومشارب

لم تَصْفُ منها لذةٌ إلَّا وفيها شائب

وعهدت نفسي راغباً حيناً فها أنا راهب

ومن العجائب أن تغيب ونهج قصدك لا حب [2]

لكن جِدِّي راتب فيـ ـها وجَدِّي ذاهب

بالسَّعد يرفع رافع يوماً وينصب ناصب

ولذاك عمرو النحو مضـ ـروبٌ وزيدٌ ضارب

لا والذي بقضائه نطق الغراب الناعب

ما باختياري بعدكم لولا القضاء الغالب

* * *

---

(1) البيت غير واضح في الأصل وقراءته فيه كالآتي:

(فدع المواهبِ إن صدق القياس مناهب).

(2) لاحب: واضح.

وكتب رضي الله عنه لعياض بن عياض[1]:

يـا أبـا الـفـضـل وابـنـه وأخـاه ... وسـنـاه وحـلـيـه وحُـلاَهُ

وشـبـيـهـاً بـأوّلـيـهِ فـإن لا ... ح حـسـبـنـا جـدُّه وأبـاه

عَـلَـمٌ تـحـسـر الـلواحظ عـنـه ... سفحـه الجـود والعـلا مـرتـقـاه

لـم أزلْ سـامعـاً بـفضـلك حتـى ... حقق اللَّحظ عنـك مـا قـد رواه

أنـت من أنـت فضـل طـبـع وارث ... طـابـق الـفـرع أصـله وحـكـاه

أنـف مـن تـقـلُّد الـكـبـر وصـفـا ... ولـك الـموجـبـان مـال وجـاه

وأخـو الـعـقـل إن أسف لـنـقص ... من مهـاوي الـهـوى نَهَتْـهُ نُهَـاهُ

سرّني القـرب منك والـدهـر دأباً ... مـازج طـيـب وصـلـه بـنـواه

وسـواء لـديـه جـبـلة غـدر ... نـالـنـا مـنـه خـيـره أو سـواه

أنـا مُغْـرًى بكُـتْبِ جَـدِّك عـلمـا ... إنـه الـبـحـر والـجـمـيـع رداه

فـإذا أُبْـتَ سـالـمـاً فـأَعِـرْهَـا ... مـن يـكـافـيـك شـكـره وثـنـاه

ولَـبَـثُّ الـعـلوم أعـظمُ فـضـلٍ ... فـاغـتـنـمْـهُ فقـد حـويتَ مـداه

ولْـتَسِـرْ ولْـتَـؤُبْ مـرقّـى (. . .)[2] ... تـسـمـع الـخـيـر دائـبـاً وتـراه

ولِـطَرْفِ المخـافِ عنـك اغتمـاضٌ ... ولـطرف الـمـراد مـنـك انـتـبـاه

مـا طـوى الـروضُ سِرَّهُ جنـح ليـل ... فـأذاعـتـه لـلصـبـاح صـبـاه

* * *

وكتب إليه أيضاً:

دليـلُ عُـلاك ليس على اعتـراض ... وبـسط نـداك ليس إلـى انقبـاض

وفـيـك محـاسـنٌ لفـظاً ومـعـنـى ... نـهضـت بـعبثـهـا أيَّ انـتـهـاض

يـقـر الـحـاسـدون بـهـا ولِـمْ لا ... وجـدُّك شـاهـدٌ ونـدا (ك) قـاضي

بـقيـةُ مـنـجـبـيـكَ أبـاً وجـداً ... وبـالـبـاقيـن تُعـتبـر الـمـواضي

وأورثـهـم وقـد كـثـروا وطـابـوا ... ك ‍ِرث الـزهـر أنفـاس الـريـاض

---

(1) راجع ترجمته في مجلة كلية آداب تطوان 311/3 والذيل والتكملة 344/8 والإحاطة 226/2.

(2) نقص في الشطر بمقدار كلمة.

فهـذا النـور من تلك المشـاكي ... وهـذا النهـر مـن تلك الحيـاض
أتـاني عن أبي الفضـل ارتحالٌ ... ثنـاني بـين وجـد وارتـمـاض
فلم نُحْنِ الضـلوع علـى سـلوٍ ... ولم نـطوِ الجفـونَ على اغتمـاض
فـراقُ النفس لـيس عـن اختيـار ... وفقـدُ الـروح ليس عن التَّـراضي
ومـن يعتضْ خليـلاً مـن خليـلٍ ... فما عُوضتُ[1] خِـلّاً مـن عيـاض
ولـي دَيـن بـلقيـتـه ولـكـنْ ... أرى الأيـام تـمطل بـالتقـاضي
أبـا الفضـل الـزمـان كمـا تـراه ... يـقلبُ فـي انبـرام وانـتـقـاض
رضيتُ عـن الفـراق وفيـه سخط ... وإنـي عـن فـراقـك غـيـر راض
فَسِـرْ متمهـلاً وارجـع سـريعـاً ... كـصقـر فـي عـلو وانـقـضـاض
وعشْ فـي غبـطةٍ وعُـلاً ومـجـدٍ ... وسـعـدك ذو انـقـيـاد وارتـيـاض
متى صَحَّتْ دعـاوى كـلِّ صعبٍ ... بـتـزكيـة مـن الحـدق المـراض

وكتب رضي الله عنه إلى غيره[2]:

قـل للنسيم إذا الصبـاح أعلَّه ... والبـرق أغمـده الغمـامُ وسَلَّهُ
يتجابـدان[3] الروض شرك عنانـه ... هـذاك نـبّـهـه وهـذا بـلّه
عـوجا على وطن الصَّبابة والصِّبا ... بـتـحيـة تـسـع المكـان وأهله
وتـحـمـلا عـنـي تـحـيـة شـيـق ... أبـقـى الـنـزوع إلـى اللقـاء أقلَّه
أهـوى العقيق وسـاكنيـه وإنـمـا ... أهـوى المحـل لأجـل من قـد حلَّه
بـين البصيلة والمجـاز منـاظـر ... أودعـتـهـا مـذ بـنـت أنـسـي كـلَّه
دمن إذا مـا الـطرف رام سلوكهـا ... لـم يـدنُ منـهـا أو يـجـدد نـعـله
رقّت مـواردهـا فـكـانـت راحـة ... وذكـت منـابـتهـا فـكـانـت نَقْلَهُ
وتعـاقبت أنـوارهـا مـوصـولـة ... حتى كـأن الصبـح قـيّـد لـيله
وبمصـرهـا وهـو النهـايـة بهجـة ... خـلٌ رأيـتُ الـنـاس طـرا خـله
هـو كـالـربيع فلست تعـدم دائبـاً ... حُـسْـنَـيْـهِ إمـا طـلّهُ أو ظـله

---

(1) في الأصل: عرضت.

(2) كناه في القصيدة بأبي محمد وتبين من المواضع التي أشار إليها أنه تلمساني.

(3) يتجابدان: يتجاذبان.

أثنى عليه بقوله وبفعله — حفظ الجنان بيانه فأملّه
وأرى مبرته وأرعى عهده — و (أ) لذّ ذكراه وأشكر فضله
يهنا[1] الفضائل أن غذا موصوفها — دون الأفاضل واغتدت صفة له
والدهر يَطَّرِح الجليلَ وربما — خرق العوائد نادراً فأجلّه
لكنه قد ظن أن وليه — مذ بان عنه اعتاض منه فمله
لا والليالي السالفات وحسنها — إذ لم أعاين مثلهن ومثله
ما إنْ رأت عيناي خلا بعده — يعتاض منه ولا رأته قبله
ثق[2] بي فإن العين فيك قريحة — والجنب ناب والفؤاد مولّه
أأبا محمدٌ الوفي على النوى — لأخ رآه أخاً الوفاء وأهله
شيم الزمان كما علمت تفرق — وعساه يجمع بعدها ولعله
أنبطتها[3] مستعجلاً من خاطر — يشكو لفقدك صحبه ومحله
فأتتك يرقص حولها ابن قلاقس[4] — طرباً ويشرب بالكبير الأبلَهُ
بكر رأيتك كفأها[5] من دونهم — والشكل يحسن أن يلاقي شكله
فاسلم على ريب الزمان مبلغاً — أقصى المنى في رفعة وتملّه

* * *

وكتب إلى الفقيه أبي العباس الشريشي[6]:

أ (وَ) خَطْبُ فُرْقَتِكُمْ لَديّ قليلا — كَلاَّ ولا الصبر الجميل جميلا
يا نازحاً عن غير قلبي إنّه — مُذْ بان عنه أقامه تمثيلا
كيف السُّلو وبيننا من رغبة — أُسْدٌ تكون لها الأسنة غيلا

---

(1) في الأصل: يهني.
(2) في الأصل: ثقب.
(3) انبطتها: استخرجتها.
(4) ابن قلاقس: هو نصر بن عبد الله الأغر من كبار الكتاب المترسلين، يلتقي مع الفازازي في كثير من خصائصه الفنية في كتابة الرسائل، (له ترجمة وافية في الأعلام للزركلي اعتمد فيها على مخطوطة في ترسله، وانظر فريدة القصر ـ قسم شعراء مصر 145/1 وابن خلكان 156/2).
(5) في الأصل: كفؤها.
(6) لم أعثر على ترجمته ويبدو من المواضع التي أشار إليها أنه ممن لقيهم في صباه بتلمسان.

وسباسب تذر الدليل مرددا انظر إلى أثر المطي كليلا
لله أنت فقد وجدتك عدَّة سمح الزمان بها وكان بخيلا
وبلوت منك شمائلا من دونها صفو الشمول فما أردت بديلا
أبلغ رباط التونسي[1] عني وأوسعْ قبره تقبيلا
وأقرأ به الذكر الحكيم موفياً آياته التجويد والترتيلا
واذكر أخاك بدعوة مبرورة تطرح بها عبئاً عليه ثقيلا
واعطف على صَفِّ البصيلة إنه قد كان لي مأوى وكان مقيلا
والمح بقبلي المدينة منظراً أضحى لمشتبك النجوم عديلا
لبست ملونة الأزاهر أرضه وخطت به ريح الشمال بليلا
وأنساب في تلك الأباطح نَهْرُه فهجرت دجلة عنده والنيلا
وكأنما الجبل المنمق فوقه أضحى لمفرق رأسه إكليلا
نشق الهواء به صحيحاً عندما هبَّ النسيم بصخرتيه عليلا
لا أنسى أياماً قصاراً فيه لي أضحى تذكرها عليَّ طويلاً
سدَّ السبيل عن اللقاء فلم أجدْ لما نأيت إلى السلوّ سبيلا
أعزز عليَّ بأن أكون محملاً شوق الدنو إليكم ترسيلاً
كن كيف شئت أخا الوفاء فإنني أثني عليك إقامة[2] ورحيلا
دعواي حبك بالضرورة لاحق وعلى الضرورة لا تريد دليلا
أفتن في فن الثناء عليكم وأواصل التعظيم والتبجيلا
خذها إليك قصيدة حملتها فتحملت شوقاً إليك دخيلا
ولقد أردت زيادة في نظمها لكن كرهتُ وحقك التثقيلا
لا والذي كان الفراق بحكمه ما خطب فرقتكم لديَّ قليلا

كتبت، دامت كرامة سيدي الفقيه والأخ الذي أفديه بالنفائس وأفيه، ولا زال غنياً بوقاية السعادة عن توقيه، متعرفاً على الدوام عادة ترفعه وترقيه، من حضرة فاس ـ حرسها الله ـ والحال جميلة صالحة، وألطاف المولى (46 أ)

---

(1) تقدمت الإشارة إليه.

(2) في الأصل: أمامة.

سبحانه غادية رائحة، والحمد لله رب العالمين.

وجديد الأنس بعدك بال، وفكر الشوق متتابع متوال، والنفس حنانة إلى أيام ماضية لنا وليال، فما كُثَيِّر[1] وقد غلبه الشوق وعَزَّ(ه)، واستدعى البكاء من خليليه حيث حلت عَزَّة، ولا سميه معنى وقد فارق الجزيرة، وتيمته عزة الأخيرة، وكان في مضمار المحبة وذكر الأحبة عديل سميه المعنوي ونظيره، وإياك أعني يا جارة فاسمعي، وخذي في اللوم إن شئت أو دعي.

بأوجد مني مذ نَأَيْتَ وإنما ... أعلل نفسي بالتجلد والصبرِ
وإلا فأنفاسي أحرُّ من الغضى ... عليك وأجفاني أَدَرُّ من القطر
فيا ليت شعري هل لقربك كَرَّةٌ ... وهيهات كم بيني وبينك من قفر[2]
لعل الذي كان الفراق بحكمه ... يعيد لنا عيشاً تولى وما ندري
فنُسْرِحُ في تلك البطاح نواظرا ... تَنَقَّلُ من روض نضيرٍ إلى نهر
ونرقى وبين الصخرتين مناظر ... تمثل ما بين الغدير إلى البحر
وَنَنْشَقُ أنفاس النسيم بليلةً ... معطرة بين المذانب والزهر
تذكرتُهَا والبين (بيني)[3] وبينها ... ولا بد للمشتاق من لوعة الذكر
أمّا وهواها بل هواك فإنه ... تمكن ما بين الجوانح والصدر
لما لبست إلاَّ بحسنك حسنها ... ولا بد للحسناء من نفحة العطر
وإيه وقد وفيت شَوْقِيَ حَقَّهُ ... أَعِدْ نظراً في البدر والغصن النضر
فهل طلعت في الغصن للبشر نوره ... وهل وضحت من غيمها صفحة البدر
وهل للجياد القب في القب مسرح ... بأسد هياج غيلها (آجم السمرِ)[4]
وما كان من نذر نذرتُ صيامه ... مع الوصل من عشر تضاف إلى شهر

كم ذا أُطيل، ويكثر مِنِّي القال والقيل، وأخرج عن حد انتزاح، إلى

---

(1) أشارة إلى كثير عزة تكررت في شعره ونثره.

(2) في الأصل: فقر.

(3) زيادة عن الأصل يقتضيها تمام المعنى والوزن.

(4) الفرس الأقب: الضامر البطن، والقب الثانية لعلها اسم موضع، وما بين القوسين غير واضح الأصل.

وَجْدٍ مزاح[1]، وقد فُقِدَ السجل وكَلَّ أخوك المجل[2]، ولم يبق إلا أن أختم الرقعة بهذه القطعة:

أنا مذ بنت يا أبا العباس ... في رجاء من اللقاء وياس

ودموع للبين تهمي ولكنْ ... نشفتها حرارة الأنفاس

كيف حال أمرىء تَشُطُّ تِلِمْسَا ... نَ[3] عليه وقد أقام بفاس

لم يكن ما لقيته مذ تناءيت ... من الوجد جارياً بقياس

لا وريم يصون خداً بصدغ ... فيصون الورد الجني بآس

وجفون تعلمت صنعة السحر ... فضلت بها حلوم الناس

ما مقامي وقد فقدتك إلا ... كمقام الذراع في المقياس

قد حلَّ باب الهوى، وتم الآن واستوى، وكنت أحتفل فيه وأطنب لو وجدت أين أكتب، وهَبَ الله لي ولك توبة نصوحاً، وباب عمل إلى قبلة الرضى مفتوحاً.. بمنه.

---

(1) كذا: ولعل المراد «إلى جدٍّ ومزاح».

(2) مجلت يده من العمل: نفطت فمرنت «تاج».

(3) أشارة إلى تلمسان تبين أن المواضع السابقة من معالمها، وقد تكررت تلك المواضع في نصوص مختلفة فدلتنا على أن الأعلام الذين راسلهم بها تلمسانيون أو مقيمون بها فترة طويلة.

النوع الثالث

في مخاطبته رضي الله عنه ـ الصادرة عن الأمراء وما يتعلق بذلك:

فمما كتب للحضرة[1] عن بعضهم:

الحضرة الأمامية مقام الفضل المتتابع المتوالي، ونظام الإحسان المتناسق المتتالي، أدام الله علوها وظهورها، وأجرى وفق إرادتها أوامرها وأمورها، ووصل ببركتها للأمة جذلها وسرورها، عبد[2] مننها الواضحة الحجول والغرر، ومسترق أياديها الكريمة الإثر والأثر، المتقلب من تعهداتها المتلاحقة وتفقداتها المتناسقة، بين غيم متحاح المطر، ودوح نفاح الزهر، الشاكر لها بألسنة أقواله وأحواله، وغايته العجز والحصر.

وبعد حمد الله الذي جعل المقام العليَّ ظلاً يكنف الأنام ويكفيهم، وغيثاً يغيثهم مظان الأوام ويرويهم، والصلاة على سيدنا محمد رسوله الكريم منقذ العباد من أشراك الإشراك ومنجيهم المخصوص وحده بمزية (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) وعلى آله وصحبه الكرام بأنفسهم (47 أ) وأوليهم الباذلين

---

(1) الحضرة: حاضرة الخلافة في عهد الموحدين، وقد عاصر منهم أكثر من خليفة ويفهم من خاتمة الرسالة أن المرسل إليه هو الخليفة المنصور.

(2) لعل هذه الكلمة مسبوقة بأخرى محذوفة هي (كتب) أو (مِنْ).

في الذَبِّ عنه ـ عليه السلام ـ أتم احتفالهم وأعم تحفيهم.

والرضى على الإمام المهدي[1] مبيد المبطلين بعد اشتداد أهوائهم وامتداد مهاويهم، ومعيد الحقائق على أهلها حين احتياج مناياهم واقتراح أمالهم، والدعاء لسادتنا المتمّين لدعوته طعناً بأسنتهم وضرباً بمواضيهم، المقتفين لسنته الواضحة بعلمهم ونيتهم وتوخيهم، والدعاء لسيدنا أمير المؤمنين بسعد يحمي أولياءه ويقيهم، ونصر يذر عداه نهبة لأول يد تلاقيهم.

فكتب العبد المسترق السر والعلن، المستحق بترادف الآلاء وتضاعف المنن، وكتب الله للمقام جنوداً من الجد لا تزال غالبة منصورة، وبنوداً من السعد لا تنفك عالية منشورة، ولطف الله تعالى يؤمن كل شعب، ويسهل كل صعب، ويذلل كل جامح، ويقرب كل نازح.

والحمد لله الذي جعل اليمن لديها، وأجرى الخير على يديها، وعند العبد من الالتزام للرسم الذي رسم له، والاستعمال للقانون الذي فَسَّر له الصواب قولاً وعملاً وفصّله، ما حسّن الأثر، وعمّ بالأمنة والصلاح من بدا وحضر، فالعافية شاملة، والطرق سابلة، والرعية إلى المقترحات النازحة والمبتغيات الطامحة واصلة، وكل ذلك بلطف الله تعالى، ويمن مقام أقامه الله للمصالح فبثها، وأمره بتمشيته النصائح فحثها[2] فلا مصر إلاَّ وقد تبلج إنارة وتأرج عطارة، ولا فئة إلاَّ وقد وجدت تمنيها وفقدت بالنظر الأصلح تعنيها، مد الله للجميع ظلال الحضرة العليا، ووصل للكافة بقاءها الذي هو عز الدين وبهجة الدنيا.

وقد وصلت للعبد المنة العظمى، والمنة التي (ليس) وراءها لأمل من آمال الدنيا مرمى[3]، فَتَمَّمَتْ الأيادي المتقدمة وجددت المواهب المتصرفة، وكانت كالظل المنسكب بعد طلال، والطل المنسحب فوق ظلال، فمدَّ العبد إليها يداً ملأتها المنن، وأجال في شكرها لساناً أنطقه الصنع الحسن، وأعد لموقعها قلباً تشرف بحلولها هو والبدن، ولم يبق له جارحة إلا استجدت عزمة

---

(1) الإمام المهدي: هو ابن تومرت إمام الموحدين.

(2) كلمة غير واضحة في الأصل في صورة (جنتها).

(3) في الأصل: مري.

في شكر النعمة، ولا جانحة إلاَّ استعدت همة لِمُسْتَقبَلِ (47 ب) الخدمة.

على أن العبد لو أبان بمقول سحبان لَقَصَّرَ عن الحد، ولما كان إلاَّ سكيت حلبة الحمد، (فـ) بحر المنن الإمامية من حاول قطعه سبحاً لقي برحاً، ومن تعاطى استنفاده عَبًّا ركب مركباً صعباً، وحسب القوى البشرية استكراد طبعها، واستنفاد جهدها ووسعها، ثم إلى الله تعالى المفزع في مكافأة مقامٍ لا يكافئه سواه؛ ولا يؤمل لمجازات نعماه إلا رحماه.

وإن كانت أيادي المقام قد أكملت الرغائب وشملت الحاضر والغائب، فالعبد أرحبهم مذاهب مواهب، وأمرعهم مسارح منائح، كما أنه أصدق العبيد ظاهراً في الشكر وأخلصهم ضميراً، وأمدهم في الخدمة باعاً، وأشدهم تشميراً، جازى الله عنه المقام أفضل ما جازى به مقاماً شرف بالاستخدام، وتعهد بالمنن الفرادي والتؤام، وهو سبحانه المسؤول أن يديم للمقام أفضل ما عوده، ويصل له وعلى يديه منصور العزم ومؤيده، ويعرفه على الدوام فتحاً يعلي كعب الإسلام ويبسط يده، بمنه.

* * *

وكتب أيضاً ـ رضي الله عنه ـ :

السيد أبو فلان، أدام الله مجده جديد المعالم، ووصل سعده حديد الصوارم، أخوه السابق في مضمار ودِّه، المتطابق الحال والمقال في الإفصاح بحمده، البرّ به، المجلّ له لعظم حقه وكرم عهده، المترقب لما ينفس ويروح عن روحه من نبأ سار من عنده، فلان.

أما بعد. . . فكتب ـ كتب الله لك مجداً لا تهي أركانه، وسعداً لا ينتهي إمكانه، وألطاف الله تعالى متصلة الوفود، طالعة بمعهود الفضل والجود، والحمد لله رب العالمين حمداً لا زال به ديم النعمة ثرة تجود، ولا تبرح معه قسم العصم كلما ولَّت تعود، والذي يتعين لجانبك من التكريم ولواجبك من التقديم سنن أسلكه متديناً، وديدن أعتقده فرضاً (48 أ) متعيناً، والله تعالى ينفع بها أخوة كريمة الأواصر سليمة البواطن والظواهر، لا تؤيس النوى تراها، ولا يطوي النزوح مغداها ومسراها.

وقد علمت أن النفس بأنبائك متولعة، وإلى ما يتزيد بأرجائك متطلعة، وبحسب ذلك أوثر منك التعريف بمآل الحركة التي استعملتها، وأحوال الجهة التي استقبلتها، فإني منذ انفصالك عن فلانة[1] ألى إيابك إليها لم أزل أستبطىء الرواحل، إلى أن استفاض إيابك على الإجمال وبقي الموجب له تحت احتمال، فمن قائل خيراً وقائل ضده، وكل بحسب الهوى الغالب ينفق مما عنده، وفي النوى يكذبك الصادق ويخونك الأصادق، ولم أر لدفع هذا الإبهام وقطع أطباع أهل الاتهام، إلاَّ البدار بخطابك ، والانتظار لجوابك، وأنت تعرف بسبب سرعة المنقلب، وتبشر بمرجو الظفر ومأمول القلب، وتشرف على الوفاء ما سفرت عنه تلك السفرة، وانتجته مقدمتا السنان والشفرة، وتهدي ذلك إلى من يشركك[2] في نعيم الأوقات وبؤسها، ويلقى كل حالة من خير أو شر بلبوسها، والذي بيننا من تلاصق الاشتباك يقضي بتطابق الاشتراك، ويُرَجِّي الله تعالى لوصول كتابك الأثير متقد(م)[3] البشير، ناطقاً بنجح ذلك المسير، وذلك على الله تعالى يسير، وهو سبحانه يبقيك وصدور الصدور على حبك منطبقة، وألسنة الجمهور في شكرك وجميل ذكرك متفقة، وحركاتك وسكناتك في سلك المصلحة منتظمة متسقة، إن شاء الله تعالى.

* * *

وكتب إلى المكتوب إليه المتقدم، عن نفسه:

وإني على بعد الديار وقربها ... وتغيير مغتاب وتغيير عاتبِ

لشاكر ما أسديته من مكارم ... وآثر ما أبديته من مناقب

وكم حاضر[4] ....

* * *

(1) أشارة إلى بلدة.

(2) في الأصل: يشرك.

(3) زيادة على الأصل.

(4) انقطاع في الأصل قدر صفحتين.. ثم عود إلى شعر بقافية مختلفة.

لـم تبـق معـلوةٌ إلاَّ خصـصـت بـهـا ... في العلم والفضل والإقدام والكـرمِ
فـأنـت تنـقـل من بـذل إلـى ورع ... إلـى حسـام إلـى طـرس إلى قـلم
تـنـقّـلٌ فـتَّ أعـلام الـمـلوك بـه ... مـا أبين الفـرق بين الـرأس والقـدم
دَعْـنـي أُحَـبِّـرْ حُلَىٰ مُـلْكٍ أَقَـرَّ لَـهُ ... من في الأقـاليم من عرب ومن عجم
لـزمتُ مختتمـاً مِن شـكـر مِنَّتِـهِ ... لـزوم غيـري شكـراً غيـر مختتم
شـريتُ بـالشكـر نُعمـاه يـداً بيد ... فـاعجبْ لمنتشـرٍ يُشـري بمنتـظم
حـرمتُ شكـر سـواه وانفـردتُ بـه ... من عاين الصبح لَم يجنح إلى الظُلَم
ولـم أبـالِ بـلومٍ فـي محـبـتـه ... فـاللوم في حبـه ضـربٌ من اللَّمم
نـام الـملوكُ عـنِ العـليـا ونبَّـهَـهُ ... قلبٌ إذا نـام أهـلُ اللهـو لم ينم
حـدُّ الـوجـود بـه صحَّتْ حقيقتُـهُ ... وكم وجـودٍ إذا حققت كـالـعـدم
كسـاه غيـري من أمـداحـه حُلَلاً ... لكن جعلت مـديحي مـوضـع العلم
لا زال تـزري بنـور البـدر غـرَّتُـهُ ... وجـود أنـمله يـغـنـي عـن الـدّيم
مـا أمـطر الأرض ريَّـاً تحت رايتـه ... دمّ الجمـاجم بـرق الصـارم الخـذم

وكتب برغبة صاحب[1]:

(يهنَ)[2] الجـزيرة[3] منـك أيُّ حسام ... لـلذبّ دون شـريـعـة الإسـلام
وبجيدها في السلم منك وفي الوغى ... سـلكـان من جـود ومـن إقـدام
خلقـان مـا كـانـا سـواك لقـائـد ... سيب[4] الغمـام وبـطشـة الضـرغـام
أبـرأتهـا بهـمـا وقبـلك أصبـحت ... لـلذعـر وهـي كـثيـرة الأسـقـام
وغـدوت لـلقـوّاد نـاظـر مـقـلة ... وسـنـان خـطيّ وحـدّ حـسـام
ورآك سـيـدُنـا الإمـامُ أحـقَّـهُـمْ ... بـقـيـادة الأعـلام والأعـلام
فـكسـاك مـن خلع الـولايـة حـلة ... جـلت عـن الـسّـوام والأسـوام

---

(1) القصيدة في مدح أبي عبد الله بن صناديد كبير قواد الأندلس في معركة الأرك (الأنيس المطرب 225 البيان المغرب 70/30 - 80 - 223).

(2) كلمة غير واضحة في الأصل.

(3) الجزيرة: الأندلس.

(4) السيب: العطاء.

وحمى بك الثغر القصي ودونه ... شيع الصليب تروم كل مرام

فولجت ما بين الأسنة والظُّبا ... حتى فرجت إليه كل زحام

وغدوت سهماً في نحور ثغورهم ... والأمر قوس والإمام الرّامي

وشننتها كالسيل في عرصاتهم ... والنار تحت الريح فوق ضرام

من كلِّ ذمر[1] حنكته يد الوغى ... فرأيت رأى الكهل سنَّ غلام

يلقى الأسنة حاسراً فيردّها ... متهلل الصفحات كالصمصام

ومعود ألَّا تنام كماته ... حتى يوسدّ هامهم بالهام

ومجدل أقرانه لم تنتقل ... أقدامه إلَّا إلى الإقدام

زمن العدوّ بهم ظلام كلّه ... ليلان ليل دجى وليل قتام

قوت العداة إلى الكماة وإنما ... أغديت أسد الغاب بالأنعام

وملأت أعينهم بهم وقلوبهم ... رعبين في اليقظات والأحلام

فالروم قد ألقت إليك قيادها ... إلقاء إسلام أو استسلام

وتيقنت أن الفناء يعمّها ... بيديك إن لم تنصرف بسلام

فتدرّعوا ثوب الفرار مذلة ... فأسال بهم أقصى دروب الشام

حاكمتهم يوم الجلاد إلى الظُّبا ... وهي التي جارت على الحكام

ورددتهم والموت دون مردهم ... رغماً على الأعقاب وهي دوامي

وسطوت بالأذفنش[2] سطوة واثق ... في أمره بالواحد القيام

(من)[3] شأنه عجب الظهور ولا رأي ... من نفسه حكماً من الأحكام

أفنى الدجنة ساهراً متبرعاً ... في ذبّه عن أعين النوّام

شرك البرية في وظائف برها ... وله مزية ذابل وحسام

لم تبق غير بلاقع منهوبة ... وأرامل تحنو على أيتام

يا ابن الصناديد[4] الألى شهدت لهم ... شيم العلا بتواشج الأرحام

---

(1) الذمر: الشجاع.

(2) الأذفنش: الفونسو الثامن ملك قشتاله وقائدها إلى معركة الأرك الشهيرة.

(3) زيادة عن الأصل.

(4) إشارة إلى أن الممدوح أبو عبد الله بن صناديد.

خفّوا إلى صوت الصريخ تجاهلا ولدى الرّدى هُمْ (مِنْ) أولي الأحلام[1]
وهُمُ هُمُ لكنَّ هذا مصعبٌ[2] يوم الوغى وَهُمُ بنو العوام
لِهُمُ جدالٌ في الجلاد بألسن للبيض آمنةٍ من الأفحام
ونكاية تدع المعارف للعدا في غاية التنكير والإبهام
لله أنت لقد خصصت بفطنة تغني فراستها عن استفهام
ولقد نهجت لمقتفيك طريقة ماسنّها أحد من الأقوام
طالت عهود المسلمين بمثلها فأعدتها في هذه الأيام
سارت بها الركبان عنك نوافحا ترمي بها الآفاق دون ختام
أعملت سيفك جاهداً ومجاهداً في فرقة الأرواح للأجسام
فاليوم ألباب العلوج فليلة للذعر منك كثيرة الأوهام
ورئيسهم قد لفَّ ذعر(ا) رأسه من بعد طول تخمط وعرام
فمتى ترحّل كان أشأم راحل ومتى أقام أقام شرَّ مقام
أطغاه أن طمحت إلى أعلامه أبصار أهل عبادة الأصنام
فسما إلى الإيمان (والطاعات) في ملمومة للكفر والآثام
والعجب أظهر عاصماً ومحله من دون بسطام على بسطام
قاد الصليب بجهله مستنصراً والنصر موقوف على الإسلام
فنجا وكيف نجاة قائد جحفل متمطراً بطمرّة ولجام
وتركت أسآر الرّدى من جنده نحو الجحيم شديدة الأحجام
هذي فتوح خليفة شهدت له بالسّعد بين النقض والإبرام
ولقد تركت على مناهج سعده سيف الهدى في الحلِّ ذا إحرام
مستعبراً متبسماً في حالة والشأن في مستعبر البسّام
وملأت أيدي معتفيك مواهبا فكأن روض الروض غبَّ غمام

---

(1) هذا البيت غير واضح في الأصل، وهو فيه على النحو التالي:

خفوا إلى صوت الضريح تجاهلا ولدى الرّدى هم أولو الأحلام

(2) مصعب بن الزبير بن العوام كان عضد أخيه عبد الله حارب الأمويين بعزيمة صلبة فلما دخلوا العراق خذله قواد جيشه وأصحابه (تاريخ الإسلام للذهبي 108/3 والطبري حوادث سنة 71 وما قبلها).

وقسمت دهرك ليله ونهاره | في ورد ورد بعد سرو صيام
وغرست في الأجياد كل صنيعة | تثني عليك بألسن الأقلام
ونظمت في سلك الفخار مناقبا | حارت لديها فطنة النظام
نثني عليك بحالةٍ ومقالة | والحال ناطقة بغير كلام
كم مشتكٍ خوفاً وعُدْماً أنقذت | كفاك من خوف ومن إعدام
ومؤمل قسماً ولم يظفر به | غادرته بالبر ذا إقسام
أأخا الحيا وابن الحيا وأبا الحيا | وكذا الكريم يكون نجل كرام
أرويت أمالي وهن ظوامىء | ببحار برِّك بي وهنَّ ظوامي
وأنلتني مننا بدأت بشكرها | والعجز قيَّدني عن الإتمام[1]
والحرُّ مثل الجام ما أودعته | أبصرت باطنه بظهر الجام
لا زلت متصل الرئاسة ساعياً | ما بين طاعة خالق وإمام

* * *

وكتب على لسان من رغب إليه في ذلك[2]:

حمل الفؤاد على الهوى وتحمّلا | فأساء لي من بعد ما قد أجملا
واقتاد. أهواء النفوس فما ترى | إلاَّ حجا ماض[3] وعشقاً مقبلا
من كلِّ من يفني الظلام مململا | في حب من (يفني) النَّهار تدللا
ظبي حكى الآس المنضَّد وفرةً | والورد خدا والأقاح مقبّلا
فمتى أراد تنزُّها في روضة | وازى المراة بوجهه وتأملا
وإذا بدا خلت الهلال وإن خطا | خلت القضيب وإن رنا خلت الطلا
في كل عضو منه حسنٌ مفردٌ | ما حلَّ طرف طرفه فترحَّلا
يرمي ويصمي حيث شاء كأنه | في كلِّ جارحة يصادف مقتلا

---

(1) في الأصل: الأتام.
(2) القصيدة في مدح أبي عبد الله بن صناديد (انظر البيتين 72 , 74).
(3) ماض: صفة لحجا ومحلها النصب، وعدل عنه مراعاة للوزن.

فيرى اللقا وهو الحلال[1] محرما ويرى الأسى وهو الحرام محللا
كانت مقاساة الهوى في قربه شهدا فلما صدَّ عادت حنظلا
ما باله والعدل سيمي قدِّه يأبى وقد حكَّمته أن يعدلا
يا أيها الواري عليَّ لأنني أرخصت نفسي في الهوى لما علا
(غيرتني) طول السُّهاد كأنما أنسيت من قبلي الصدود الأطولا[2]
أيدت دمعي بالنحول شهادة لي بالغرام فقال لي لن يقبلا
ورأى ادعائي في المحبة دعوة أنىٰ ولي نسب يبكت داغلا[3]
قل ما تشاء فإنني لك طائع إنَّ المحبَّ بمن يحب لمبتلي
ما حال من سبك الفؤاد مدامعا وأماله وجداً عليك وماسلا
مرهت[4] جفوني مذ صددت وإنما كحل الجفون لدائها كحل الجلا
إني وقد أفنى اصطباري حبَّه أفني الزمان بذكره متعللا
في ذكر من تهوى وفي آثاره أنسٌ ومن عَدِمَ المثال تمثلا
وإذا المحب ألمَّ بالدار التي نزل الحبيب بها أحبَّ المنزلا
لله أيامُ الوصال فإنما كان الزمان بها أغرَّ محجَّلا
(إنْ)[5] نحن لم ينعبْ غرابٌ بيننا نقصي الوشاةَ بنا ونعصي العذّلا
ونديرها حمراء[6] ياقوتية لم تُبْقِ إلاَّ وصفَها أيدي البلا
رقّتْ لطول العهد حتى خِلْتَهَا دمعاً وخلت اللدّن جفناً أكحلا
ما إنْ رأيت ولا سمعتُ لمثلها جسماً يعود وجوده متخيلا
فَضَّ الختام فقلت صفحُ مُذْهَبٌ خَطَّ الحبابُ عليه خطا مُشْكِلا
أهدتْ لنا طَرَفُ الربيع بدائعا أضحى لها وجه الثرى متهلِّلا
قد أنبتتْ في كلِّ سهل روضةً مذ أنبطت في كلِّ حزن جدولا

---

(1) في الأصل: الحال.

(2) كذا، ويبدو أن في البيت تصحيفاً.

(3) الداغل: المفسد. وصحفت في الأصل فجاءت: داغفلاً.

(4) مرهت عينه: خلت من الكحل.

(5) في الأصل: إذا.

(6) في الأصل: حمر.

كست الفجاج غلائلاً من سندس ... تلقى بها الريح البليل تبدلا

والنُّور بين مدنَّرٍ ومدرهم ... حيث التفتّ رأيته ملء الملا

والريح تلعب بالغصون كأنها ... أيد تقلّب في طراد ذُلَّلا

والغيم قد حجب السماء بمطرف ... نسجته كفُّ الريح نسجاً هلهلا[1]

وافي يجر ذيوله متبختراً ... فعل الهَدِيِّ يَسِيرُ سَيْراً مثقلاً

خاف النسيم على تألف شمله ... فاستل من برق عليه منصلا

فكأنه والبرق يخفق فوقه ... كفٌ تُصَرِّفُ في حساب أنملا

حتى إذا استوفى تَكَوّنَ درّه ... ألقاه في حجر الفلا ثم انجلا

فتخاله من رعدة في برقه ... متبسماً حيناً وحيناً معولا

ينحى على صدأ الهباء كأنه ... فيما انتحى للأرض أصبح صيقلا

وكأنه أثراً حبيبٌ خاطب ... وكأنه زهراً عروسٌ تجتلي

نطقت بشكر الغيث فيما أودعت ... نشر النّسيم وما تحرك مقولا

والقضبُ في الوشي المنمق تنثني ... تيهاً محلاة المفارق والطلا

نظمتْ حبابَ الطَلِّ في نورانها ... فكأن إكليل اللُّجين مكلَّلا

قامتْ بها سوق المجون وقلّما ... ألفيتني إلاّ لها متأثلا

فترى الغمام مساقيا، وترى الحما ... م مغنيا، وترى النسيم مولولا

ما حُسْن[2] ذاك الفصل إلاّ أنه ... بالقائد الأعلى يروم تمثلا

بالأوحد الفذّ الذي وسع الورى ... بأساً وجوداً هيبة وتطولا

سيف الإمام ورمحه ومحبه ... والحربُ نار غير أن لا تصطلي

(. .)[3] الرئاسة وهي ما هي خطة ... قطب الجزيرة وهي ما هي منزلا

ظمنت له الذِّكرَ الجميلا معجلا ... جدواهُ والأجرَ الجزيلَ مؤجلا

نِيطَتْ به عُظْمَى الأمور فلم يدعْ ... فيها بحمد الله أمراً مغفلا

وشفى النفوس من العدا في مأزق ... يقتات أرواح الكماة تآكلا

---

(1) هلهلا: الهلهل كالمهلهل من الثياب: سخيف النسج وفي الأصل (نسيجاً مهلهلاً) وقد أخرجته زيادة الميم عن استقامة الوزن.

(2) في الأصل ما أحسن.

(3) بياض في الأصل.

مستوجبٌ شيم العلاءِ وغَيْرُهُ يغدو على أوصافها متطفِّلا
راموا اللحاق به فجاءوا آخرا شدُّوا وأقبل سابقاً متهللا
وإذا كبا[1] في محفل وإذا احتبى أبصرته كاليم جاوز يذبلا
ولرب يوم للمنية فوقه سحب مكفكفة دعافاً مسبلا
طير تحوم على الرؤوس يحثها موتٌ يروم إلى النفوس توصلا
يَذَرُ الكميّ معفراً والسمهر ي مقصفاً والمشرفي مفلّلا
جلّى به الغمرات ليثٌ محذر يحذي رؤوس الدارعين الأرجلا
ومثلثُ شام الحسام بكفِّه والموت يمسح جانبيه فهللا
أمسى ولم تطرقه خيلك ملحداً جهلاً وأصبح مسلماً متبتلا
في موقف أما أسنته فمف طرة وأما أعوجيته فلا
جمع البسالة والندى فقد اغتدى ناراً مضرَّمة وماء سلسلاً
فإذا احتمى كان الغضنفر صولة وإذا انتمى كان المعمّ المخولا
أدى فرائض جوده مبرورة ثم استدام أداءه متنفلا
يلقي الكمي إذا تقدم رامحاً ويحيد عنه إذا تأخر أعزلا
متصرف في الحرب كيف تصرفت متنقل بالجود حيث تنقلا
سلْ عنه عُبَّاد الصليب تسلْ به غرض المذلة موثقاً ومجدلا
لا يرفعون إلى منادٍ ناظرا ذُلّاً ولا يلفون خوفاً معقلا
ما أسلموا أوطانهم حتى رأوا ضرب الطُّلي عطفاً على طعن الكلي
خضعوا له فاسترجعوا أرماقهم منه ومن وجد القبول تنصَّلا
يا ابن الصناديد الذين عليهم وقفت نهايات النهي وحلا العلا
من كلِّ وضاح الجبين تخاله في هفوة الهيجاء عصباً مفصلا
لك يا أبا عبد الإله مناقبٌ تُرضي الإلهك والنبي المرسلا
وكَّلت بالأعداء قلباً لم يزل مستسلماً في أمره متوكلا
فتركتَ مجهل كلَّ فضل معلماً وتركت معلم كل جهل مجهلا
فشجاعةٌ كانت وراءك معقلا ومهابةٌ صارت وراءك جحفلاً
يا قائد الأُسدِ الغضاب وشبَّهت بالأُسد لمّا كنت فيه الأولا

(1) كبا: كتم الربو وهو النفس العالي.

يهنيك إن لم تبق روعاً في حشى ... يُعْزَى إليك ولا محلا ممحلا
بهرت معاليك العراق ففارساً ... فالشام فالفسطاط ثم الموصلا
قل للذي (. . .)[1] الحديث عن النـ ... ـدى رفقاً فلستُ أرى الحديث المرسلا
هاك السّماح عن العيان وخلِّ ما ... نسب السَّماعُ بذكره فيما خلا
وإليكها يا ابن الكرام لوافد ... لم يرض غيرك للوفادة منزلا
يثني بما آليت قبلُ بمقول ... أرويته براً فصاغ قرنفلا
حيًّا على شحط المزار وليته ... كان القصيد فنال ما قد أمَّلا
حسب المخيّم في ذُرَاك فضيلةً ... وكفاه فخراً مجتلى تلك الحلى
(أ) عيت حبيباً[2] والوليد[4] وقبله ... أعيت جريراً[4] والبعيث[5] وجندلا[6]
أمَّلت بسطاً في الثناءِ وغايتي ... أن أنشر الأمداحِ نشراً مجملا
لا زلتَ في برٍّ وقَدْرٍ معتل ... متملئاً سعداً وجدًّا مقبلا
ما أمَّ أرضك رائحاً ومبكرا ... متقلل فرجعته متمولا
ونقلت فضلك حيث يخلد نقله ... بالوعي فاتصل الحديث مسلسلا

* * *

وكتب برغبة إنسان:

أهلاً بغرتك السعيدهْ ... وبقرب غزوتك البعيدهْ
وبما خُصِصْتَ به من الشـ ... ـيم الطريفة والتليدة
يا ابن الإمامة والخلـ ... ـيفة[7] نسبة الشرف المجيدة

---

(1) نقص يمكن استكماله بكلمة (رام).

(2) هو حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام (231 هـ).

(3) هو الوليد بن حبيب البحتري (284 هـ).

(4) هو جرير بن عطية الخطفي أحد شعراء النقائض المشاهير (110 هـ).

(5) هو خداش بن بشر الجاشعي أطول الشعراء أمداً في هجاء جرير (134 هـ) (البيان والتبيين) 99/1 ارشاد الأديب 173/4 والشعر والشعراء 195).

(6) هو جندل بن المثنى الطهوي (حوالي 90 هـ) شاعر من تميم اشتهر بهجائه للراعي وبرجزة (سمط اللآل 644 وأعلام الزركلي).

(7) كلمة الخلافة هنا أفضل مع استقامة الوزن في وضعه الحالي.

وأخا الندى والبأس والـ ... ـمنن العريضة والمديدة
لك في الجهاد مزية ... قامت بها نفس جليده
ونكايةٌ ذَلَّ العدوُّ ... لها وَوَطْأَتُهُ شديده
قدَّمت بين يديك قبـ ... ـل الغزو آراء سديده
وأزرت أفريقية[1] قِطَعاً ... قطعتَ بها وريده
وتركته مترقباً ... بأساً (لـ) كرتك المبيده
صاد الكماة مختالا ... والسعد يقضي أن تصيده
ولكم أعد مكيدة ... لكم فلم تغن المكيده
قد ذاق حطمة عزمه ... بدأت وسوف ترى معيده
آثار من هجر الحفا ... ظ قصوره أنفا وغيده
ورأى عن القعدي[2] عن ... حرِّ الوغى سيمى القعيدة
يا ضيغم الحرب الذي ... صار الهزبر له طريده
أحييت تونس بعد ما ... أودتْ بها محنٌ عتيدة
ومحوت إذ كلب العد ... وُّ بصدق وعدكُمُ وعيده
وتركتها كالروض (...)[3] ... بجود راحتك المجيده
يثني عليك مسوَّمٌ ... بِدَمِ العُلا حَلَّيْتَ جيده
ومقومٌ لدنُ المهزِّ ... وصارمٌ صافي الحديده
وغدت رسوم الدين بعد ... دروسها بكم مشيده
(أ)[4] نفقت من سوق التُّقى ... فكأنها بك مستفيدة

---

(1) لعلها إشارة إلى حركة الناصر إلى بلاد أفريقية سنة 599 وقضائه الفتنة المشتعلة بجهاتها (البيان المغرب 242/3) وهي أحداث داخلية لا ذكر فيها للنصارى، وربما كانت الإشارة إلى هزيمة الموحدين للميارقة في شمال أفريقيا، والقصيدة في مدح الأمير أبي العلاء المأمون (انظر البيت 3 و 6).

(2) ورأى على القعدي: (كذا) وأظنها: وروى عن القعدي، والقعدي: عمران بن حطان الذي كان يقول بالقعود عكس قطري بن الفجاءة الذي يكفر القعدة، وفي شعر أبي نواس إشارة تقول:

فكأني وما أزين منها ... قعدي يزين التحكيما

(3) كلمة غير واضحة في الأصل.

(4) زيادة عن الأصل.

واختالتْ الدنيا بكم ... تيهاً فها هي كالخريده
وغدوتَ في دست العلوم ... ولا عميد له عميده
ونشرت ما بين الخليل[1] ... من الأئمة وابن سيده[2]
شيّدت أرجاء العلاءِ ... أبا العلا وعمرت بيده
الملك ناس ذكره مَأْمُو ... نَهُ بك بل رشيده
أنى يعيد وأنت أنت ... (ملوكه ويعد صيده[3])
وإذا أردت من الخليـ ... ـفة لمحة فانظر حفيده
ملك له طُغْمَانِ للـ ... ـفئة المحبة والعنيده
هو للمسالم شهدةٌ ... وعلى الأعادي كالهبيدة[4]
وُجدتْ به شيمُ السيادة ... بعد أن كانت فقيده
يهنا الأكارم أن غدا ... ملكاً لهم وَغَدوْا عبيده
وإليك يا نجل الإمام ... وشبهه مني قصيده
إنشاء مجبول الضمير ... على محبتك الوكيده
داع لملكك بالدوا ... م وحظه أن يستزيده
أنا واحد في نشر ما ... تطوي سيادتُك الوحيده
قد صار شكركم لديّ ... سجيةً لا بل عقيده
يبلي الزمان وأهله ... ومحبتي أبداً جديده
وافى البشير بقربكم ... فسجدتُ مراتٍ عديده
ووهبته نفسي ومن ... حق البشارة أن أزيده
فَلْيَهْنَكَ العيدُ السعيد ... ويهنَهُ أنْ كنت عيده
واخلدْ لملك لا تزا ... ل فريد بهجته الفريده
والسعد ينشد دائباً ... أهلاً بغرتك السعيده

---

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي أحد المشاهير من أئمة اللغة وواضع علم العروض (170 هـ).

(2) ابن سيده: هو علي بن إسماعيل (458 هـ) صاحب المخصص والمحكم (بغية الملتمس 405، ووفيات الأعيان 342/1 وأنباه الرواة 225/2.

(3) هكذا جاء رسم البيت، ولم أتبين وجه الصواب في تصحيحه.

(4) الهبيد: الحنظل وهو ثمرة شديدة المرارة.

حضرة السيد الأرفع الأجل، وعلم العقد في هذا العصر والحل، وتارك العدو محامياً بالحد[1] الأفل، آوياً إلى العدد[2] الأقل، ذي الشيم الجميلة والمنن الجزيلة، والهمة السامية إلى نيل كلّ منقبة وإحراز كلّ فضيلة ، أعلى الله يده وعضدها، وأقام بعدله ميل المكارم وأودها، وأمتع ببقائه الكّافة، فقد استرقها بالإحسان واستعبدها.

عبد حضرته السامية، وشاكر أياديه الهامية، المنطوي على كبد إلى تقبيل كفه العالية ظامية، فلان، أما بعد:

فكتبته، كتب الله للحضرة العلية أسنى المواهب، وأربى الفتح الآتي على الفتح الذاهب ، ولا أعدمها بتحمله عذب الغنى ونواصي السّلاهب[3].

ولا جديد بعد الاعتراف بمنن الله سبحانه، واللُّطف الذي لا أزال آوي ظاهراً وباطناً مكانه، إلاّ ما أنا عليه من برّ ذلكم الجناب الأرفع، وشكر إحسانه الأنجع الأنفع، والقول بكماله الجائز أمديْ المرأى والمسمع، فهو حضرة كمال، وقبلة آمال، وجاه ومال، (54 ب) لمن ليس بذي جاه ولا مال، أقامها الله للفقراء علماً يقصدونه، ويمحون بأنس رؤيته الوحشة المعترضة دونه، ما جيادهم حالية بنداها، وخواطرهم على كثرتها لا تتعداها، ولها من دعواتهم الخالصة الحظ الأجزل، والقسم الذي يحل محل البداية وينزل، ذلك لنسبة التقوى التي اكتسبها، ومجاهداته التي أخلصها لله تعالى واحتسبها، وانجذابه بطبعه الفاضل إلى ممازحة الفقراء، وسموّه بهمته عن ملك الأرض إلى ملكوت السماء.

والله تعالى يمتع علاه بحلاه، ويجمع له خيراً أجزاه وأولاه، وما أحقه بهذا الدعاء وأمثاله وما أولاه.

ولما يسر الله تعالى وجهتكم السعيدة، وغزوتكم التي تركت الجهات الأفريقية غضة جديدة، وحرّكتكم بواعث الإشفاق والدين يجبر أهلها

---

(1) في الأصل: بالجد.

(2) في الأصل: العد.

(3) السلاهب: من الخيل ما عظمت وطالت عظامها.

المضطهدين لم يزل العبد باسطاً يد الدعاء، مستشفعاً بمن يرجّي كونه من الشفعاء، مستديماً للحضرة العلية دوام العلاء والبقاء، والإمتاع بما قام به مقام الاتقاء، مستوهباً له الأولية بمسار الأولياء ومساءات الأعداء، مستفهماً جواب التنائف وركاب اللجّ المتقاذف، سائلاً سؤال المشفق الخائف، متنسماً نسيم الأياب، متململاً لحرق الغيبة والأغباب.

إلى أن وافى[1] البشير، والأكف إليه تشير، فأهدى إلى النفس شفاهاً، وقد قاربت أشفاها، وأورد عليها من المسرة [ما] كفاها، وقد شارفت انكفاها.

فالحمد لله على نعمة، وأيّ نعمة، وخروج إلى فسحة من غمّة، وسلامة ملك تملكه البأس والجود، ونور طابق معناه منه حس هذا الوجود.

وأما العبد خصوصاً فلو يستطيع لطار، وفارق هذه الأقطار، فبقاؤه ولا يقبّل الكفَّ العليا من مصائب الدُّنيا، وهو ينتظر حالاً تسعده، وأقداراً تعتلق بها يده، فيصل التأويب بالسُّرى، ويؤم حضرة الملك الأسنى الأسرى، فيرى الفضائل مجموعة شخصاً، ويسمع منقولات المحامد نصاً، ويظفر بمقام يزيد مرآه البصيرة صقلاً، ويكسبها تدرجاً في مراقي السلوك (55 أ) وانتقالا، ويحط عن ظهره من ألم الغيبة عن تلك الحضرة أعباء ثقالا.

والله تعالى يبقي السيد الأجل في منح تتّسق دررها، ومعال تأتلق غررها، ولا يعدمها سعادة تكون على النجم موردها، وإلى الفتح مصدرها.. بمنه.

* * *

وكتب بسؤال سائل:

علاؤك مضمون وسعدك واضح	وسعيك للدُّنيا وللدِّين ناجح
مغالق أبواب الفتوح كثيرة	وفي كفِّك العليا لهنَّ مفاتح

---

(1) في الأصل: وفى.

لـــذلــك دوَّخت البـــلاد فـطرفهـــا[1] جميعـاً إلى أعـلام سعـدك طـامـح

وأبــرأت أدواء الجـزائـــر بعـدمـــا[2] ألمّ بهـــا خـطـب مـن الشـــرِّ فـــادح

ألا قــل لأربـاب الـــردى بمـيـــرقــة فــربتمـا أودى النصيحــة نـــاصــح

ردوا مشـــرع الأمـر العـــزيـز فـــإنــه إلى الرشد داع (أ) وإلى الغي صافح

* * *

وأصبحت الأمثــال مضـــروبـــة بــــه سماحا إذا أعطى وبأساً إذا أبلى[3]

لـــك الشيمـة الغـراء غيـر مشـــارك إلى الهمـة العليا إلى السيـرة المثلى

وفيـك من المنصـور شتى محـــاسن تـــأملتهـــا حســـاً وحققتـهـــا عقـــلا

ومـا غـاب من أحييت بـالشبـه ذكـره ولم يفقد الضرغـام من وجد الشبـلا

تـنـقـلت مـن قـصـــر لآخـــر دونــه فـــأكسبتـه لمـــا حللت بـه الفضـــلا

فهـــذا كمـا جَـرَّت عـروس حُلِيَّهـــا وذاك كمـا اجتـابت معـاوزهـا ثكـلا

هنيئــاً لـــربـــع أنت كـــوكب أفـقــه وأهــل لقصـر قـد غـدوت لـــه أهـلا

فمـا أنت إلاَّ الروح أعضـاؤه الـورى يصـرفهـا رأسـاً متى شـاء أو رجـــلا

لئن حفـك القصَّـاد شـرقـاً ومغـــربــا وبـاتوا إلى جـدواك قد ملؤوا السُّبلا

فمـــا ذاك إلاَّ أن بشـــرك لـــم يحـــل قطوباً وذاك الجـود لم يستحلْ بخـلا

بقيتَ بقـاءَ الـدهـــر لا تبـرح العـــلا ولا تسـأم التقـوي ولا تفقـد الفضـلا

ومجـــدك عـــال (لا يخط ولا يـمي) وسعـــدك غضٌ لا يبيـــد ولا يبـلى[4]

* * *

---

(1) في الأصل: طرقها.

(2) احتل بنو غانية أصحاب ميورقة بعضاً من الشمال الأفريقي سنة 580 هـ ومنها الجزائر واستردها أبو يعقوب المنصور سنة 581 ثم تلت ذلك أحداث في عهد الناصر استولى فيها الموحدون على جزائر الأندلس الشرقية ذاتها، ويبدو أن الناصر هو المعني في البيتين الثالث والرابع من القطعة الثانية ولكن المراد بالجزائر هنا يحتاج إلى مزيد من الكشف. (راجع الفصل الخامس من دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عنان 250/3 وما بعدها).

(3) استأنف بهذا البيت أبياتاً من قصيدة أخرى في المدح.

(4) ينتهي إلى هنا ما للفازازي في الأصل وقد تلته نصوص نثرية بأسلوب مغاير وخط وموضوع مختلفين، إذ الأصل مجموع يحتوي على ثلاثة كتب، ولكن التعقيبة الواقعة في آخر صفحة من آثار الفازازي تدل على أن لنصوصه بقية مفقودة.

الملاحق

أولاً : الشعر :

الألف المقصورة

(خير العالمين)

وقال من اللزومي :

أصخ فلخير العالمين مناقب … تدل على التمكين والشرف الأسري

أتى والورى أسرى فكان غياثهم … بنور سماء ينقلون عن الإسرا

وعفَّى رسوم الكافرين وأهلها … فلا قيصر من بعد ذاك ولا كسرى

تقدم كلَّ العالمين إلى مدى … تظل به الأوهام طالعة حسرى

وخُصَّ بتشريف على الناس كلهم … ومن لم يقلْ هذا تقوَّله قسراً

ترقى إلى السبع الطباق ترقِّياً … حقيقاً ولم يعبر سفيناً ولا جسرا

وبالجسم أسرى الله وهو دلالة … يمحلّها من لا ييسّر لليسرى

فسبحان من أسرى إليه بعبده … وبورك في الساري وبورك في المسرى

وكم عجب أوحى إلى عبده به … فدونك تجميلا ولا تطلب الفسرا[1]

* * *

---

(1) النفح 508/7، وصواب قوله (تجميلا) : اجمالا .

الهمزة

(خير الأنبياء)[1]

إذا أمّلت من مولاك قرباً ... فجدِّدْ ذكر خير الأنبياء
وصلِّ عليه أول كلّ قول ... وآخره بصبح والمساء
فإن محمداً أعلى البرايا ... محلًّا في السيادة والعلاء
لواء الحمد في يمني يديه ... وكلُّ الناس من دون اللواء
فحدِّث عن دلائله ففيها ... شفاء للنُّهى من كلِّ داء
ولست بناقل للعشر منها ... وهل تفنى الزواخر بالدلاء
فقل للسامعين قفوا فهذا ... محال ليس يحصر بانتهاء
براهين البسيطة ليس تحصى ... فدونكُمُ براهين السماء

(الصباح الهاشمي)[2]

أما يمين محمد ... ويساره فهما سماء
كلتاهما إن صوّح الـ ... ـمرعى لنا طعم وماء
وإذا أضرَّ بنا السقا ... م وغيره فهما شفاء
فاعجب لكف في الورى ... فيها عن المزن اكتفاء
فاقطع بأن محمداً ... في الخلق ليس له كفاء
فإذا أصخت لآية ... فالنور فيها والضياء
هذا الصباح الهاشمـ ... ـيُّ بدا فليس به خفاء
فالأرض قد فتحت بمبـ ... ـعثه وفتِّحت السماء
سبق القضاء بسبقه ... والله يفعل ما يشاء

* * *

(1) النفح 509/7.
(2) النفح 509/7.

حرف الباء

(الفلاسفة)[1]

عجبـا لمن تـرك الحقيقـة جـانبـاً — وغـدا لأربـاب الصـواب مجـانبـا
وابتـاع بـالحق المصحح حـاضـرا — مـا شـاء لـلزور المعلل غـائبـا
من بعـد مـا قـد صـار أنفـذ أسهمـا — وأشـدَّ عـاديـة وأمضى قـاضبـا
لا تَخْـدَعَنْـكَ سـوابق من سـابق — حتى تـرى الاحضـار[2] منه عـواقبـا
فلربمـا اشتـد الخيـال وعـاقـه — دون الصـواب هـوى وأصبح غـالبـا
ولَكَمْ إمـام قـد أضـر بفـهـمـه — كتب تـعبّ مـن الضـلال كـتـائبـا
فـاقـذف بـأفـلاطـون أو رسـطالس — وذويهمـا تـسلك طـريـقـاً لاحبـا
ودع الفـلاسفـة الـذميم جميعهـم — ومقـالهـم تـأتي الأحـق الـواجبـا
يـا طـالب البـرهـان في أوضـاعهم — أعـزز عليَّ بـأن تعمـر جـانبـا[3]
أعـرضت عن شط النجـاة ملججـا — في بحر هلك ليس ينجي عاطبا[4]
فصفـا الـدليـل فمـا نفعت بصفـوه — حتى جعلت له (التحير)[5] شـائبـا
فـانـظر بعقلك هـل تـرى متفلسفـاً — فـيـمـن تـرى إلا دعـيًّـا كـاذبـا
أعـيتـه أعـبـاء الشـريـعـة شـدةً — فـارتـدَّ مسلوبـاً ويحسب سـالبـا
والله أسـألُ عـصـمـة وكـفـايـة — من أن أكـون عن المحجـة نـاكبـا

---

(1) الاحاطة 521/3.

(2) في الأعلام : الاحصار.

(3) في الأعلام : اعزز عليَّ بأن تعمم خائباً.

(4) في الاعلام: عاتبا.

(5) كلمة غير واضحة في الأصل قرأها محقق الإحاطة (الحبر) ووردت في مخطوطة الزيتونة (اللجى) وقرأها محقق الأعلام بمن حل بمراكش: (الخير) ولا يستقيم بذلك الوزن ولا المعنى، ولعلها (التحير) كما أثبتها من خلال الجمع بين الصور الممكنة لقراءتها، ورسمها، إذ اللام الثانية في نسخة الزيتونة هي التاء المفقودة في نسخة الاسكريال ولم يبق من دليل عليها سوى نقطة جعلت من رآها يظنها للحاء فقرأها خاء.

(مناجاة)[1]

إليك مددت الكفّ في كل شدة ... ومنك وجدت اللطف في كل نائب
وأنت ملاذ والأنام بمعزل ... وهل مستحيل في الرَّجاء (كواجب)[2]
فحقِّق رجائي فيك يا ربّ واكفني ... شمات عدوّ أو إساءة صاحب
ومن أين أخشى من عدو أساءة ... وسترك ضاف من جميع الجوانب
وكم كربةٍ نجيّتني من غِمارها ... وكانت شجا بين الحشا والتّرايب
فلا قوةٌ عندي ولا لي حيلة ... سوى حسن ظني بالجميل المواهب
فيا منجي المضطر عند دعائه ... أغثني فقد سدَّت عليَّ مذاهبي
رجاؤك رأسُ المالِ عندي وربحُهُ ... وزهدي في المخلوقِ أسنى المواهب
إذا عجزوا عن نفعهم في نفوسهم ... فتأميلهم بعض الظُّنون الكواذب
فيا محسناً فيما مضى أنت قادر ... على اللُّطف في حالي وحسن العواقب
وإني لأرجو منك ما أنت أهله ... وإن كنت خطّاءً كثيرَ المعائب
فصلِّ على المختار من آل هاشم ... إمام الورى عند اشتداد النوائب

* * *

(الطعن والضرب[3])

الطعن والضرب منسوبان للعرب ... بالسمهرية والهندية القضب
والحرب تبعث منها كلَّ معترك ... حفائظاً تترك الأعداءَ في حرب
حازوا الوفاء إلى الأقدام وانتسبوا ... إلى خلال المعالي كلِّ منتسب
تجشمت جشمٌ نصر المعد لها ... أسنى الجوائز من مال ومن نشب
وجاءت الخلط المشكور مقدمها ... كالأسد تبدو عليها سَوْرَةُ الغضب

(1) الاحاطة 522/3 والأعلام 85/8.
(2) في الاحاطة كرائب ولا معنى لذلك، والتصحيح عن الأعلام.
(3) الذيل والتكملة 290/6 - 291 ـ والبيان المغرب 280/3 المغرب 117/1 والنفح 119/2 والقدح المعلى ص 203.

خَفُّوا إلى نصر حزب الله واحتفلوا في عسكر صخب أو جحفل لَجِبِ
كتائبٌ ضاقتْ الأرضُ الفضاءُ بها في ظلّ ألويةٍ منشورةِ العذب
فمن صوارمَ مثل النّار في صعد ومن سوابقَ مثلِ الماءِ في صبب
بحرٌ على البرِّ مرتجٌّ غواربُهُ من فوقه قِطَعُ الراياتِ كالسُّحُب
شواهدٌ صدقتْ فيهم مخايِلُهَا بما لهم من صميم الدِّين والحَسَبِ
تَذَكَّرُوا مِنَنَ المنصور فاعترفوا لنجْلِهِ بعد كَرَّاتٍ من الحقب
والفضلُ يبدو على الأحرار رونقُهُ وليس يخفى على الباقي من العقب
أما هلال فقد أوفى بذمته وفاء راع لحقّ الدين والأدب
رأى الخلافة حلّتْ غير موضعها فأدركته عليها غيرةُ العرب
وقال لاسِلم حتى يُستقاد لها من ظُلْمِ مستلبٍ أو جور مغتصب
وسلم الأمر للأولى الأحق به بالرُّغم من أنف أهل الغدر والكذب
وافت مصرِّحةً بالودِّ بيعته طليعة بجزيل النصر والغلب
جمعا لفضلين يلقي الحسنيين به نصر الكتائب في الهيجاء والكتب
صبراً أبا النجم صبراً إنها قُحَمٌ[1] تُجلى وتمحى بفضل الله عن كثب
ودم على حالةٍ تجني عواقبها أذكى من المسك في أحلى من الضَّرب
وعندنا لك إيثار ومرتبة تنحطُّ عنها مزايا ساير الرتب
وسوف تلقى بعون الله مأثرة تحظى براحتها من ذلك التعب

* * *

(التباريح)[2]

صرّحت بالحب إذ لم يجد تلميح وبرحت بي لا غرو التباريح
وما ترجمت أفراحي لغيركم إلا انثنيت وللترجيح تجريح
يا نازحين وفي الأحشاء بعدهم طال النزوح فدمع العين مطروح

(1) ـ قحم: جمع قحمة وهي المهلكة أو القحط أو الليالي غير المقمرة من الشهر.
(2) الأبيات في الإعلام بمن حلّ مراكش 87/8 وبعدها ما يفيد نقلها من الاحاطة، على أنها ساقطة من النسخة المطبوعة بتحقيق عبد الله عنان.

لا تطلبوا الأذن من أذن على خلد ... فباب قلبي لمن يهواه مفتوح
لم أصغ فيكم إلى لوم ولا عذل ... سيّان عندي ذاك العذلُ والريح
يا لائمي في أنين لي به فرج ... مهلاً فإن أنين الحب تسبيح
إذا رأيت دموع العين هامية ... فلا تشكنّ أن القلب مجروح
وإن أغرب شيء أنت سامعه ... جسم ينعم في تعذيبه الروح
وسائل ضقتُ ذرعاً أن أجاوبه ... وقد ينوب عن التصريح تلميح
(يقوم عمَّ وفيمَ القلب مختبل)[1] ... والعقل معتقل والدمع مسفوح
قلب به أسطر الأشواق مدمجة ... ولوحه قاصر عن عرضه اللوح
فقلت يمنعني من أن أبوح به ... قول المنزه قدوس وسبوح

(في شكر الله على غيث بعد قحط[2])

نِعَمُ الإله بشكره تستقيد ... فالله يشكر في النوال ويُحمد
مُدَّتْ إليه أكفُنَا محتاجةً ... فأنالها من جوده ما تعهد
وأغاثنا بغمائم وكَّافة ... بالبِشْرِ تُبْرِقُ والبشائر[3] تُرعد
حملت إلى ظمأ البسيطة ريَّهُ ... ويد الغمام على الثرى لا تجحد[4]
فالجو بـرّاق الشُّعاع مفضض ... والماء فياض الأتيّ معسجد[5]
والأرض في حلي الربيع كأنما[6] ... نطف السحائب لؤلؤ وزبرجد
والروض مطلول الخمائل باسم ... والقضب ناعمة المعاطف ميّد[7]

---

(1) في الأصْل (عمم وقيم) ولا يتضح منهما مراد الشاعر لما فيهما من تصحيف ظاهر.

(2) وردت القصيدة في رحلة ابن رشيد 2 ص 254 وتمامها في الهامش رقم 489، ومعظمها في الاحاطة 3/519 - 520 والأعلام بمن حل مراكش 8/85 وبعضها في النفح 4/122 وفي السحر والشعر لابن الخطيب/ 226 وروضة التعريف 1/263.

(3) في الرحلة: السعادة.

(4) في الاحاطة: فلها عليه منّة لا تجحد.

(5) في الاحاطة: والماء فياض الأثير معسجد.

(6) في الاحاطة: والأرض في حلها الآتي كأنما.

(7) في الاحاطة: والقضب لينة الحمايل ميَّد.

مَجَّتْ بقايا الريَّ في نوارها ... فكأنما هي جوهر متبدد[1]
تاهت عقول الناس في حركاتها ... ألسكرها أو شكرها تتأود[2]
فيقول أرباب البطالة تنثني ... ويقول أرباب الحقيقة تسجد
وإذا اهتديت إلى الصواب فإنها ... في حق خالقها تقوم وتقعد
هذا هو الفضل الذي لا ينقضي ... هذا هو الجود الذي لا ينفذ
أحضر فؤادك للقيام بشكره ... إن كنت تعلم قدر ما تتقلد
وانفض يديك من العباد فكلُّهم ... عجزاً يحل وأنت جهلاً تعقد
فهم وأنت عبيد مولى واحد ... فدع العبيد فليس إلَّا السيد[3]
وإذا افتقرت إلى سواه فإنما ... ألوى بخاطرك الطريق الأبعد[4]
نِعَمُ الإله كما تُشاهِدُ جمةٌ ... والغائبات أجلُّ مما تشهد
فانظر إلى آثار رحمته التي ... لا يُمْتَرَى فيها ولا يتردد
يا ليت شعري والدليل مبلغ ... من أي وجه يستريب الملحد
من ذا الذي يرتاب أن إلهه ... فردٌ وألسنة الجماد توحِّد
كلٌ يصرِّحُ حالُهُ ومقالُهُ ... أن ليس إلَّا الله رب يعبد

* * *

(في صبي[5])

قال ابن الحاج النميري:

(ولأبي زيد الفازازي وقد خرج من الحمام وقدم صبي رضي الوجه، وكانت عادته إذا خرج منه أن يُرَشَّ بماء الورد، فلما قدم الصبي أمسك

(1) البيت غير وارد في سوى رحلة ابن رشيد من المصادر.
(2) في الاحاطة: ألشكرها أم سكرها تتأود.
(3) لا يوجد في غير الرحلة.
(4) في الاحاطة: (الذي بخاطرك المجال الأبعد) وفيه تصحيف ظاهر، وفي الأعلام (أودي بخاطرك) وهو أولى.
(5) مذكرات ابن الحاج 28/2 ب.

الحمامي عن الرش فأنشد مرتجلاً:

رُشُّوا بماءِ الورد ضيفاً لنا ظبياً أنار الحسنُ من خده
فقلت وقد رشَّ به وجهه قد رجع الماء إلى ورده

* * *

حرف الراء

(في الملحدين[1])

قَبَحَ[2] الإلهُ الملحدين فإنهم جحدوا الضروره
والمعجزات تواترت عن أحمد في كلِّ صوره
والله أعلى كعبه في خلقه وأتمَّ نوره
كثر الطعام مع الشرا ب بكفه عند الضروره
وتكنَّفته عناية من ربه أعلت أموره
نادى البرية فالقلو ب إلى إجابته قصوره
وحمى الشريعة بالدليـ ل فدع معاندها وزوره
قل للمشكِّك حين يبـ دي في تشكُّكِهِ قصوره
بيني وبينكمُ الكتا ب فدونكم فأتوا بسوره

(الأدب في حضرة المصطفى)[3]

تأدب إذا ذكر المصطفى بصمت اللسان وغضِّ البصر
فإنَّ التأدب عند السماع يفهّم في النطق أو في النظر

---

(1) النفح 511/7.

(2) قبحه: بدون تضعيف العين من باب قطع بمعنى نحاه عن الخير.

(3) النفح 511/7.

ورِدّدْ (أحــاديــثــه)[1] إنــهـــا / دليــل على صــدق خيــر البشــر
وصــلِّ عــليــه هــدى ذكــره / فــذلــك أفــضــل مــا يُــدَّخـــر
ولا تــســتــرب فــي بــراهــيــنــه / فــتــســلك مــســلك قــوم أخــر
فــكــم آيــة ظــهــرت لــلــنــبــيّ / وكــم أثــر عــنــده قــد ظــهــر
ومــن شــكَّ في نــور بــرهــانــه / عــلى أنَّ بــرهــانــه قــد بــهــر
فــكــبِّر عــلى عــقــله أربــعــاً / وقــلْ فــوق طــورك هــذا الــخبــر

* * *

حرف السين

(في سيد الناس)[2]

يـا ذا المعنيّ بهـذا الـذكـر تسمعُـهُ / في المـدح تـأثـره في سيـد النـاس
هــذا الـنبـي، ومن آيــات أثــرتــه / في الطيِّب والطوّل لا تجري بمقياس
قـد انقضت معجـزاتُ الغيبِ وافيــةً / صحيحـة بـاستفـاضـات وإحســاس
وهـاك نـوعـاً من الإعجـاز منتــزهـاً / عن نقد منتقد أو صفح[3] قرطاس
لا تعــدم النقـل عن آثـار سيــدنــا / فــإنمــا نحن فيـهــا بيـن أعــراس
تـنقّــل الأنـف في الـنُّــوار ينشقــه / مـن يــاسـميـن إلـى ورد إلـى آس
إنَّ القلوب إذا اعتلت خــواطــرهـــا / فـذكـر أحمـد فيهـا المبـرىء الآسي

* * *

(ـ وكتب متشفعاً ـ[4])

لا بــد لــلمــعــتــلّ مــن آســي / والــنــاس فــي دنــيــاك بــالــنَّــاس

---

(1) في النفح أحاديثها ولا وجه لذلك.
(2) النفح 511/7.
(3) كذا: ولعلها صحف.
(4) لمح السحر ص 36.

وحــامــل الــرقــعــة ذو حــاجــة ... قــضــاؤهــا مــا فــيــه مــن بــاس
فــاشفــع لــه تؤجــر وإن لم تجــدْ ... فــســلِّه إن شئــت أو واس

* * *

(ـ مياس العواطف ـ)[1]

وأدورَ ميَّاسِ العواطف[2] أصبحت ... محاسنه في الناس كالنَّوع في الجنس
يـديـر على القــرطـاس أنمــل كفـه ... فيدرك أخفى الخطِّ في أيسر اللمس
فقــال فـريق سحـر بــابــلٍ عنـده ... وقــال فــريق ليس هــذا من الإِنس
فقلت لهم لم تفـهمــوا ســرَّ دركــه ... على أنــه للعقـل أجلى من الشَّمس
فتى كفــه جب القلوب فـأصبحـت ... مــداركهــا أجفــان أنـمله الـخمس

ـ العين ـ

(المعجزة)

هــاك عن هــذا النبي المصــطفى ... خــبــراً يـقـبــله مــن ســمــعــه
سبّحـت صمُّ الـحصى في كَفِّــه ... ثــم فـي كــفِّ الـهــداة الأربــعــه
وإذا أبــدى نــبــيٌّ عــبــرة ... فـهــو لا يـنـكـر فـيـمـن تـبـعــه
أي نــطق قــد روى إعــجــازه ... عــن سمــاع كــل مـن كــان معــه
حجــج الــرســل التي قــد سلفت ... أصـبـحـت في أحــمــد مجـتـمـعــه
فــاعتقــد صحتهــا واعمــل بـهــا ... فــدعــاوى ضــدهــا مــنـقــطعــه
ممكنــات العقــل لا يجحــدهــا ... غيــر أهــل الــطبــع والمبتــدعــه[3]

* * *

---

(1) الاحاطة 522/3 والأعلام بمن حل بمراكش 87/8.
(2) في الاعلام:المعاطف.
(3) النفح 509/7.

(أسير الخطايا[1])

أسير الخطايا عند بابك واقف ... يروم جوازاً وهو في النقد زائف
له كل يوم توبة ثم حوبة ... متى عنّ ذكر أو متى مسّ طائف
تبهرج بعد الأربعين وإنها ... لغاية ما يجري إليه المخالف
فيرنو بطرف القلب إن لاح بارق ... ويصغي بسمع القلب إن صاح هاتف
يعلّل بالتسويف وهو مغلط ... تحوم بمعناه النفوس الضعائف
وإني لأدري موضع الطب في الهوى ... وأهواه لكن أين نفسٌ تساعف
وكيف أرجّي من هواي إفاقة ... وما القلب خفاق ولا الدمع ذارف
أراقب والأصرار دأبيَ توبةً ... وهيهات لا يُجْنَى من الصّاب ناطف
إذا لم يكن عقلي عن الغي زاجراً ... فماذا الذي تجدي عليَّ المعارف
تصرُّفه نفسي كما لا أحبه ... وليس لها من حجة العقل صارف
فيا رب قد أوديتُ إلا عُلالة ... لها تالد من حسن ظني وطارف
وقد تُهلك البطالَ أولى ذنوبه ... وتنقذه بالأخريات اللطائف
وإني لأرجو منك رحمى قريبة ... على أنني من سوء فعلي خائف[2]

(ذهب الكرام)

ذهب الكرام فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق[3]

* * *

---

(1) الذيل والتكملة 548/1.

(2) راجع المصدر السابق وفيه بقية ص 549 برواية الرعيني :

أسير الخطايا والمآثم واقف ... ببابك يخشى وزنه وهو زائف
فيرنو بطرف القلب إن لاح بارق ... ويصغي بسمع النفس إن ناح هاتف
صبا ومشيب ليس هذا بممكن ... وكيف تصابي الكهل والموت آزف
إلى الله أشكو حال سهو وغفلة ... يضاعف حزني شؤمها المتضاعف
أعلل بالتسويف نفسي وإنه ... سراب تُرَجِّيهِ النفوس الضعائف

(3) لمح السّحر 202. ونسب البيت في المنتظم لابن الجوزي والنجوم الزاهرة 246/5 وطراز المجالس ص 247 لإبراهيم بن عثمان الفزي.

يا نائم الطَّرف[1]

يـا نائم الـطَّرف عن سهـد وعن أرق ... وفـارغ القلب من وجـد ومن حــرق

* * *

حرف الكاف

(النبي)[2]

بــركــات رســل الله غيــر خفيــة ... ومـحـمــد خيــر البــريــة أبــرك

هــذا النبي الهــاشمي هــو الــذي ... هُــدي الأنــامُ بــه وبــان المسـلك

كــم آيــةٍ لـمـحـمــد كــم حـجــةٍ ... عــزَّ الــوليّ بهــا وذلّ الـمـشــرك

دعــواتــه مـسمــوعــةٌ مــرفــوعــة ... والحس ليس يصــح فيــه تـشكـك

لا شيء أعجبُ من دليــل واضــح ... يـحـيــا بــه بـعض وبـعض يـهـلك

أمسك بحبل محمـد خيـر الــورى ... تـظفـرْ بقصــدك أيهـا المستمســك

وإذا عـجبـت لـغــايــة في رفـعــة ... فمحــلّ أحـمــد غــايــة لا تــدرك

* * *

(في سهل بن مالك)

عــجـبــاً لــلنــاس تــاهــوا ... بــبـنّـيــات الــمـســالــك

وصــفــوا بــالــفـضــل قــومــاً ... وهُــمُ لــيـســوا هــنــالــك

كَــثُــرَ الــنــقــل[3] ولــكــن ... صــح عــن سِــهــل بــن مــالــك[4]

* * *

(1) المقتضب من تحفة القادم ص 134، وفيه أن هذا البيت من قصيدة هي من جيد كلامه في النسيب.

(2) النفح 510/7. برنامج الرعيني 63 والذيل والتكملة 105/4 وفيه أن أبا بكر الجلماني انتحلها وكذب سمح الله له.

(3) في برنامج الرعيني: الوصف.

(4) أبـو الحسن سهل بن مـالك أديب جليـل وعلم مشهور (تـرجمته في القـدح المعلي 60 والتكملة 2007 والمغرب 105/2 ونفح الطيب [راجع الفهرس]).

حرف اللام

(خير الورى)

كملتْ بنعتِ محمدٍ خيرِ الورى — غررُ القصائد كلِّها وحجولها
واختص دون الأنبياء بدعوةٍ — وسع العبادَ عمومُها وشمولُهَا
فاضتْ على الثقلين منه أشعَّةٌ — طلعتْ وما عقب الطلوع أفولها
فالإنسُ تعلم أنه مقصودها — والجنُّ توقن أنه مأمولها
كم آيةٍ بالصدقِ كان ظهورها — كم آيةٍ بالسَّبق كان نزولها
وكفاك هذا الوحي فهو شهادة — لمحمد لزم العباد قبولها
جمع الإلهُ المكرماتِ لأمَّةٍ — هذا النبي الهاشمي رسولها[1]

(جواب إلى أخيه)

(أرسل محمد الفازازي إلى أبي العلاء بن المنصور جواباً عن خطاب استدعاه به إلى قرطبة ليستقضيه بها، معتذراً عن الخفوف بسبب المطر فأمر كاتبه أبا زيد الفازازي بإجابته فقال[2]:

لبيك من مُخلصٍ مُوال — مبارك الخيم والخلال
ناديتَ والملتقى بعيدٌ — سَمْعاً للقياك في احتفال
فبحتَ شوقاً بذكر شوق — والجمر يذكو من الذبال
فارحل كما تشتهي وتهوى — عن اهتبال إلى اهتبال
حفيَّ برّ شهيَّ ذِكْرٍ — خليّ فكر رخيّ بال
تحت ظلال بلا طلالٍ — فوق دماث بلا بلال
والأفق يهفو له نسيم — يزل عن موطىء الزلال

---

(1) النفح 507/7 - 508.
(2) الذيل والتكملة 363/8 - 364.

وللمطايا حثيث سير كالسُّحب في مقود الشمال
تقصر أيامها عليها فتغنم الطُّول في الليالي
يا مجرياً في البيان طرفا نائي المدى واسع المجال
وجهت قبل اللقاء طرسا أشهى وصولاً من الوصال
حلَّ محلَّ الرِّضا وجلا بالدُّر من سحره الحلال
واستوقف الطَّرف إذ تبدى في الزَّهر والزُّهر واللآلى
لا يبرح الحسن عنه حتى يبقى بديلاً من الخبال
فمن شمال إلى يمين ومن يمين إلى شمال
أنت لعمري الأثير حقاً بما تملكت من خلال
وقد سمعنا ونحن نرجو رؤية ما قيل بالكمال
فإن جرى فالجميل منكم وليس بالبدع صدق بال

* * *

حرف اللام

(دلالة الهاشمي)[1]

إذا بهرت للهاشمي دلالة فكم حججٌ في طَيِّها ودلائل
فكم مرة آتي الغنى كفَّ سائل وكم مرة أعطى المنى فكر سائل
له تحت أستار الغيوب شهادةٌ مُعدَّلةٌ لم تبقِ قولاً لقائل
يحدث عما كان أو هو كائن فقس آخراً من صدقه بالأوائل
إذا الصدق لم يعوزْك في غدواته فلا شك في تصديقه بالأصائل
وحسبك في الأنباء بالغيب أنَّه ستسمعها بالنقل من قول قائل

(في الحضّ على الحج والزيارة)[2]

الناس قد رحلوا وأنت مقيم ودُعُوا وأنت مُحجَّب محروم

---

(1) النفح 511/7.

(2) المقتضب من تحفة القادم ص 133.

صدقوا العزيمة فاستقلت عيسُهُمْ وهواك في نيل المنى مقسوم

غَطَّتْكَ من آذى ذنبك موجة فيها الهلاك وما أراك تقوم

وتلام في ترك الحجاز فتنثني عن غير معذرة وأنت ملوم

أحسن فقد فارقت كلَّ إساءة مهلاً فأنت بعلمه معلوم

لا أنت في السَّفَر الذين تقدَّموا نحو النبي ولا أراك تقوم

وإذا بدا لك درهم في جلَّقٍ بادرت تقعد نحوه وتقوم

وإذا أراد الله تبليغ امرئٍ فالعرب خاضعة له والروم

ما الناس إلا الرَّاحلون لربهم والآخرون بلابل وهموم

* * *

حرف النون

(أيّ نور)[1]

أيّ نور كشف الله به سدف الباطل عنا أجمعين

ختم الله به أنواره عندما أكمل سن الأربعين

وأتانا بدليل بيّن عجزتْ عنه دواعي المدَّعين

فهو للناس جميعاً مرشدٌ وهو بالله تعالى مستعين

تركتْ دعوتُهُ وهو الرضي سائرَ الخلق إليها مهطعين

فأَعِدْ أنباءَهُ فهو منى أنْفُسِ القائل والمستمعين

والذي يهدي إلى شرعته فهو مجَّاج من العذب المعين

والذي يرغب عن سنَّته فهو من شيعة إبليس اللعين

* * *

(آثار النبي)[2]

اعمل بآثار النبـ ي فإنها النور المبين

---

(1) النفح 508/7.

(2) النفح 512/7.

واقـبـل نـصـيـحـتـهـا فـفـيـ ـهـا الـعـزّ والـشـرف الـمـكـيـن
واشـدد يـمـيـنـك بـالـشـريـ ـعـة إنـهـا الـسـبـب الـمـتـيـن
خـيـر الـبـريـة أحـمـد والـحـقُّ يـصـحـبـه الـيـقـيـن
ذو قـوَّة عـنـد الالـ ـه مـقـرَّب مـنـه مـكـيـن
زان الـنـبـيُّـون الـورى ومـحـمَّـد لـهـم مـزيـن
هـادٍ إلـى طُـرُقِ الـنـجـا ة مـؤيـد فـيـهـا أمـيـن
والْـهـجْ بـمـدحِ الـهـاشـمـ ـى فـإنـه الـحـصـن الـحـصـيـن
ولـئـن فـعـلـت فـلـن تـفـو تـك بـعـد ذا دنـيـا وديـن

* * *

(إلى ابن رشدين)[1]

وكتب إلى أبي المجد رشدين بن أحمد بن رشدين كاتب السيد أبي إسحاق إبراهيم بن أبي يعقوب ملك المغرب، وكان والياً على فاس، مفاتحاً في أول كتاب شفاعة، ولم يكن بينهما لقاء:

خيـر الأخـلاء من حلَّتـك صحبتـه خيـراً يزينـك في الدُّنيـا وفي الـدين
وقـلَّ ذلـك إلَّا مـا سـمـعـت بـه على التـواتـر من أوصـاف رشـدين
ليت البـروق تؤدي نـحـوه شغـفي حـتى تـسـاعـدني حـالٌ تـؤدينـي

* * *

(علم الحديث)[2]

علم الحـديـث لكـلِّ عـلم حُجَّـة فـاشـدُد يـديـك بـه على التعيين
وتـوخَّ أعـدل طـرقـه وأعمـل بهـا تـعـمـل بـعـلم بـصـيـرة ويـقـين

* * *

(1) لمح السحر ص 136.

(2) بغية الوعاة 91/2 والاعلام بمن حل مراكش 88/8.

(ماذا أقول؟)

وكتب أبو زيد عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد الفازازي :

مــاذا أقــولُ ولا عتبٌ على الــزمن	وقــد فقــدتــك فقــد العين للوسن
يــا من حمـدت فلم أذمم مــودتــه	والنــاس وُدُّهم يُـطْوَى عـلى دخن
مــا كـان بينــك مثلِ البين أعهــده	وإنمــا بـان روحي منـك من بـدني
وقـد تـأملت مـذ شـطَّتْ محـاسنكم	فمــا عثــرت على حُسْنٍ ولا حَسَــن
(وشتت البين مـا قـد كــان يجمعنـا	حتى كـأن الذي قـد كـان لم يكن[1]

ثانياً: النثر:

رسالة إلى البلوى[2]

جاء في كتاب العطاء الجزيل لأبي القاسم البلوي ما نصه: «ومن إنشـاء العلم الأوحد، الفاضل الأمجد الفقيه أبي زيد الفازازي ـ أعزه الله ـ ما كتب به إليَّ والي سيدي الشيخ الفقيه (الحسيب) الفاضل أبي القاسم بن حسان، أدام الله سعده، وكتب لي (حين) (. . .) مطلبه ما بلغه أنه استقر عندي من كـلامه الجزل:

أيها الجمعُ المتحد شيما، المتفق فضـلاً وفهماً، الأرضى سلك (. . .) والأخنى شمل التئامهم بالشتات (. . .)[3].

وأنتم بحــول الله تعــالـى (. . .) (. . . . . .)[4] وتقـبلون مـعــذرتي عن ذكره، وأنتم أهلٌ لقبول المعذرة، وتوجهه بمطمع المتحمل، ولا تعيرونهـا

---

(1) مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لمجهول. تحقيق إبراهيم بن مراد ص 145 وورد البيت الأول والأخير في (لمح السحر من روح الشعر وروح الشحر) لابن ليون المري في باب أبيات افتتحت بها الرسائل ص 136.

(2) مخـطوطة العطاء الجزيـل، لأبي القاسم البلوي، الخـزانة الحسنيـة ص 8 وهي نسخـة عسيرة القراءة (ترجمة البلوي في الذيل والتكملة 453/1 النفح 300/4) واختصار القدح 122/20.

(3) خمس أسطر غير واضحة في الأصل.

(4) جملة غير واضحة.

إصاخة متسمع ولا لمحة متأمل، (. . .) والسلام عليكم ورحمة الله والبركة.

أولى الأمور بستر	شيءٌ ركيك المعاني
فات الطبيب احتيالا	وفاق طور المعاني
مدح الكرام يُسَاوى	به نسيب الغواني
أيا فلان فأحسن	ببذله لفلان

رسالة أخرى إلى البلوي:

قال البلوي [1]

«وكتب إلينا أيضاً جواباً على ما كتبتُ إليه به في استدعاء موشحة له من (سبعة أبيات) يا سادتي الذين جمعت المحاسن أسماؤهم، وأطلعت النير فلكهم وسماؤهم، لا زال ربعكم مطيراً، وقدركم خطيراً، وذكركم في كل معلوة مستطيراً، وصلتني منكم سحاءة طابقت الفصل أزهاراً، وشابهته أهواء وأنواراً، فعجبتُ من ليل نفس أطلع صباحاً، ومن روض طِرسٍ أنبت أقاحاً، على حين كَلَّ لسانُ الاحسان وصافت سهامُ الأفهام، وانقشعت مواطرُ الخواطر، وانتكثت مرائر الضمائر ولم يبق ذهن إلا نضب حسيه، ولا فكر إلاّ طفل مسيه، فغاية (التحدي) على هذا (التحدي) [2] هجعة كلال، وضجعة ملال، وإن طبعاً يتدفق على جمود الطباع، وذهناً يتألق أوان خمود الشعاع لأحق ذهن بأن أمسح عطفه واستمنح عطفه، وأقدمه وأصلي خلفه.

فأما ما عرَّض به السَّادة ـ أعلى الله أقدارهم ـ من بعث الموشحة التي قصدتُ بها الشكر لا الذكر فكيف، وقد (أ) كسبتني رؤية الفضلاء العقلاء أمثالكم حُنكة، وبقّت عَليَّ من العقل والتمييز مُسكه. . أو ليس من دلائل (الطبع) الأعوج، والذهن الأهوج إبداء تُرب لِتبر، واهداء خَرَف إلى دُر، وأنا أحاشيكم، وأربا برقةِ حواشيكم عن إسفاف إلى نظم سفاف، وإخلاد إلى لفظ غير مستجاد.

وإن كان من سيدنا ـ رضي الله عنه ـ استحسان يغُرّكم (واستملاح)

---

(1) العطاء الجزيل ص 10.

(2) ما بين الأقواس كلمات غير واضحة في الأصل.

ينخدع به غرُّكم، فقد علمتم أن الإغضاء سجيّتُه والإرضاء على كل حال طويته، والكرماء الذين هو قائد زمامهم، وإمامهم المستحقُّ وابن إمامهم، يجزون عن القُل بالكثر، ويقُومون للمقصر المجتهد ببسط العذر، فأعفوني من هذه الخطة، واكفوني تجشم هذه الضغطة، أبقاكم الله للزلّات ساترين، وبالمأثرات مستأثرين بمنِّه وعزته، والسلام.

* * *

(ترجمته للمعشرات الزهدية)[1]

المُعشَّرات الزُّهدية والمذكّرات الحقيقية الجدية، ناطقة بألسنة الوجلين المشفقين، شائقة إلى مناهج السالكين المُستبقين، نظمها متبرّكاً بعبادتهم متيمناً بأغراضهم وإشاراتهم، وقابضاً عنان الدَّعوى عن مداناتهم، مهتدياً إهداءَ السنن الخمس، بالأشعة الواضحة من إشاراتهم، مخَلِّداً دون أفقهم العالي إلى حضضه، جامعاً لحسن أقواله، وقبح أفعاله، بين الشيء ونقيضه عبد الرحمن).

* * *

(ترجمته للمعشرات الحبية)[2]

النفحات القلبية واللفحات الشرقية، منظومة على ألسنة الذاهبين وجداً، الذائبين كمداً وجهداً، الذين غربوا وبقيت أنوارهم، واحتجبوا وظهرت آثارهم، ونطقوا وصمتت أخبارهم، ووفُّوا العبودية حقها، ومحضوا المحبة مستحقها، نظمُ من نسج على منوالهم، ولم يشاركهم إلاَّ في أقوالهم فلان).

ترجمة الوسائل المتقبلة[3]

الوسائل المتقبلة والآثار المسلمة المقبلة، مودعة في العشرينية النبوية،

---

(1) الاحاطة 518/3 - 519.

(2) 1 - 519/3.

(3) الاحاطة 519/3.

والحقائق اللفظية والمعنوية، نظم من اعتقدها من أزكى الأعمال، وأعدها لما يستقبله من مدهش الأهوال.

وفرغ خاطره لها، على توالي القواطع، وتتابع الأشغال، ورجا بركة خاتم الرسالة، وغاية السؤدد والجلالة، محو ما لسلفه من خطأ في الفعل، وزلل في المقال، والله سبحانه وليُّ القبول للتوبة، والمنان بتسويغ هذه المنة المطلوبة، فذلك يسير في جنب قدرته، ومعهود رحمته الواسعة ومغفرته.

* * *

(حديثه عن مجالس الواعظ أبي عبد الله ابن الحجام[1])

قال أبو زيد الفازازي: (كنت بحضرة مراكش أصنع مجالس وعظ في أنواع يقوم بها على رؤوس الناس الواعظ أبو عبد الله (ابن الحجام) في يوم الاثنين والخميس في كل أسبوع، وكان حسن الصوت، فصيح اللسان كثير البيان، وكان يأتي منزلي فأكتبها له، وكان يرغب إليَّ أن أرفع صوتي عند الكتابة لأسمعه، فما رأيت أسرع حفظاً منه، ما أكاد أكملها مع ما فيها من قصائد إلاَّ وقد حفظها.

وكان سكناه مراكش باستدعاء المنصور من بني عبد المؤمن إياه لذلك، وكانت ألطافه تتوالى عليه إلى أن توفي، فحظي كذلك عند ابنه الناصر، وبالغ في الإحسان إليه إلى أن توفي، فجرى المستنصر ابنه في الاحتفاء والاحتفال في صلاته مجرى أبيه وجده، ولم يكن يدخر من عطاياهم قليلاً ولا كثيراً إنما كان يصرف ما يصل إليه من بني عبد المؤمن وغيرهم في الفقراء والمساكين والمحتاجين وتجهيز الضعيفات إلى أزواجهن، هذا كان دأبه إلى غاية عمره نفعه الله.

* * *

(1) الذيل والتكملة 266/8. وقد تقدم التعريف بابن الحجام.

رسالة في حق أبي محمد اليربطول عن السيد أبي العلاء صاحب قرطبة إلى أخيه أبي موسى صاحب مالقة(1)

ويصلكم به إن شاء الله القائد الأجل الأكرم، الحسيب الأمجد الأنجد، أبو محمد - أدام الله كرامته - وكتب سلامته، وهو الأكيد الحرمة، القديم الخدمة، المرعي الماتة والذمة، المستحق البر في وجوه كثيرة، ولمعان أثيرة، منها أنه من عقب عمار بن ياسر رضوان الله عليه، وحسبكم هذا مجداً مؤثّلاً، وشرفاً موصلاً، ومنها تعيُّن بيته وسلفه، واختصاصهم من النجابة والظهور، بأنوه الاسم وأشرفه، وكونهم بين معتكف على مضجعه، أو مجاهد بمرهفه ومُثقّفة، ومنها سبقهم إلى هذا الأمر العزيز، وتميزهم بأثرة الشفوف والتمييز، ومنها الانقطاع إلى أخيكم، مُمِدٌّ مورده ومصدره وكرم مغيبه ومحضره، وهذه وسائل شتى، وأذمة قل ما تتأتى لغيره.

خطاب عن أبي العلاء إلى الشيخ أبي العباس المري...(2)

لئن غبت عن عيني بحكم المقادر	فأنت إلى التذكار أقرب حاضر
وإن بعدت منا الديار فبيننا	تجاور أفكار وقرب ضمائر
ولن ينفع الإبصار إدراك مدرك	إذا لم تؤيده بمعنى البصائر

السلام الكريم العميم الأحفل الأجزل على الشيخ الفاضل الموشح بحلى المتقين، المرشح لعلا البر والمراقبة واليقين، والساعي بهمته عن الأقطار المغربية إلى الأنوار اليثربية الموطىء بجنبه أكرم مضجع، الراجع إلى ربه تعالى أفضل مرجع، المترقب ليومه الموعود ترقب الشهود حتى كأنه بمرأى

(1) الاحاطة 458/3.

(2) أبو العلاء هو إدريس بن المنظور بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي، أمير أشبيلية، أعلن أنه خليفة الموحدين سنة 624 هـ، وتوفي سنة 630 (النفح 384/4 والمعجب 416) ولم أعثر على ترجمة أبي العباس المري.

منه ومسمع، فلان بن فلان أبقاه الله ممتعاً بالسني فالسني من أحواله، مبلغاً إلى الهني فالهني من آماله، مفرغاً لما لا بد من إعداده له ولأمثاله، كتب معظمه ومعظم نحلته، الغابط له في نقلته المشكورة المبرورة ورحلته، المنطوي له على الواجب المتعين من حب دخلته، المتمني مرافقته إلى تلك المعالم المكرمة والمشاهد المعظمة ليفوز بمعاينة تربة نبيه وكعبة قبلته، الراغب في بركة دعائه هنا وهناك بالإياب من غيبة سهوه والإيقاظ من سنة غفلته، إدريس ابن الأئمة أمراء المؤمنين بعد ورود كتابه المبرور، ووصول خطابه الذي هو عَلَم في رأسه نور، والوقوف على منازعه السنية على ما حرك ساكن الأشواق وأثار البواعث إلى تلك الآفاق.

وإن نقلة تعيض عيناً من أثر، وتورد على خبر عن خبر لنقلة مباركة المبدأ والمنتهى، مشاركة ولو بالنيات من أولي النهى، ولولا العوائق التي لا يمكن إلّا بمعونة الله انبتاتها، والدنيا التي لا تصح إلّا بالصدق مع الله بتاتها، والتسويفات التي لا تنضبط بعد ولا تنحصر في حد غاياتها، والتعللات التي لا تبرأ مع تقوية أسبابها وعلاتها، لما كنت المتأخر البطيء، ولصحبت ولو سعياً على الرأس لا على القدم تلك المطي، وأنىٰ لمثلي أن يسمع هاك الركن المطهر فقبله، وهاك البيت المقدس فاستقبله، وهذا العقيق فاقبض زمامك، وأُمَّ النور المحمدي أمامك، وأنزل ذليلاً خاضعاً، وأنشر حالاً ومقالاً متواضعاً.

نــزلنـا عن الأَكــوار نَمشي كـرامــةً ... لمن بــان عـنـه أن نلمَّ بــه ركـبـا
نَسُـحُّ سجالَ الـدَّمعِ في عَـرَصَـاتِـهِ ... ونلثِمُ مـن حبٍ لــواطئـه الـتُّـربـا
ولـو قَصَّـرتْ تلك المهـابـةُ خـطونـا ... سَحَبْنـا مصونـاتِ الخدودِ بهـا سَحْبا
وإن بــقــائــي دونــه لــخــســارةٌ ... ولـو أن كفِّي تملكُ الشـرق والغـربـا
فيـا عجبـاً ممن يجـيب بــزعْـمِــهِ ... يُقيم مـع الدَّعـوى ويستعمـل الكُتْبَـا
ولـو كنتُ ذا صـدقٍ لصيرتُ أَدْمُعي ... مـداداً وصيَّـرتُ الكتـاب لهـا القلبـا
وزلّاتُ مــثــلي لا تُــعَــدَّدُ كــثــرةً ... وبُعْـدي عن المختـار أعـظمُهـا ذنبـا

فأَعِنِّي أيها الشيخ المتبرِّكُ بدعواته، المستعان على نجح المطالب بخلواته، على قصدِ أَلَذِّ ذكراه، وأتمنى أن أراه:

فـربّ فتى سُـدت عليـه وجـوهـه   أصـاب لهـا لَمَّـا دعـا الله مخـرجـا

وذكـرتَ أمر قـرطبة مستفهمـاً، ودعوتَ بيمن النقلة إليهـا متهمِّمـاً، والله تعالى يَمُنُّ بإجابة دعـائك، ويجـود بالـرضا عنـك وإرضائـك، وكأني بـك قد ألممت بمطهَّر تلك العرصات، وظفرت بآمالك المقتنصات، وقد حملتك أمانة الدعاء في كـل مشهد تشهـده، ومع كـل عمل تقصـده، وعلى أثر كـل خاطـر تطلبه فتجده، فذلك من أبرِّ ما أعده واعتمده، وأوثق ما ألجئ ظهر عملي إليه وأسنده، أبقاك الله معترفاً للمزيد في علمك وعملك، متلقياً للجديد فـالجديـد من سرورك وجذلك، مترقيـاً إلى أعلى الغايـات ما بين حـالك ومستقبلك، إن شاء الله، والسلام[1].

---

(1) قال ابن عبد الملك في الذيل والتكملة 57/1: (وأخبرني بهذه الرسالة شيخنا أبو الحسن الرعيني ـ رحمه الله ـ عن منشئها، ونقلتها من خط المقيد الضابط أبي عمر بن سالم راويها عن منشئها أيضاً وعليها خط الكاتب أبي زيد المذكور).

[رسالة إلى الشيخ أبي عمران الحفصي]

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على محمد وآله وسلم تسليما[1]

«كتبَ عن السَّيدِ الأجلِّ الأعلى أبي العلاء بنِ الخلفاءِ الرَّاشدين - أعزَّ الله نصرَهم - إلى الشَّيخِ الأجلِّ المعظَّم أبي عمرانَ بن الشَّيخ المرحومِ أبي حفص[2] - أبقى الله بركتَهم - الكاتبُ الأفضلُ أبو زيد عبد الرحمن بن يخلفتن الفازازيّ - أعزّه الله - :

الشَّيخُ الأجَلُّ، الأعزُّ، الأكرمُ، الأسنى، المبرورُ، المعظَّمُ، المكرَّم، الأسمى، الأسْرَى، أبو عمران ابن الشَّيخِ الأجلِّ، المعظَّمِ المكرَّمِ أبي حفص - مكَّنَ الله علاءهم، وأحسن في رُزْئهم الفاجع الفادحِ عزاءهم. مُهامِهِم في مصابهم الأفظع ومُشاركهم بخفقِ الفؤادِ، ودفعِ المدفعِ المرتمضِ أشدَّ الارتماضِ[3] لرُزْئِهِ الَّذي فتقَ المجدَ فأوسع، وشَغلَ التصوُّرُ له والتحدُّثُ كُلَّ مرأىً ومسمع، ادريسُ بن الخلفاء الراشدين.

سلامٌ عليكُم ورحمةُ الله - تعالى - وبركاتُه، وبعدَ حمدِ الله الحيِّ الَّذي

---

(1) النص في «رسائل أندلسية» تحقيق الدكتور فوزي سعد عيسى ط منشأة المعارف ص 268 وأصله في مكتبة الاسكريال رقم 538 الورقة «70/أ و ب».

(2) أبو عمران: هو عم ملك أفريقية أبي زكرياء الحفصي وكان أبو عمران من أشهر ولاة المرية في خلافة الموحدين خلال المائة السابعة.

(3) ارتمض الرجل من كذا: اشتد عليه وأقلقه.

لا يموتُ ولا يفنى، المقدَّر لوفاةِ كُلِّ شخصٍ، وخرابِ كُلِّ مغني، والصَّلاةِ على سيِّدنا محمَّدٍ رسولِه المصطفى الكريم، أقرب من استدْنِي فاستدنى، المعزِّ للمصابِ به عليه السَّلام عن كُلِّ نفسٍ وإنْ سَرَّ نفساً وأقرَّ عيناً، وعلى آله وصحبِهِ الكِرام المنافحين عن مِلَّتِه الغرَّاء ضرباً وطعناً، والمُغنينَ في تمهيدِ شعائرِهِ الكريمةِ، وشرائعهِ العظيمةِ كُلَّ مغني، والرِّضا عن الإمامِ المعصوم [1]، المهديِّ المعلوم، مجدِّدِ مادثَرَ للشَّرعِ مِنْ رسمٍ، ومشيدِ مادرسَ للحقِّ مِن مبنى، ومُثْبِتِ الحقائقِ على أوثقِ القواعدِ، بعدَ أن قلبَها الباطنِ ظهراً أو بطناً، وأعزِّ خلفاءه الرَّاشدين المقتفين آثارَه العليَّةَ لفظاً ومعنى، والمتمِّمين لبدأته المباركة فنَّاً ففنَّاً، والدعاء لسيِّدِنا ومولانا الخليفةِ الإمامِ أميرِ المؤمنين ابنِ الأئمةِ الخُلفاء أمراء المؤمنين بنصرٍ يملأُ الدُّنيا وأهلِها منَّا وأمناً، وفتحٍ يستتبعُ أُمَّةً فأمَّةً، ويهدُّ معاقلَها حِصْناً فحِصناً. فكتب ـ كتبَ الله لكم صبراً ـ لا تكدِّرُ بحرَه دلاءُ النَّوائبِ وشكراً لا يُغيِّرُ بئره وكاءُ [2] المصائبِ ـ من قُرطبة ـ حَرسَها الله ـ والأحوالُ صالحةٌ، والحمدُ لله كثيراً على أنَّ النَّفسَ للاكتئابِ، شديدةُ الارتماضِ، والعَينَ للانتحاب بعيدةُ مِن الاغتماضِ، والقلب قد وجِبَ حتَّى انفطر، والخُلْف قد احتدم حتى استعر، والنَّفَس قد ارتفع حتى خَفَتْ، واللِّسان قد ضجَّ حتى صمت، أسَفاً لما نفذَ به القدر الذي لا يُغالَب، والحكمُ الذي لا يُطالب، من وفاةِ الشَّيخِ الأجلِّ، المكرَّمِ، المعظَّم، صنوكم الأسنى، الأسرى، والتاركِ الآمالِ ظُلَّعاً، والنُّفوسَ حَسْرى، ليثِ الحروب، وعيثِ الجُدوبِ، والذَّكرِ [3] المعدِّ لكلِّ نائبةٍ تنوب، أبي محمدٍ ـ نوَّر الله مضجعَه، وكرَّم لديه مرجعَه، وكان في وحشةِ اللَّحدِ، ووحدةِ الفقْدِ له ومعَه، فإنَّا لله وإنَّا إليهِ راجعون، تسليماً للقدر، واستراحةً في عدم المُصْطَبر، وواأسَفَاً له صارِماً أُغْمِد بعدما هالت آثارُه، وضُبَارماً [4] فُقِد بعدما سارتْ شَرْقاً وغَرْباً أخبارُه.

لقد فُجِعَتْ لفقدِه مكارمُ الأخلاق، وشجيت من بعده حياضُ البيضِ

(1) يعني المهدي بن تومرت صاحب الدعوة الموحدية.

(2) الوكاء: ما يشد به.

(3) الذكر: السيف.

(4) الضبارم: الشجاع الجريء على الأعداء والأسد الشديد الخلق.

الـرِّقاق، وجيـادُ الجُرْد العِتـاق، وما كـان إلاَّ الغمامَ انقشـعَ وقد تـركَ البسيـطةَ ممْـسرَعـه، والحُسَـامَ انقـطعَ وقـد غـادرَ الأحشـاءَ لـلأعـداء مُنْقَـطعـة، والله ـ تعـالى ـ يجبرُ بكم مكـانَـه، ويعـز بمن تخلَّفـه مِن سـراة الأسـرةِ بـأسَـه وإحسانَه بمنِّه.

ولولا أنَّ التعزيات من السُّنن المشروعـة، والآثارِ المتبـوعة لصـدَّ وليُكم عنهـا، لعلمه بمـا لديكم من الصَّبـر والاحتسـاب، وكـونـه في هـذه المصيبـةِ الـفـاجعـةِ الـجـامعـةِ شـريـكَكـم المبـرَّ في الأسـفِ لـه والاكتئـاب، والله ـ تعـالى ـ يجعلنا جميعـاً فيمن أصاخ ـ لهـذا النبـأ الـذي لا يستـطيـعُ لـه دفعـاً ـ سمعـاً، وأعـدَّ لهـذا الخـطب ـ الـذي لا نُـطيق لـه ردّاً ـ حَـدَّاً، وإلى الله ـ تعـالى ـ أضرعُ في أن يبقيكم أطـولَ البقـاءِ، ويـرقيكم أحسنَ الارتقـاء، ويحسن عِزاءَكم عمَّا لا بدَّ منه في هذه الدَّارِ من مُغيرات الحوادث، ومكدِّرات الأرزاء بمنه، والسلام.

* * *

الفهارس العامة

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس القوافي

القافية	البحر	المصدر	عدد الأبيات	الصفحة
		قافية الألف:		
الأسرى	طويل	النفح 508/7	9	153
الأنبياء	وافر	النفح 509/7	8	154
سماء	الكامل المجزوء	النفح 509/7	9	154
		(قافية الباء:		
أخاطب	طويل	مجموع ليدن	11	77
الكرب	الوافر المجزوء	مجموع ليدن 91	60	80
مناقب	مجزوء الكامل	مجموع ليدن 137	47	125
مجانبا	كامل	الاحاطة 521/3	14	155
عاتب	طويل	مجموع ليدن 197	2	138
العتب	طويل	مجموع ليدن 158	12	119
الغضب	بسيط	الذيل والتكملة 290/6	22	156
أخاطب	طويل	مجموع ليدن 85	11	77
الدؤوب	وافر	مجموع ليدن 82	8	75
ركبا	طويل	الذيل 56/1	7	174
مكاسب	طويل	مجموع ليدن 10/9	13	40
التقرب	طويل	مجموع ليدن 40/39	14	58
قريب	مجزوء الكامل	مجموع ليدن 59	4	66
مذهبه	سريع	مجموع ليدن 63	10	67

قافية التاء:

قافية الجيم:

قافية الحاء:

قافية الدال:

قافية الراء :

شاعر	طويل	مجموع ليدن	1	35
حاضر	طويل	الذيل والتكملة 55/1	3	173
خاطري	متقارب	برنامج الرعيني 138	8	120
يزور	طويل	مجموع ليدن 124	28	98
الضرورة	مجزوء الكامل	النفح 511/7	9	160
والصبر	طويل	مجموع ليدن 87	14	132
نظر	مجزوء الوافر	مجموع ليدن	73	88 , 84
والبصر	متقارب	النفخ 511/7	7	160
والخبر	بسيط	مجموع ليدن 12	5	41
واكبارا	بسيط	مجموع ليدن 26	21	50
المنكر	كامل	مجموع ليدن 41	21	58
أستار	بسيط	مجموع ليدن 44	9	60
الخمر	طويل	مجموع ليدن 45	5	60
جمر	مخلع بسيط	مجموع ليدن 47	10	61
السهر	بسيط	مجموع ليدن 60	15	66
للنظر	بسيط	مجموع ليدن 161	39	122 - 121
استطار	السريع	مجموع ليدن 166	26	123
المطرا	الرمل	مجموع ليدن 169	34	124
يتغير	طويل	مجموع ليدن	12	99

قافية السين :

تجنيس	بسيط	مجموع ليدن 127	4	99
وعيس	وافر	مجموع ليدن 160	7	120
ویاس	خفيف	مجموع ليدن 189	7	133
بالناس		لمح الشعر	3	161
الناس	بسيط	النفح 511/7	7	161
الجنس	طويل	الاحاطة 522/3	5	162

قافية الضاد:

المرض	بسيط	مجموع ليدن 85	25	72
ومضى	رمل	مجموع ليدن 79	8	74
تمضي	مجزوء الكامل	مجموع ليدن 133	14	103
انقباض	وافر	مجموع ليدن 179	16	128

قافية العين:

سمعه	رمل	النفح 509/7	7	162
وسعها	سريع	مجموع ليدن 70	8	70

قافية الفاء:

زائف	طويل	الذيل والتكملة 548/1	13	163
تكلف	طويل	مجموع ليدن 73	11	71
مشغوف	المنسرح	مجموع ليدن 135	5	104

قافية القاف:

يعشق	كامل	لمح السحر 202	1	163
حرق	بسيط	مقتضب من تحفة القادم 134	1	164
يفترق	بسيط	مجموع ليدن 64	47	68
المضايق	طويل	مجموع ليدن 89	21	79

قافية الكاف:

أبرك	كامل	النفح 510/7	7	164
المسالك	مجزوء الرمل	الذيل والتكملة 105/4	3	164
الشك	طويل	مجموع ليدن 36	3	57
أهلك	-	مجموع ليدن 84	7	76

قافية اللام:

حجولها	كامل	النفح 7/507 - 508	7	165
الخلال	مخلع البسيط	الذيل والتكملة 363/8	18	165
ودلائل	طويل	النفح 511/7	6	166
بأهلها	الكامل المجزوء	مجموع ليدن 28	12	51
نذال	طويل	مجموع ليدن 34/33	12	55
فضيلة	مخلع بسيط	مجموع ليدن 43	8	59
الجلال	مخلع بسيط	مجموع ليدن 46	7	61
موصل	طويل	مجموع ليدن 52	22	63
الجزالة	مجزوء الكامل	مجموع ليدن 132	3	103
وسله	كامل	مجموع ليدن 181	25	129
جميله	كامل	مجموع ليدن 184	24	130
أجمل	كامل	مجموع ليدن 20	91	142 - 146
أبلى	طويل	مجموع ليدن 226	12	151

قافية الميم:

نسيما	كامل	مجموع ليدن	2	35
قدما	مديد	مجموع ليدن 28	10	52
خيمه	وافر	مجموع ليدن 149	3	114
محروم	كامل	المقتضب 134	10	166
بسلام	كامل	مجموع ليدن 48	25	62
الحكم	طويل	مجموع ليدن 54	26	64
الهمم	مجزوء الوافر	مجموع ليدن 97	110	83
السآمة	مجزوء الكامل	مجموع ليدن 140	19	108
والكرم	بسيط	مجموع ليدن 198	13	139
الاسلام	كامل	مجموع ليدن 200	62	139 - 142

قافية النون :

الدين	بسيط	لمح السحر (مخ)	3	168
للوسن	بسيط	مختارات من الشعر المغربي والأندلسي 145	5	169
والحزن	طويل	مجموع ليدن 139	3	108
أجمعين	رمل	النفح 508/7	8	167
يدعوني	كامل	مجموع ليدن 150	83	119 - 114
المبين	مجزوء الكامل	النفح 512/7	9	167
التعيين	كامل	بغية الوعاة 31/2	2	168
المعاني	-	العطاء الجزيل (مخ)	4	170
زماله	كامل	مجموع ليدن 5	13	37
العلن	مديد	مجموع ليدن 51	11	63
سبحانه	سريع	مجموع ليدن 57	4	65
لين	طويل	مجموع ليدن 87	6	73
البرهان	كامل	مجموع ليدن 80	14	74
أجمعينا	وافر	مجموع ليدن 87	24	78
العلن	مجزوء الوافر	مجموع ليدن 108	31	88

قافية الهاء :

أصدريه	مجزوء الرمل	مجموع ليدن 31	6	53
البديهة	الكامل المجزوء	مجموع ليدن 31	5	54
فاه	رمل	مجموع ليدن 71	14	71
وحلاه	الخفيف	مجموع ليدن 177	15	128

قافية الياء :

العليا	طويل	مجموع ليدن 69	10	70

أهم المصادر والمراجع

أولاً المخطوطات:

1 ـ أعلام مالقة لابن خميس وابن عساكر، نسخة عن مخطوطة الخزانة الحسينية رقم 11055 مرقونة على الآلة الكاتبة في معظمها (مكتبة الأستاذ عبد الله الترغي).

2 ـ لمح السحر من روح الشعر وروح الشحر، لأبي عثمان بن ليون نسخة مرقونة على الآلة الكاتبة بتحقيق الأستاذ سعيد الأحرش 83 - 1984 م.

3 ـ مخطوطة تنبكتو من عشرينيات الفازازي.

4 ـ مخطوطة العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل لأبي القاسم البلوي. مسجلة في فهرس الخزانة الحسينية برقم 6148.

5 ـ مخطوطة ليدن بدون عنوان، ومحتواها أعمال نثرية وشعرية لأبي زيد الفازازي، ضمن مجموع به مواد مختلفة، يحمل رقم 479، وهي الأصل الذي قام عليه تحقيق هذا الكتاب.

ثانياً المطبوعات:

1 ـ الآثار الأندلسية ـ لمحمد عبد الله عنان ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر 1381 - 1961 م.

2 ـ الاحاطة في أخبار غرناطة ـ لسان الدين بن الخطيب طبعتا دار المعارف ومكتبة الخانجي.
3 ـ أزهار الرياض في أخبار عياض، المقري التلمساني طبعة القاهرة 1939 م وطبعة اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي 78 و 1979 م.
4 ـ الأعلام، لخير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة 1969 م.
5 ـ الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، لعباس إبراهيم تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية ـ الرباط: 1977 م.
6 ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس، لعلي بن أبي الزرع الفاسي دار المنصور للطباعة والوراقة ـ الرباط ـ 1973 م.
7 ـ برنامج شيوخ الرعيني، لأبي الحسن علي بن محمد الرعيني الأشبيلي تحقيق إبراهيم شبوح، دمشق 1381 - 1962 م.
8 ـ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، لابن مريم محمد بن المديوني، طبع بعناية محمد بن أبي شنب. صورة عن الطبعة الأصلية بتاريخ 1406.
9 ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تأليف أحمد بن يحيى الضبي منشورات دار الكاتب العربي 1967 م.
10 ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر ط 2 - 1979 م.
11 ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذارى المراكشي (قسم الموحدين) تحقيق الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني وآخرين ـ 1985 م.
12 ـ تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان ترجمة رمضان عبد التواب دار المعارف، الطبعة الثانية.
13 ـ التشوف إلى رجال التصوف لأبي يعقوب ابن الزيات. تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب بالرباط 1984 م.
14 ـ التكملة لكتاب الصلة، لأبي عبد الله ابن الأبار طبعة عزت العطار 1955 وطبعة مجريط.
15 ـ دولة الإسلام في الأندلس (عصر المرابطين والموحدين) تأليف محمد عبد الله عنان، الطبعة الأولى 1964 م.
16 ـ ديوان الوسائل المتقبلة في مدح النبي ﷺ نشر مكتبة الحلبي مصر د. ت.

17 ـ الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي تحقيق الدكتور محمد بن شريفة والدكتور إحسان عباس (الأجزاء 1 - 8) دار الثقافة وأكاديمية المملكة المغربيّة.
18 ـ رحلة ابن رشيد المسماة (ملء العيبة) لأبي عبد الله محمد بن رشيد السبتي تقديم وتحقيق د. محمد الحبيب ابن الخوجة ـ الشركة التونسية للتوزيع 1981 م.
19 ـ الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبد المنعم الحمدي، تحقيق: أحسان عباس، مكتبة لبنان (1975 م).
20 ـ روضة التعريف بالحب الشريف، لسان الدين بن الخطيب، نشر بعناية محمد الكتاني. دار الثقافة، الدار البيضاء 1970 م.
21 ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد مخلوف، دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت د.ت.
22 ـ صلة الصلة لابن الزبير. تحقيق ليفي بروفنسال (1937).
23 ـ صلة الصلة لابن الزبير (تراجم الغرباء) تحقيق د. محمد بن شريفة في آخر كتاب الذيل والتكملة 501/8 نشر الأكاديمية المغربية 1984 م.
24 ـ القدح المعلي في التاريخ المحلي اختصاره لابن سعيد علي بن موسى، والمختصر هو أبو عبد الله بن خليل، تحقيق: أبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني. بيروت 1980 م.
25 ـ القصائد العشريات، تأليف أبي زيد الفازازي نشر دار إحياء الكتاب العربي ـ عيسى الحلبي وشركاه.
26 ـ مجمع الأمثال للميداني.
27 ـ مختارات من الشعر المغربي والأندلسي، تخريج وتحقيق: أبراهيم بن مراد. دار الغرب الاسلامي 1986 م.
28 ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعبد الواحد المراكشي، تحقيق محمد العريان ومحمود العلمي / القاهرة 1949 م.
29 ـ المغرب في حُلَى المغرب لابناء سعيد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف 1964 م.
30 ـ المقتضب من تحفة القادم، أصله لأبي عبد الله بن الأبار واختصاره

فهرس الموضوعات